

سلسلة دمج السعدي و مختصر صحيح بن كثير و الاعجاز العلمي

و الصحيح المسند من اسباب النزول

كانت تواجهني مشكلة و أنا أقرأ الورد اليومي :انني لا أتدبر القرآن و السبب انني لم افهم المعاني أو المقصود من الايات حاولت عدة محاولات الي ان اثمرت هذه الطريقة فهداني الله لهذه الطريقة بعد 20 عاما منذ بداية التزامي بدأتها بالجزء 26 و ألزمت نفسي بصفحة كل يوم بصفحة واحدة فقط اللهم اعنا علي ذلك

1-النقل من تفسير السعدي كاملا بخط Traditional Arabic مع الضبط ليسهل القراءة و المتابعة :فصل كل في سطر مع تخريج الاحاديث و الايات مع وضع الايات قبل التفسير اذا لم تكن موجودة كأنها ملزمة للمذاكرة و الحفظ بنفس طريقة ملازم الجامعة

2-وضع الاحاديث او الايات من ((مختصر صحيح تفسير بن كثير)) للشيخ

مصطفى العدوي مبدوءا ب *** ثم بالخط ادوي ارباك

3- ادراج الاعجاز العلمي نقلا من مواقع مثل موقع الاعجاز العلمي و الكحيل و اعجاز و موسوعة الاعجاز العلمي و موقع جامعة الايمان

4-ادرجات لي بخط المهند ممكن من أيسر التفاسير للجزائري أو الميسراو من اقوال مشايخي الافاضل أو زبدة التفسير

اسبقها ب*

او معني كلمة بالاستعانة بموقع المعاني او المعاجم

<http://www.almaany.com>

<http://www.maajim.com>

5-الصحيح المسند من اسباب النزول للشيخ مصطفى العدوي

*ان شاء الله تلخيص نافع لطلاب العلم و المقدمين علي اعطاء دروس في التفسير ليجد بعض ما يبحث عنه في مكان واحد و الحمد لله
البحث عن طريق المكتبة الشاملة والاحاديث التي يتم وضعها محققة و الحمد لله

78-سورة النبأ -مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾
 ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾
 وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَكُمْ سُبُلًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا الَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾
 وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾
 وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾
 لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾
 إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾
 وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾
 إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّغْيِينَ مَتَابًا ﴿٢٢﴾ لِّئَلَّيْشِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾
 لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا هَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾
 إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾
 وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

78- تفسير سورة عم- و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْلِفُونَ ﴿٣﴾

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ تَوَكَّلَا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ

أي: عن أي شيء يتساءل المكذبون بآيات الله؟ ثم بين ما يتساءلون عنه فقال:

(عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ)

أي: عن الخبر العظيم الذي طال فيه نزاعهم،

(الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْلِفُونَ)

وانتشر فيه خلافهم على وجه التكذيب والاستبعاد، وهو النبأ الذي لا يقبل الشك ولا يدخله الريب،

ولكن المكذبون بقاء ربهم لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم.

ولهذا قال:

(كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ تَوَكَّلَا سَيَعْلَمُونَ)

أي: سيعلمون إذا نزل بهم العذاب ما كانوا به يكذبون،

{يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا (13) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ}

ثم بين تعالى النعم والأدلة الدالة على صدق ما أخبرت به الرسل فقال:

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّتٍ أَلْفَافًا ۝١٦

أي: أما أنعمنا عليكم بنعم جليلة، فجعلنا لكم

(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا)

أي: ممهدة مهيأة لكم و لمصالحكم، من الحروث و المساكن و السبل.

(وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا) تمسك الأرض لئلا تضطرب بكم و تميد.

راجع الاعجاز العلمى من هنا

(وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا)

أي: ذكورا و إناثا من جنس واحد، لـ:—

1-يسكن كل منهما إلى الآخر،

2-فتكون المودة و الرحمة،

4-و تنشأ عنهما الذرية،

5-و في ضمن هذا الامتنان، بلـذة المنـكـح.

(وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا)

أي: راحة لكم، و قطعاً لأشغالكم، التي متى تمادت بكم أضرت بأبدانكم، فجعل الله الليل و النوم يغشى الناس لتقطع حركاتهم الضارة، و تحصل راحتهم النافعة.

(وَجَعَلْنَا أَيْلَ لِبَاسًا)

***سكنا

(وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا)

*** جَعَلْنَاهُ مُشْرِقًا مُنِيرًا مُضِيًّا، لــــ: -
يَتِمَّكَّنَ النَّاسُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهِ
وَ الذَّهَابِ وَ الْمَجِيءِ لِلْمَعَاشِ.
وَ التَّكْسِبِ وَ التَّجَارَاتِ، وَ غَيْرَ ذَلِكَ.

(وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا)

أي: سبع سماوات، في غاية القوة، و الصلابة و الشدة،
و قد أمسكها الله بقدرته، و جعلها سقفا للأرض،
فيها عدة منافع لهم، و لهذا ذكر من منافعها الشمس فقال: -

(وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا)

نبه بالسراج على النعمة بنورها، الذي صار كالضرورة للخلق،

و بالوهاج الذي فيه الحرارة على حرارتها و ما فيها من المصالح .

(وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ) أي: السحاب

***كقوله {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ

يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} [الرُّوم: 48]

(مَاءٌ مُجَابًا) أي: كثيرا جدا.

(لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا)

من بر و شعير و ذرة و أرز،

و غير ذلك مما يأكله الآدميون.

(وَنَبَاتًا) يشمل سائر النبات، الذي جعله الله قوتا لمواشيهم.

***خضرا يؤكل رطبا

(وَجَعَلْنَا الْفَاةَ) أي: بساتين ملتفة، فيها من جميع أصناف الفواكه اللذيذة.

فالذي أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة ،

التي لا يقدر قدرها، و لا يحصى عددها،

كيف تكفرون به و تكذبون ما أخبركم به من البعث والنشور؟!

أم كيف تستعينون بنعمه على معاصيه و تجحدونها؟

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتْ

السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا

(٢١) لِلطَّٰغِيْنَ مَآبًا (٢٢) لَّيْسِيْنَ فِيْهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوْقُوْنَ فِيْهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤)
 إِلَّا حَمِيْمًا وَعَسَاقًا (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوْا لَا يَرْجُوْنَ حِسَابًا (٢٧)
 وَكَذَّبُوْا بِآيٰتِنَا كِذَابًا (٢٨) وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتٰبًا (٢٩) فَذُوْقُوْا فَلَنْ
 نَّزِيْدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)

ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة الذي يتساءل عنه المكذبون،
 و يحجده المعاندون، أنه يوم عظيم، و أن الله جعله
 (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا) للخلق.

***كقوله {وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُوْدٍ} [هُود:104]
 *الميسر: كان وقتاً و ميعاداً محدداً للأولين و الآخرين،

(يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا)

* الميسر: يوم ينفخ الملك في «القرن» إيذاناً بالبعث فتأتون
 أممًا، كل أمة مع إمامهم.

و يجري فيه من الزعازع و القلاقل ما يشيب له الوليد، و تنزعج له القلوب،

ففسير الجبال، حتى تكون كالهباء الميثوث،

*** زَمَرًا قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يَغْنِي تَأْتِي كُلُّ أُمَّةٍ مَعَ رَسُولِهَا،

هَوْلِهِ: {يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ} [الْإِسْرَاءِ:31] .

{وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} [النَّمْل:88]

وَ هَؤُلَهِ: {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} [القَارِعَةِ:5] .

وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا

و تشقق السماء حتى تكون أبوابا،

*الميسر: فكانت ذات أبواب كثيرة لنزول الملائكة.

(وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا)

*** يُخَيَّلُ إِلَى النَّاظِرِ أَنَّهَا شَيْءٌ،

و لَيْسَتْ بِشَيْءٍ، بَعْدَ هَذَا تَذْهَبُ بِالْكُلِّيَّةِ، فَلَا عَيْنَ وَ لَا أَثَرَ، كَمَا قَالَ:

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى

فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا} [طه:105- 107] وقال:

{وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً} [الْكَهْفِ:47] .

و يفصل الله بين الخلائق بحكمه الذي لا يجور،

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا)

و توقد نار جهنم التي أرصدها الله

*القاسمي :-

مِرْصَادًا اسم مكان. أو مجدّة في ترصدهم وارتقاب مقدمهم.

(لِلطَّاعِينَ مَنَابَا)

و أعدها للطاعين، و جعلها مثوى لهم و مآبا،

لَيْشِينَ فِيهَا أَحْقَابًا)

و أنهم يلبثون فيها أحقابا كثيرة
و (الحقب) على ما قاله كثير من المفسرين: ثمانون سنة.
و هم إذا وردوها

(لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا)

أي: لا ما يبرد جلودهم، و لا ما يدفع ظمأهم.

(إِلَّا حَمِيمًا)

أي: ماء حارا، يشوي وجوههم، و يقطع أمعاءهم،

(وَعَسَاقًا)

و هو: صديد أهل النار، الذي هو في غاية التن، و كراهة المذاق،
و إنما استحقوا هذه العقوبات الفظيعة

(جَزَاءً وَفَاءً)

جزاء لهم و وفاقا على ما عملوا من الأعمال الموصلة إليها،

لم يظلمهم الله،

و لكن ظلموا أنفسهم،

و لهذا ذكر أعمالهم، التي استحقوا بها هذا الجزاء، فقال:

(إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا)

أي: لا يؤمنون بالبعث، و لا أن الله يجازي الخلق بالخير و الشر،

فلذلك أهملوا العمل للآخرة.

(وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا)

أي: كذبوا بها تكديبا واضحا صريحا و جاءتهم البينات فعاندوها.

(وَكُلَّ شَيْءٍ)

من قليل و كثير، و خير و شر

(أَخَصَيْنَاهُ كِتَابًا)

أي: كتبناه في اللوح المحفوظ،

فلا يخشى المجرمون أنا عذبناهم بذنوب لم يعملوها،

و لا يحسبوا أنه يضيع من أعمالهم شيء،

أو ينسى منها مثقال ذرة، كما قال تعالى:

{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: 49]

(فَذُوقُوا) أيها المكذبون هذا العذاب الأليم و الخزي الدائم

(فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا)

و كل وقت و حين يزداد عذابهم

و هذه الآية أشد الآيات في شدة عذاب أهل النار أجازنا الله منها .

الجبـال من منظور علمي:

http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1696

الجبـال معروفة لكل إنسان بأنها تجمع صخري أو ترابي عالي الارتفاع من على مستوى سطح الأرض،
أما إذا كان بسيط الارتفاع فهو التل، هذا المفهوم العام للجبـال عند عامة الناس ولكن لنرى ماذا يقول أصحاب الاختصاص حول هذا الموضوع

وهم الذي يسمون علماء الأرض أو العلماء الجيولوجيون في المصطلح الأدق عند المتخصصين، لأن العلم اليوم صار واسعا جدا فلا بد إذن من رد الأمور إلى أصحابها، والله تعالى يقول:
(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النحل43].

ويقول سبحانه: (فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا) [الفرقان59].

يعرف علماء الجغرافيا والجيولوجيا الجبـل بأنه:
كتلة من الأرض تبرز فوق ما يحيط بها، وهو أعلى من التل⁽¹³⁾.
يقول د. زغلول النجار:

إن جميع التعريفات الحالية للجبـال تنحصر في الشكل الخارجي لهذه التضاريس، دون أدنى إشارة لامتداداتها تحت السطح و التي ثبت أخيراً أنها تزيد على الارتفاع الظاهر بعدة مرات⁽¹⁴⁾.
ولم تكتشف هذه الحقيقة إلا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر عندما تقدم السيرجورج ايري بنظرية مفادها أن القشرة الأرضية لا تمثل أساساً مناسباً للجبـال التي تعلوها، وافترض أن القشرة الأرضية وما عليها من جبـال لا تمثل إلا جزءاً طافياً على بحر من الصخور الكثيفة المرنة،

وبالتالي فلا بد أن يكون للجبال جذور ممتدة داخل تلك المنطقة العالية الكثافة لضمان ثباتها واستقرارها. وقد أصبحت نظرية أيري حقيقة ملموسة مع تقدم المعرفة بتركيب الأرض الداخلي عن طريق القياسات الزلزالية، فقد أصبح معلوماً على وجه القطع أن للجبال جذوراً مغروسة في الأعماق،

ويمكن أن تصل إلى ما يعادل 15 مرة من ارتفاعاتها فوق سطح الأرض، وأن للجبال دوراً كبيراً في إيقاف الحركة الأفقية الفجائية لصفائح طبقة الأرض الصخرية. هذا وقد بدأ فهم هذا الدور في إطار تكتونية الصفائح منذ أواخر الستينيات.

إن الجبال ما هي إلا قمم لكتل عظيمة من الصخور تطفو في طبقة أكثر كثافة⁽¹⁵⁾ كما تطفو جبال الجليد في الماء و لقد وصف القرآن الجبال شكلاً و وظيفة، فقال تعالى:

(وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا) [النبا:7].

وقال تعالى:

(وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) [لقمان:10].

وقال أيضاً: **(وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا**

سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) [الأنبياء:31].

والجبال أوتاد بالنسبة لسطح الأرض، فكما يختفي معظم الوتد في الأرض للثبيت

كذلك يختفي معظم الجبل في الأرض لتثبيت قشرة الأرض.
وكما تثبت السفن بمراسيها التي تغوص في ماء سائل،
فكذلك تثبت قشرة الأرض بمراسيها الجبلية التي تمتد جذورها
في طبقة لزجة نصف سائلة تطفو عليها القشرة الأرضية⁽¹⁶⁾،⁽¹⁷⁾.
إن أول الجبال خلقاً البركانية: عندما خلق الله القارات بدأت في
شكل قشرة صلبة رقيقة تطفو على مادة الصهير الصخري،
فأخذت تميد وتضطرب،

فخلق الله الجبال البركانية التي كانت تخرج من تحت تلك
القشرة، فترمي بالصخور خارج سطح الأرض،
ثم تعود منجذبةً إلى الأرض وتتراكم بعضها فوق بعض مكونة
الجبال، وتضغط بأثقالها المتراكمة على الطبقة اللزجة فتغرس
فيها جذراً من مادة الجبل، الذي يكون سبباً لثبات القشرة
الأرضية واتزانها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ [لقمان 10]

إشارة إلى الطريقة التي تكونت بها الجبال البركانية بإلقاء
مادتها من باطن الأرض إلى الأعلى ثم عودتها لتستقر على سطح
الأرض. ويجلي حديث الرسول ﷺ هذه الكيفية.

فقد روى أنس بن مالك⁽¹⁸⁾ عن النبي ﷺ أنه قال:
«لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدٌ، فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَعَادَ بِهَا عَلَيْهَا..
الحديث»⁽¹⁹⁾. [حكم الألباني]: ضعيف الترمذي

فتأمل في قول النبي ﷺ المبين لكيفية خلق الجبال
"فعاد بها عليها"،

أي أن خلقها كان بخروجها من الأرض وعودتها عليها⁽²⁰⁾.

أوجه الإعجاز:

إن وحي الله تعالى إلى عباده في القرآن الكريم حق مطلق يجب
على الناس تصديقه، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ
رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) [النساء170].

ومن هذه الآيات الكونية التي استشهد بها الحق تبارك وتعالى
على صدق وحيه في آخر كتبه قوله سبحانه:
(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ) [الذاريات20].

و لقد رأينا ونرى كل يوم ما تدهش له العقول السليمة وما به
يزداد إيمان المؤمنين لما أودعه سبحانه في هذا الكون الفسيح
من الآيات البينات،
و ما الجبال إلا نموذج على قدرة الله تعالى في ما أودعه في هذا
الكون الفسيح من عجائب صنعته،
و من ينظر إلى الجبال على سطح الأرض لا يرى لها شكلاً يشبه
الوتد أو المرساة،
و إنما يراها كتلاً بارزة ترتفع فوق سطح الأرض،
كما عرفها الجغرافيون و الجيولوجيون.
ولا يمكن لأحدٍ أن يعرف شكلها الوتدي،
أو الذي يشبه المرساة إلا إذا عرف جزءها الغائر في الصهير
البركاني في منطقة الوشاح،

وكان من المستحيل لأحدٍ من البشر أن يتصور شيئاً من ذلك من قبل حتى ظهرت نظرية سيرجورج ايري عام 1855م أي بعد حوالي ثلاثة عشر قرناً من نزول الوحي على حبينا محمد ﷺ. فمن أخبر محمداً ﷺ بهذه الحقيقة الغائبة في باطن القشرة الأرضية وما تحتها على أعماق بعيدة تصل إلى عشرات الكيلومترات، قبل معرفة الناس لها؟ ومن أخبر محمداً ﷺ بوظيفة الجبال، وأنها تقوم بعمل الأوتاد والمراسي، وهي الحقيقة التي لم يعرفها الإنسان إلا بعد عام 1960م؟. و هل شهد الرسول ﷺ خلق الأرض وهي تميد؟ وتكوين الجبال البركانية عن طريق الإلقاء من باطن الأرض وإعادتها عليها لتستقر الأرض؟ ألا يكفي ذلك دليلاً على أن هذا العلم وحي أنزله الله على رسوله النبي الأمي في الأمة الأمية، في العصر الذي كانت تغلب عليه الخرافة والأسطورة؟ إنها البيئة العلمية الشاهدة بأن مصدر هذا القرآن هو خالق الأرض والجبال، وعالم أسرار السموات والأرض القائل:

(قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا)

[الفرقان:6].

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۖ ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۖ ﴿٣٤﴾

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ۖ ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ۖ ﴿٣٦﴾

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۖ ﴿٣٧﴾

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ۖ ﴿٣٨﴾

ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ۖ ﴿٣٩﴾

إِنَّا أَنْذَرْتَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ

وَيَقُولُ الْكَافِرُ بَلَيَلَّتْنِي كُنْتُ تُرَابًا ۖ ﴿٤٠﴾

79-سورة النازعات -مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ۖ ﴿١﴾ وَالنَّدِيَّاتِ نَشْطًا ۖ ﴿٢﴾ وَالسَّيْحَاتِ سَبْعًا ۖ ﴿٣﴾

فَالسَّيِّئَاتِ سَبْعًا ۖ ﴿٤﴾ فَاَلْمُدِيرَاتِ آمْرًا ۖ ﴿٥﴾

يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۖ ﴿٧﴾

قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۖ ﴿٨﴾ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ۖ ﴿٩﴾

يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۖ ﴿١٠﴾

أَيُّ ذَا كُنَّا عِظَمًا نَخِرَةً ۖ ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۖ ﴿١٢﴾

فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۖ ﴿١٤﴾ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۖ ﴿١٥﴾

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۖ ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۖ ﴿٣٤﴾

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٦﴾

لما ذكر حال المجرمين ذكر مآل المتقين فقال:

(إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا)

أي: الذين اتقوا سخط ربهم، بالتمسك بطاعته،
و الانكفاف عما يكرهه فلهم مفاز و منجى، و بعد عن النار.
و في ذلك المفاز لهم

(حَدَائِقَ)

و هي البساتين الجامعة لأصناف الأشجار الزاهية،
في الثمار التي تتفجر بين خلالها الأنهار،

(وَأَعْنَابًا)

و خص الأعناب لشرفها و كثرتها في تلك الحدائق.
و لهم فيها زوجات على مطالب النفوس

(وَكَوَاعِبَ)

و هي: النواهد اللاتي لم تتكسر ثديهن من شبابهن، و قوتهن و نصارتهن .

(أَنْزَابًا)

اللاتي على سن واحد متقارب،
و من عادة الأتراب أن يكن متآلفات متعاشرات،
وذلك السن الذي هن فيه ثلاث و ثلاثون سنة،

في أعدل سن الشباب .

(وَكَأْسًا دِهَاقًا)

أي: مملوءة من رحيق، لذة للشاربين،

*** مملوءة متتابعة و قيل صافية

(لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا)

أي: كلاما لا فائدة فيه

*** {يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ} [الطور: 23]

(وَلَا كَذَابًا) أي: إثما.

كما قال تعالى

{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (25) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا}

[الواقعة: 25، 26]

و إنما أعطاهم الله هذا الثواب الجزيل من فضله و إحسانه .

*** أي: ليسَ فيها كلامٌ لاغٍ عارٍ عن الفائدة، و لا إثمٌ كذبٌ،

بل هي دارُ السَّلامِ،

و كلُّ ما فيها سالمٌ من النقص.

(جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ) لهم

(عَطَاءً حِسَابًا)

أي: بسبب أعمالهم التي وفقهم الله لها، و جعلها ثمنا لجنته و نعيمها .

*** كَافِيًا وَافِرًا شَامِلًا كَثِيرًا؛

تَقُولُ الْعَرَبُ: "أَعْطَانِي فَأَحْسَبُنِي" أَي: هَانِي.
وَمِنْهُ "حَسْبِيَ اللَّهُ"، أَي: اللَّهُ كَافٍ.

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ
وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ
الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ
مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

أي: الذي أعطاهم هذه العطايا هو ربهم

(رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

الذي خلقها و دبرها

(وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ)

الذي رحمته وسعت كل شيء، فرباهم و رحمهم، و لطف بهم،
حتى أدركوا ما أدركوا.

(لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا)

(يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ)

و هو جبريل عليه السلام الذي هو أشرف الملائكة

(وَالْمَلَائِكَةُ)

أيضا يقوم الجميع

(صَقَّطًا) خاضعين لله

(لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا)

فلا يتكلم أحد إلا بهذين الشرطين:

1- أن يأذن الله له في الكلام،

2- وأن يكون ما تكلم به صوابا،

إلا بما أذن لهم الله به .

و أن جميع الخلق كلهم ذلك اليوم ساكتون لا يتكلمون

و ثم ذكر عظمته و ملكه العظيم يوم القيامة،

*** لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى ابْتِدَاءِ مُخَاطَبَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، كَقَوْلِهِ:

{ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } [البقرة: 255] ،

و كَقَوْلِهِ: { يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ } [هُود: 105]

كَقَوْلِهِ: { لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ } [هُود: 105] .

و كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ -7437

و لَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ،

*** حَقًّا، وَ مِنَ الْحَقِّ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"،

(ذَلِكَ الْيَوْمِ) هو

(الْحَقُّ)

الذي لا يروج فيه الباطل، و لا ينفع فيه الكذب، و في ذلك اليوم

فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا
قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

فلما رغب و رهب، و بشر و أنذر، قال:

(فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا)

أي: عملا و قدم صدق يرجع إليه يوم القيامة.

(إِنَّا أَنْذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا)

لأنه قد أذف مقبلا و كل ما هو آت فهو قريب.

(يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ)

*** يَعْرِضُ عَلَيْهِ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ، خَيْرَهَا وَشَرَّهَا، قَدِيمَهَا وَحَدِيثَهَا، كَقَوْلِهِ:

{ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا } [الْكَافِرُ: 49] ،

وَقَوْلِهِ: { يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ } [الْقِيَامَةِ: 13] .

أي: هذا الذي يهمله و يفزع إليه، فلينظر في هذه الدنيا إليه ، كما قال تعالى:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [الحشر: 18]

فإن وجد خيرا فليحمد الله، و إن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه،

وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا)

و لهذا كان الكفار يتمنون الموت من شدة الحسرة و الندم.

نسأل الله أن يعافينا من الكفر و الشر كله، إنه جواد كريم. .

*** يَوَدُّ الْكَافِرُ يَوْمَئِذٍ أَنَّهُ كَانَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا تُرَابًا، وَلَمْ يَكُنْ خُلِقَ،
وَلَا خَرَجَ إِلَى الْوُجُودِ. وَذَلِكَ حِينَ عَايَنَ عَذَابَ اللَّهِ،
وَنَظَرَ إِلَى أَعْمَالِهِ الْفَاسِدَةِ قَدْ سَطُرَتْ عَلَيْهِ بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ السَّفَرَةِ الْكَرَامِ
الْبَرَّةِ، وَقِيلَ:

إِنَّمَا يَوَدُّ ذَلِكَ حِينَ يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا،
فَيُفْصَلُ بَيْنَهَا بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ الَّذِي لَا يَجُورُ،
حَتَّى إِنَّهُ لَيَقْتَصُّ لِلشَّاةِ الْجَمَاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ.
فَإِذَا فَرَعَ مِنَ الْحُكْمِ بَيْنَهَا قَالَ لَهَا: كُونِي تُرَابًا، فَتَصِيرُ تُرَابًا.
فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}

أَيُّ: كُنْتُ حَيَوَانًا فَأَرْجِعْ إِلَى التُّرَابِ
* سنن الترمذي ت شاكر :

2420 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا

حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»

1966-سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها-

يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ،
وَأَنَّهُ لَيَقْيِدُ ((لِيَقْتَصُّ)) يَوْمَئِذٍ الْجَمَاءَ مِنَ الْقَرْنَاءِ ،
حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ تَبَعَةٌ ((الْمُظْلَمَةُ)) عِنْدَ وَاحِدَةٍ لِأُخْرَى،
قَالَ اللَّهُ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ:

{يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}

79-تفسير سورة النازعات-و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْتَزَعَتْ غَرْقًا ① وَالْتَدِشَطَاتِ نَشْطًا ② وَالسَّيْحَاتِ سَبْعًا ③ فَالَسَّيْقَتِ سَبَقًا
④ فَالْمُدِيرَاتِ أَمْرًا ⑤ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ⑥ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ⑦ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ
وَاجِفَةٌ ⑧ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ⑨ يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ⑩ أَوَّاهَ كُنَّا
عِظَمًا مَخْرَجَةً ⑪ قَالُوا إِنَّكَ إِذَا كَرَّرُ خَاسِرَةٌ ⑫
فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ⑬

فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ⑭ هَلْ أَنتَكَ حَدِيثُ مُوسَى ⑮

هذه الإقسامات بالملائكة الكرام، و أفعالهم الدالة على كمال انقيادهم لأمر
الله، و إسراعهم في تنفيذ أمره،

١ - يحتمل أن المقسم عليه، الجزاء و البعث،

بدليل الإتيان بأحوال القيامة بعد ذلك،

2-و يحتمل أن المقسم عليه و المقسم به متحدان،

و أنه أقسم على الملائكة، لأن الإيمان بهم أحد أركان الإيمان الستة،

و لأن في ذكر أفعالهم هنا ما يتضمن الجزاء الذي تتولاه الملائكة

عند الموت و قبله و بعده، فقال:

(وَالْتَزَعَتْ غَرْقًا)

و هم الملائكة التي تنزع الأرواح بقوة، و تغرق في نزعها حتى تخرج الروح، فتجأزى بعملها.

(وَالنَّشِطَاتِ نَشْطًا)

و هم الملائكة أيضا، تجتذب الأرواح بقوة و نشاط، أو أن النزاع يكون لأرواح المؤمنين، و النشاط لأرواح الكفار.

(وَالسَّيِّحَاتِ)

أي: المترددات في الهواء صعودا و نزولا

(سَبَّحًا)

(فَالسَّيِّقَاتِ)

لغيرها

(سَبَقًا)

فتبادر لأمر الله، و تسبق الشياطين في إيصال الوحي إلى رسل الله حتى لا تسترقه .

(فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا)

الملائكة، الذين وكلهم الله أن يدبروا كثيرا من أمور العالم العلوي و السفلي، من الأمطار، و النبات، و الأشجار، و الرياح، و البحار، و الأجنة، و

الحيوانات، و الجنة، و النار و غير ذلك .

(يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ)

و هي قيام الساعة،

*الميسر: يوم تضطرب الأرض بالنفخة الأولى نفخة الإماتة،

(تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ)

أي: الرجفة الأخرى التي تردفها و تأتي تلوها،

*الميسر: تتبعها نفخة أخرى للإحياء.

(قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ)

أي: موجفة و منزعجة من شدة ما ترى وتسمع.

(أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ)

أي: ذليلة حقيرة، قد ملك قلوبهم الخوف،

و أذهل أفئدتهم الفزع، و غلب عليهم التأسف و استولت عليهم الحسرة.

يقولون أي: الكفار في الدنيا، على وجه التكذيب:

(يَقُولُونَ إِنْ نَأْمُرُكُمْ بِالتَّوْبَةِ)

*الميسر: أنرد بعد موتنا إلى ما كنا عليه أحياء في الأرض؟

قالوا: رجعتنا تلك ستكون إذا خائب كاذبة.

(إِنْ نَأْمُرُكُمْ بِالتَّوْبَةِ)

أي: بالية فتاتا.

(قَالُوا نَلَاكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ)

أي: استبعدوا أن يبعثهم الله و يعيدهم بعدما كانوا عظاما نخرة،
جهلا منهم بقدرة الله، و تجروا عليه.

*الجزائري: يعنون أنهم إذا عادوا إلى الحياة مرة أخرى
فإن هذه العودة تكون خاسرة و هي بالنسبة إليهم
كذلك إذ سيخسرون فيها كل شيء حتى أنفسهم كما قال تعالى
{ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ } [الزمر: 15]
قال الله في بيان سهولة هذا الأمر عليه:

(فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ)

ينفخ فيها في الصور. فإذا الخلائق كلهم
*** { وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ } [القمر: 50] وَ قَالَ تَعَالَى:
{ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ } [النحل: 77]
قَالَ مُجَاهِدٌ: { فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ } صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ.

(فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ)

أي: على وجه الأرض، قيام ينظرون، فيجمعهم الله و يقضي بينهم بحكمه
العدل و يجازيهم.
*** كَانُوا بِأَسْفَلِهَا فَأُخْرِجُوا إِلَىٰ أَعْلَاهَا.
يقول الله تعالى لنبه محمد ﷺ:

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى)

و هذا الاستفهام عن أمر عظيم متحقق وقوعه. أي: هل أتاك حديثه .

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
 فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَرْكَىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾
 فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾
 فَخَشَرَ فَادَّىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾
 فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾
 ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيَهَا ﴿٢٨﴾
 وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾
 أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَّعَا لَكُمْ وَلِأَنْعِمَكُمُ ﴿٣٣﴾
 فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾
 وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾
 فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾
 فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾
 فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا ﴿٤٤﴾
 إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُورَثُهَا لِرَبِّهِمْ إِلَّا عِشَّةَ أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ أَن تَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٢٦﴾

(إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى)

و هو المحل الذي كلمه الله فيه، و امتن عليه بالرسالة،
و اختصه بالوحي و الاجتباء فقال له

(أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى)

أي: فانهه عن طغيانه وشركه وعصيانه، بقول لين، وخطاب لطيف،

{فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: 44]

(فَقُلْ) له:

(هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ أَن تَزَكَّى)

أي: هل لك في خصلة حميدة، و محمودة جميلة،

يتنافس فيها أولو الألباب،

و هي أن تزكي نفسك و تطهرها من دنس الكفر و الطغيان،

إلى الإيمان و العمل الصالح؟

(وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ)

أي: أدلك عليه، و أبين لك مواقع رضاه، من مواقع سخطه.

(فَنَخْشَى)

الله إذا علمت الصراط المستقيم، فامتنع فرعون مما دعاه إليه موسى.

(فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى) أي: جنس الآية الكبرى، فلا ينافي تعددها

{ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (107) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ

{ [الأعراف: 107، 108]

(فَكَذَّبَ)

بالحق

(وَعَصَى)

الأمر،

(ثُمَّ أَذْبَرَ يَمِينَهُ)

أي: يجتهد في مبارزة الحق و محاربته،

(فَنَحْشُرَ)

جنوده أي: جمعهم

(فَنَادَىٰ (٣٣) فَقَالَ)

لهم:

(أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ)

فأذعنوا له وأقروا بباطله حين استخفهم،

* { فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ } [الزخرف: 54]
الفسق يؤدي الي تقبل أي مفاهيم خاطئة بسبب الرين علي
القلوب

(فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ)

*عقوبة:الميسر

أي: صارت عقوبته دليلا و زاجرا، و مينة لعقوبة الدنيا والآخرة،

*** { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بِنُصْرَةِ الْوَعْدِ } [هُود: 99]

*الجزائري :

عذبه تعالى عذاب الآخرة-و هو قوله أنا ربكم الأعلى
وعذاب الأولى: و هي قوله ما علمت لكم من إله غيري.

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ)

فإن من يخشى الله هو الذي ينتفع بالآيات و العبر،
فإذا رأى عقوبة فرعون، عرف أن كل من تكبر و عصى،

و بارز الملك الأعلى، عاقبه في الدنيا و الآخرة،
و أما من ترحلت خشية الله من قلبه، فلو جاءته كل آية لم يؤمن بها .

ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَّتْهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ
ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾
وَالْجِبَالَ أَرْسَنَهَا ﴿٣٢﴾

يقول تعالى مبينا دليلا واضحا لمنكري البعث و مستبعدي إعادة الله
للأجساد:

(ءَأَنْتُمْ)

أيها البشر

(أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ^ع)

ذات الجرم العظيم، والخلق القوي، والارتفاع الباهر

*** { لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ } [غَافِرٍ: 57]

(بَنَّتْهَا)

الله.

(رَفَعَ سَمَكَهَا)

أي: جرمها و صورتها،

(فَسَوَّيْنَاهَا)

بِأَحْكَامٍ وَإِتْقَانٍ يَحِيرُ الْعُقُولَ، وَ يَذْهَلُ الْأَلْبَابَ،
*** جَعَلَهَا عَالِيَةً الْبِنَاءِ، بَعِيدَةً الْفَنَاءِ، مُسْتَوِيَةً الْأَرْجَاءِ،
مُكَلَّلَةً بِالْكَوَاكِبِ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ.

(وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا)

أي: أظلمه، فعمت الظلمة جميع أرجاء السماء، فأظلم وجه الأرض،

(وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا)

أي: أظهر فيه النور العظيم، حين أتى بالشمس،
فاتمد الناس في مصالح دينهم و دنياهم.

(وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ)

أي: بعد خلق السماء

(دَحَنَهَا)

أي: أودع فيها منافعها.

و فسر ذلك بقوله:

(أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَهَا)

الاعجاز العلمي في من هنا

أي: ثبتها في الأرض. فدحى الأرض بعد خلق السماء،
كما هو نص هذه الآيات الكريمة .

و أما خلق نفس الأرض، فمقدم على خلق السماء كما قال تعالى:

{ قُلْ أَنتَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا
ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا
أَفْوَاقَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ (10) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ }

[فصلت: 9 - 11]

فالذي خلق السماوات العظام و ما فيها من الأنوار و الأجرام، و الأرض
الكثيفة الغبراء، و ما فيها من ضروريات الخلق و منافعهم،
لا بد أن يبعث الخلق المكلفين، فيجازيهم على أعمالهم،
فمن أحسن فله الحسنی،

و من أساء فلا يلومن إلا نفسه،

*** وَدَحْيَاهَا أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَاءَ وَالْمَرْعَى، وَ شَقَّقَ فِيهَا الْأَنْهَارَ،
وَجَعَلَ فِيهَا الْجِبَالَ وَالرَّمَالَ وَالسُّبُلَ وَالْأَكَامَ،

(وَالْجِبَالَ أَرْسَنَهَا)

*** قَرَّرَهَا وَأَثْبَتَهَا وَأَكْدَهَا فِي أَمَاكِنِهَا، وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ، الرَّءُوفُ
بِخَلْقِهِ الرَّحِيمُ

(مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعِمَ كُمْ)

***دَحَا الْأَرْضَ فَانْبَعَ عُيُونُهَا، وَ أَظْهَرَ مَكْنُونَهَا، وَ أَجْرَى أَنْهَارَهَا،
وَ أَنْبَتَ زُرُوعَهَا وَ أَشْجَارَهَا وَ ثَمَارَهَا، وَ ثَبَّتَ جِبَالَهَا،
لِتَسْتَقِرَّ بِأَهْلِهَا وَ يَقَرَّ قَرَارُهَا،
كُلُّ ذَلِكَ مَتَاعًا لِيَخْلِقَهُ وَ لِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَنْعَامِ الَّتِي يَأْكُلُونَهَا
وَ يَرْكَبُونَهَا مُدَّةَ احْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ الْأَمَدُ،
وَ يَنْقُضِيَ الْأَجَلُ.

و لهذا ذكر بعد هذا القيام الجزاء ، فقال :

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّائِمَةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ
لِمَنْ يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾

(فَإِذَا جَاءَتِ الطَّائِمَةُ الْكُبْرَى)

أي: إذا جاءت القيامة الكبرى، و الشدة العظمى،

التي يهون عندها كل شدة،

فحينئذ يذهل الوالد عن ولده، و الصاحب عن صاحبه و كل محب عن

حبيبه .

*** سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَطْمُ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ هَائِلٍ مُفْطِعٍ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمَرٌ} [الْقَمَرِ: 46] .

و (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى)

في الدنيا، من خير و شر، فيتمنى زيادة مثقال ذرة في حسناته،
و يغمه و يحزن لزيادة مثقال ذرة في سيئاته.

و يعلم إذ ذاك أن مادة ربحه و خسارانه ما سعاه في الدنيا،
و ينقطع كل سبب و وصلة كانت في الدنيا سوى الأعمال.

*** كَمَا قَالَ: {يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى} [الفَجْر: 23] .

(وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى)

أي: جعلت في البراز، ظاهرة لكل أحد، قد برزت لأهلها،
و استعدت لأخذهم، منتظرة لأمر ربها.

(فَأَمَّا مَنْ طَغَى)

أي: جاوز الحد، بأن تجرأ على المعاصي الكبار،
و لم يقتصر على ما حده الله.

(وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

على الآخرة فصار سعيه لها، و وقته مستغرقا في حظوظها و شهواتها،
و نسي الآخرة و ترك العمل لها.

(فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى)

له أي: المقر و المسكن لمن هذه حاله،

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ)

أي: خاف القيام عليه و مجازاته بالعدل، فأثر هذا الخوف في قلبه

(وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى)

فنهى نفسه عن هواها الذي يقيدها عن طاعة الله،

و صار هواه تبعا لما جاء به الرسول،

و جاهد الهوى و الشهوة الصادين عن الخير،

(فَإِنَّ الْجَنَّةَ)

المشتملة على كل خير و سرور و نعيم

(هِيَ الْمَأْوَى)

لمن هذا وصفه.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴿٤٤﴾

إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

*جاء في الصحيح المسند لاسباب النزول

ابن جرير عن عائشة قالت لم يزل النبي ﷺ يسأل عن الساعة حتى

أنزل الله عز وجل {فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا* إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا} .

يَسْأَلُونَكَ

أي: يسألك المتعنتون المكذبون بالبعث

(عَنِ السَّاعَةِ)

متى وقوعها و

(أَيَّانَ مُرْسَهَا)

فأجابهم الله بقوله:

(فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا)

أي: ما الفائدة لك و لهم في ذكرها و معرفة وقت مجيئها؟

فليس تحت ذلك نتيجة،

و لهذا لما كان علم العباد للساعة ليس لهم فيه مصلحة دينية و لا دنيوية،

بل المصلحة في خفائه عليهم،

طوى علم ذلك عن جميع الخلق، و استأثر بعلمه فقال:

(إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا)

أي: إليه ينتهي علمها، كما قال في الآية الأخرى:

{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيفٌ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }

[الأعراف: 187]

*معني حضي: حريص علي العلم بها

***وَ قَالَ هَاهُنَا: { إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا }

وَلِهَذَا لَمَّا سَأَلَ جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ وَقْتِ السَّاعَةِ قَالَ:
" مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، " البخاري (50)

(إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا)

أي: إنما نذارتك نفعها لمن يخشى مجيء الساعة،
و يخاف الوقوف بين يديه،

فهم الذين لا يهتمهم سوى الاستعداد لها و العمل لأجلها.

و أما من لا يؤمن بها، فلا يبالي به و لا بتعنته،

لأنه تعنت مبني على العناد والتكذيب،

و إذا وصل إلى هذه الحال، كان الإجابة عنه عبثاً، ينزه الحكيم عنه

(كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا)

***إِذَا قَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الْمَحْشَرِ يَسْتَقْصِرُونَ مَدَّةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،
حَتَّى كَأَنَّهَا عِنْدَهُمْ كَانَتْ عَشِيَّةً مِنْ يَوْمٍ أَوْ ضَحًى مِنْ يَوْمٍ.
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:

{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً}
أَمَّا عَشِيَّةٌ: فَمَا بَيْنَ الظُّهْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ،
{أَوْ ضُحَاهَا}

مَا بَيْنَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ.

<http://www.eajaz.org/index.php/Scientific-Miracles/Earth-and-Marine-Sciences/167-And-the-earth-then-Dhaha-30-out-of-its-water-and-pasture-31-Pluckers>

دحو الأرض في العلوم الكونية

أولاً: إخراج كل ماء الأرض من جوفها

كوكب الأرض هو أغني كواكب مجموعتنا الشمسية في المياه
ولذلك يطلق عليه اسم (الكوكب المائي) أو (الكوكب الأزرق)
وتغطي المياه نحو 71% من مساحة الأرض،
بينما تشغل اليابسة نحو 29% فقط من مساحة سطحها

و تقدر كمية المياه علي سطح الأرض بـ 1360 مليون كيلومتر مكعب (91*10³)؛

و قد حار العلماء منذ القدم في تفسير كيفية تجمع هذا الكم الهائل من المياه علي سطح الأرض من أين أتى؟ و كيف نشأ؟

وقد وضعت نظريات عديدة لتفسير نشأة الغلاف المائي للأرض تقترح

1- احداها نشأة ماء الأرض في المراحل الأولى من خلق الأرض

و ذلك بتفاعل كل من غازي الأيدروجين و الأوكسجين في حالتهم الذرية في الغلاف الغازي المحيط بالأرض

2- و تقترح ثانية أن ماء الأرض أصله من جليد المذنبات

3- و تري الثالثة أن كل ماء الأرض قد أخرج أصلا من داخل الأرض

والشواهد العديدة التي جمعت لدي العلماء تؤكد أن كل ماء الأرض قد أخرج أصلا من جوفها

و لايزال خروجه مستمرا من داخل الأرض عبر الثورات البركانية

ثانيا: إخراج الغلاف الغازي للأرض من جوفها

بتحليل الأبخرة المتصاعدة من فوهات البراكين في أماكن مختلفة من

الأرض اتضح أن بخار الماء تصل نسبته إلي أكثر من 70% من مجموع

تلك الغازات والأبخرة البركانية

بينما يتكون الباقي من اخلاط مختلفة من الغازات التي ترتب حسب نسبة

كل منها علي النحو التالي:

ثاني أكسيد الكربون

الإيدروجين،

أبخرة حمض الأيدروكلوريك (حمض الكلور)،

النيتروجين،

فلوريد الإيدروجين

ثاني أكسيد الكبريت

كبريتيد الإيدروجين

غازات الميثان والأمونيا وغيرها

ويصعب تقدير كمية المياه المندفعة علي هيئة بخار الماء إلي الغلاف

الغازي للأرض من فوهات البراكين الثائرة

علما بأن هناك نحو عشرين ثورة بركانية عارمة في المتوسط تحدث

في خلال حياة كل فرد منا

و لكن مع التسليم بأن الثورات البركانية في بدء خلق الأرض كانت أشد

تكرارا وعنفا من معدلاتها الراهنة

فإن الحسابات التي أجريت بضرب

[متوسط ما تنتجه الثورة البركانية الواحدة من بخار الماء من فوهة

واحدة]

X [متوسط مرات ثورانها في عمر البركان]

X [عدد الفوهات والشقوق البركانية النشيطة والخامدة الموجودة اليوم

علي سطح الأرض]

=

أعطت رقما قريبا جدا من الرقم المحسوب بكمية المياه علي سطح

الأرض (1360 مليون كم³)

ثالثا: الصحارة الصخرية في نطاق الضعف الأرضي هي مصدر مياه و

غازات الأرض:

ثبت أخيرا أن المياه تحت سطح الأرض توجد علي أعماق تفوق كثيرا

جميع التقديرات السابقة

كما ثبت أن بعض مياه البحار والمحيطات تتحرك مع رسوبيات قيعانها الزاحفة إلي داخل الغلاف الصخري للأرض بتحريك تلك القيعان تحت كتل القارات،

و يتسرب الماء إلي داخل الغلاف الصخري للأرض عبر شبكة هائلة من الصدوع والشقوق التي تمزق ذلك الغلاف في مختلف الاتجاهات

و تحيط بالأرض إحاطة كاملة بعمق يتراوح بين 150,65 كيلومترا. و يبدو أن الصحارة الصخرية في نطاق الضعف الأرضي هي مصدر رئيسي للمياه الأرضية،

و تلعب دورا مهما في حركة المياه من داخل الأرض إلي السطح وبالعكس،

وذلك لأنه لولا امتصاصها للمياه ما انخفضت درجة حرارة انصهار الصخور،

و هي إذا لم تنصهر لتوقفت ديناميكية الأرض بما في ذلك الثورات البركانية،

و قد ثبت أنها المصدر الرئيسي للغلاف المائي و الغازي للأرض و علي ذلك فقد أصبح من المقبول عند علماء الأرض أن النشاط البركاني الذي صاحب تكوين الغلاف الصخري للأرض في بدء خلقها هو المسئول عن تكون كل من غلافها المائي والغازي

و لاتزال ثورات البراكين تلعب دورا مهما في إثراء الأرض بالمياه و في تغيير التركيب الكيميائي لغلافها الغازي

و هو المقصود بدحو الأرض

وذلك نابع من حقيقة أن الماء هو السائل الغالب في الصحارات الصخرية علي الرغم من أن نسبته المئوية إلي كتلة الصحارة قليلة بصفة عامة

و لكن نسبة عدد جزيئات الماء إلي عدد جزيئات مادة الصهارة تصل إلي نحو 15%،

و عندما تتبرد الصهارة الصخرية تبدأ مركباتها في التبلور بالتدريج و تتضاغط الغازات الموجودة فيها إلي حجم أقل و تتزايد ضغوطها حتي تفجر الغلاف الصخري للأرض بقوة تصل إلي مائة مليون طن، فتشق ذلك الغلاف و تبدأ الغازات في التمدد و الانفلات من الذوبان في الصهارة الصخرية و يندفع كل من بخار الماء والغازات المصاحبة له والصهارة الصخرية إلي خارج فوهة البركان أو الشقوق المتصاعدة منها مرتفعة إلي عدة كيلومترات لتصل إلي كل أجزاء نطاق التغيرات المناخية

(8 18 كيلومترا فوق مستوى سطح البحر)،

و قد تصل هذه النواتج البركانية في بعض الثورات البركانية العنيفة إلي نطاق التطبيق

(30 80 كيلومترا فوق مستوى سطح البحر

و غالبية مادة السحاب الحار الذي تتراوح درجة حرارته

بين 500,250 درجة مئوية يعاود الهبوط إلي الأرض

بسرعات تصل إلي 200 كيلومتر في الساعة

لأن كثافته أعلي من كثافة الغلاف الغازي للأرض

و الماء المتكثف من هذا السحاب البركاني الحار الذي يقطر مطرا من

بين ذرات الرماد التي تبقي عالقة بالغلاف الغازي للأرض لفترات طويلة

يجرف معه كميات هائلة من الرماد والحصى البركاني مكونا تدفقا

للطين البركاني الحار علي سطح الأرض في صورة من صور الدحو

ومنذ أيام ثار بركان في احدي جزر الفلبين فغمرت المياه المتكونة أثناء ثورته قرية مجاورة أهلة بالسكان بالكامل وقد يصاحب الثورات البركانية خروج عدد من الينابيع والنافورات الحارة وهي ثورات دورية للمياه والأبخرة شديدة الحرارة تندفع إلي خارج الأرض بفعل الطاقة الحرارية العالية المخزونة في أعماق القشرة الأرضية.

ويعتقد علماء الأرض أن وشاح كوكبنا كان في بدء خلقه منصهرا انصهارا كاملا أو جزئيا وكانت هذه الصهارة هي المصدر الرئيسي لبخار الماء وعدد من الغازات التي اندفعت من داخل الأرض وقد لعبت هذه الأبخرة والغازات التي تصاعدت عبر كل من فوهات البراكين وشقوق الأرض - ولا تزال تلعب - دورا مهما في تكوين وإثراء كل من الغلافين المائي والغازي للأرض وهو المقصود بالدحو

رابعة: دورة الماء حول الأرض:

شاءت إرادة الخالق العظيم أن يسكن في الأرض هذا القدر الهائل من الماء الذي يكفي جميع متطلبات الحياة علي هذا الكوكب، ويحفظ التوازن الحراري علي سطحه كما يقلل من فروق درجة الحرارة بين كل من الصيف والشتاء صونا للحياة بمختلف أشكالها ومستوياتها وهذا القدر الذي يكون الغلاف المائي للأرض موزونا بدقة بالغة فلو زاد قليلا لغطي كل سطحها ولو قل قليلا لقصر دون الوفاء بمتطلبات الحياة عليها

ولكي يحفظ ربنا(تبارك وتعالى) هذا الماء من التعفن والفساد حركه في دورة معجزة تعرف باسم دورة المياه الأرضية تحمل في كل 380,000 كيلو متر مكعب من الماء بين الأرض وغلافها الغازي ولما كانت نسبة بخار الماء في الغلاف الغازي للأرض ثابتة

فإن معدل سقوط الأمطار سنويا علي الأرض يبقي مساويا لمعدل البخر من علي سطحها وإن تباينت أماكن وكميات السقوط في كل منطقة حسب الإرادة الإلهية

ويبلغ متوسط سقوط الأمطار علي الأرض اليوم 85 سنتيمتر مكعب في السنة، ويتراوح بين 11,45 متر مكعب في جزر هاواي وصفر في كثير من صحاري الأرض.

وصدق رسول الله (ﷺ) إذ قال: ما من عام بأمر من عام
وإذ قال: ... من قال أمطرنا بنوء كذا أو نوء كذا فقد كفر؛ ومن قال
أمطرنا برحمة من الله وفضل فقد آمن

وتبخر أشعة الشمس من أسطح البحار والمحيطات 320,000 كيلو متر
مكعب من الماء في كل عام

وأغلب هذا التبخر من المناطق الاستوائية حيث تصل درجة الحرارة في
المتوسط إلى 25 درجة مئوية،

بينما تسقط علي البحار والمحيطات سنويا من مياه الأمطار 284,000 كيلو
مترا مكعبا، ولما كان منسوب المياه في البحار والمحيطات يبقي ثابتا
في زماننا

فإن الفرق بين كمية البخر من أسطح البحار والمحيطات وكمية ما
يسقط عليها من مطر لابد وأن يفيض إليها من القارات
وبالفعل فإن البخر من أسطح القارات يقدر بستين ألف كيلو متر مكعب
بينما يسقط عليها سنويا ستة وتسعون ألفا من الكيلو مترات المكعبة من
ماء المطر والفرق بين الرقمين بالإيجاب هو نفس الفرق بين كمية
البخر وكمية المطر في البحار والمحيطات 36,000 كيلو متر مكعب)
فسبحان الذي ضبط دورة المياه حول الأرض بهذه الدقة الفائقة

ويتم البخر علي اليابسة من أسطح البحيرات والمستنقعات والبرك، والأنهار، وغيرها من المجاري المائية ومن أسطح تجمعات الجليد وبطريقة غير مباشرة من أسطح المياه تحت سطح الأرض ومن عمليات تنفس وعرق الحيوانات ونتح النباتات ومن فوهات البراكين.

ولما كان متوسط ارتفاع اليابسة 820 مترا فوق مستوى سطح البحر، ومتوسط عمق المحيط 3800 مترا تحت مستوى سطح البحر، فإن ماء المطر الذي يفيض سنويا من اليابسة إلي البحار والمحيطات (ويقدر بستة وثلاثين ألفا من الكيلومترات المكعبة) ينحدر مولدا طاقة ميكانيكية هائلة تفتت صخور الأرض وتتكون منها الرسوبيات والصخور الرسوبية بما يتركز فيها من ثروات أرضية ومكونة التربة الزراعية اللازمة لإنبات الأرض، ولو أنفقت البشرية كل ما تملك من ثروات مادية ما استطاعت أن تدفع قيمة هذه الطاقة التي سخرها لنا ربنا من أجل تهيئة الأرض لكي تكون صالحة للعمران...!!!!.

خامسا: توزيع الماء علي سطح الأرض:

تقدر كمية المياه علي سطح الأرض بـ 1360 مليون كيلو متر مكعب أغلبها علي هيئة ماء مالح في البحار والمحيطات (97,20%)، بينما يتجمع الباقي (2,8%) علي هيئة الماء العذب بأشكاله الثلاثة الصلبة، والسائلة، والغازية؛ منها (2,1% من مجموع مياه الأرض) علي هيئة سمك هائل من الجليد يغطي المنطقتين القطبيتين الجنوبية والشمالية بسمك يقترب من الأربعة كيلو مترات كما يغطي جميع القمم الجبلية العالية والباقي يقدر بنحو 0.6% فقط من مجموع مياه الأرض يختزن أغلبه في صخور القشرة الأرضية علي

هيئة مياه تحت سطح الأرض تليه في الكثرة النسبية مياه البحيرات العذبة، ثم رطوبة التربة الأرضية ثم رطوبة الغلاف الغازي للأرض ثم المياه الجارية في الأنهار وتفرعاتها

وحيثما يرتفع بخار الماء من الأرض إلي غلافها الغازي فإن أغلبه يتكثف في نطاق الرجوع (نطاق الطقس أو نطاق التغيرات المناخية) الذي يمتد من سطح البحر إلي ارتفاع يتراوح بين 16 و 17 كيلو مترا فوق خط الاستواء، وبين 6 و 8 كيلو مترات فوق القطبين

ويختلف سمكه فوق خطوط العرض الوسطي باختلاف ظروفها الجوية فينكمش الي ما هو دون السبعة كيلو مترات في مناطق الضغط المنخفض ويمتد إلي نحو الثلاثة عشر كيلو مترا في مناطق الضغط المرتفع، وعندما تتحرك كتل الهواء الحار في نطاق الرجوع من المناطق الاستوائية في اتجاه القطبين فإنها تضطرب فوق خطوط العرض الوسطي فتزداد سرعة الهواء في اتجاه الشرق متأثرا باتجاه دوران الأرض حول محورها من الغرب إلي الشرق

ويضم هذا النطاق 66% من كتلة الغلاف الغازي للأرض وتتناقص درجة الحرارة والضغط فيه باستمرار مع الارتفاع حتي تصل الي نحو 6 درجة مئوية تحت الصفر والي عشر الضغط الجوي العادي عند سطح البحر في قمته المعروفة باسم مستوي الركود الجوي وذلك لتناقص الضغط بشكل ملحوظ عنده

ونظرا لهذا الانخفاض الملحوظ في كل من درجة الحرارة والضغط الجوي، والي الوفرة النسبية لنوي التكثف في هذا النطاق فإن بخار الماء الصاعد من الأرض يتمدد تمدا ملحوظا مما يزيد في فقدانه لطاقته وتبرده تبردا شديدا ويساعد علي تكثفه وعودته الي الأرض مطرا أو بردا

أو ثلجاً، وبدرجة أقل علي هيئة ضباب وندي في المناطق القريبة من الأرض.

سادساً: دحو الأرض معناه إخراج غلافها المائي والغازي من جوفها
ثبت أن كل ماء الأرض قد أخرجه ربنا (تبارك وتعالى) من داخل الأرض عن طريق الأنشطة البركانية المختلفة المصاحبة لتحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض.

كذلك فإن ثاني أكثر الغازات اندفاعاً من فوهات البراكين هو ثاني أكسيد الكربون، وهو لازمة من لوازم عملية التمثيل الضوئي التي تقوم بتنفيذها النباتات الخضراء مستخدمة هذا الغاز مع الماء وعدداً من عناصر الأرض لبناء خلايا النبات وأنسجته وزهوره، وثماره، ومن هنا عبر القرآن الكريم عن إخراج هذا الغاز المهم وغيره من الغازات اللازمة لإنبات الأرض من باطن الأرض تعبيراً مجازياً بإخراج المرعي، لأنه لولا ثاني أكسيد الكربون ما أنبتت الأرض ولا كستها الخضرة.

سابعاً: من معجزات القرآن الإشارة إلي تلك الحقائق العلمية بلغة سهلة جزلة:

علي عادة القرآن الكريم فإنه عبر عن تلك الحقائق الكونية المتضمنة إخراج كل من الغلافين المائي والغازي للأرض من داخل الأرض بأسلوب لا يفرغ العقلية البدوية في صحراء الجزيرة العربية وقت تنزله فقال (عز من قائل): **(والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها)** والعرب في قلب الجزيرة العربية كانوا يرون الأرض تتفجر منها عيون الماء، ويرون الأرض تكسي بالعشب الأخضر بمجرد سقوط المطر ففهموا هذا المعني الصحيح الجميل من هاتين الآيتين الكريمتين ثم تأتي نحن اليوم فنري في نفس الآيتين رؤية جديدة مفادها أن الله

(تعالي) يمن علي الأرض وأهلها وعلي جميع من يحيا علي سطحها أنه
(سبحانه) قد هياها لهذا العمران بإخراج كل من أغلفتها الصخرية
والمائية والغازية من جوفها حيث تصل درجات الحرارة الي آلاف
الدرجات المئوية مما يشهد لله الخالق بطلاقة القدرة وببديع الصنعة
وبكمال العلم، وتمام الحكمة، كما يشهد للنبي الخاتم والرسول الخاتم
الذي تلقي هذا الوحي الخاتم بأنه(ﷺ) كان موصولا بالوحي، ومعلما من
قبل خالق السموات والأرض
فلم يكن لأحد من الخلق وقت تنزل القرآن الكريم ولا لقرون متطاولة
من بعده إلمام بحقيقة ان كل ماء الأرض
وكل هواء الأرض قد أخرجه ربنا(تبارك وتعالى) من داخل الأرض،
وهي حقيقة لم يدركها الإنسان الا في العقود المتأخرة من القرن
العشرين

80-سورة عبس -مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكَى ۝ (٣)
أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِكْرَى ۝ (٤) أَمَّا مَنْ أَسْتَغْنَى ۝ (٥) فَآتَىٰ لَهُ تَصَدَّى ۝ (٦)
وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَى ۝ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝ (٨) وَهُوَ يَخْشَى ۝ (٩) فَآتَىٰ عَنْهُ نَلْحَى ۝ (١٠)
كَلَّا إِنَّمَا نَذِيرٌ ۝ (١١) مَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۝ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ (١٣) رَفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝ (١٤)
بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝ (١٦) قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ۝ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝ (١٨)
مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۝ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۝ (٢٠) ثُمَّ أَمَانَهُ وَأَقْبَرَهُ ۝ (٢١)
ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ۝ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ۝ (٢٣)
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۝ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝ (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝ (٢٦)
فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ (٢٧) وَعَبْنَا وَقَضْبًا ۝ (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝ (٣٠)
وَفَيْكِهَةً وَأَبًّا ۝ (٣١) مَتَّعًا لَّكُمْ وَلِيَنْعَمِ لَكُمْ ۝ (٣٢)
فَإِذَا جَاءَتْ الصَّاعَةُ ۝ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ (٣٤) وَأُمِّيهِ وَأَبِيهِ ۝ (٣٥)
وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ ۝ (٣٦) لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝ (٣٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝ (٣٨)
ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝ (٤١)
أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْفَجَرَةُ ۝ (٤٢)

80-تفسير سورة عبس-و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَنُّ ﴿٣﴾ أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ
الذِّكْرَى ﴿٤﴾ أَمَّا مَنْ أَسْتَفَنَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَنَّا ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ
جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١٠﴾

*جاء في الصحيح المسند لاسباب النزول

سنن الترمذي ت شاكو 333 - عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

أُنْزِلَ: {عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس: 1] فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومِ الْأَعْمَى،
أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرشِدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عِظَمَاءِ
الْمُشْرِكِينَ،
فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الْآخِرِ، وَيَقُولُ:
«أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟»
فَيَقُولُ: لَا، فَفِي هَذَا أُنْزِلَ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ»،
وَرَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:
«أُنْزِلَ عَبَسَ وَتَوَلَّى فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ

مسند أبي يعلى الموصلي

3123 - عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ {عَبَسَ وَتَوَلَّى}

[عبس: 1] جَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
وَهُوَ يَكْلِمُ أَبِي بَنٍ خَلْفٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ {عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس: 1]

قَالَ: فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يَكْرِهُهُ،

قَالَ قَتَادَةُ: وَأَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ:
رَأَيْتُهُ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ وَمَعَهُ رَايَةٌ سَوْدَاءُ - يَعْنِي ابْنَ أُمِّ
مَكْتُومٍ -

○ و سبب نزول هذه الآيات الكريمات،

أنه جاء رجل من المؤمنين أعمى يسأل النبي ﷺ ويتعلم منه.
وجاءه رجل من الأغنياء، و كان ﷺ حريصا على هداية الخلق،
فمال ﷺ وأصغى إلى الغني، و صد عن الأعمى الفقير،
رجاء لهداية ذلك الغني، و طمعا في تركيته، فعاتبه الله بهذا العتاب اللطيف،
فقال:

(عَبَسَ) أي: في وجهه

*ظهر التغير في وجه النبي ﷺ

*عاتبه الله مع ان عبد الله بن ام مكتوم أعمى لا يري النبي ﷺ
و هو عابس ليعلم الامة كلها ألا تقابل الناس بما يكرهون
(وَنَوَلَّيْ) (عَبَسَ)

في بدنه،

(أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى)

لأجل مجيء الأعمى له، ثم ذكر الفائدة في الإقبال عليه، فقال:

(وَمَا يَذْرُبُكَ لَعَلُّهُ) أي: الأعمى

(يَزْكِي) أي: يتطهر عن الأخلاق الرذيلة، و يتصف بالأخلاق الجميلة؟

(أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَى)

أي: يتذكر ما ينفعه، فيعمل بتلك الذكرى.

و هذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، و وعظ الوعاظ،
و تذكير المذكرين،

فإقبالك على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب،

(أَمَّا مَنْ أَسْتَغْنَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى)

و أما تصديقك و تعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل و لا يستفتي لعدم

رغبته في الخير، مع تركك من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك،

*الجزائري: عن الإيمان و العلم و الدين بالمال و الجاه.

*الميسر: فأنت تتعرض له و تصفي لكلامه

(وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكِي)

فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يتزك،

فلست بمحاسب على ما عمله من الشر.

فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه:

« لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، و لا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة »

و أنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من

غيره.

(وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى)

*الميسر: أما من كان حريصا على لقاءك،

(وَهُوَ يَخْشَى)

*الميسر: وهو يخشى الله من التقصير في الاسترشاد

(فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى)

***تَتَشَاغَلْ. وَمِنْ هَا هُنَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ﷺ
أَلَّا يَخْصَّ بِالْإِنذَارِ أَحَدًا، بَلْ يُسَاوِي فِيهِ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالضَّعِيفِ،
وَالْفَقِيرِ وَالْغَنِيِّ، وَالسَّادَةِ وَالْعَبِيدِ، وَالرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَالصَّغَارِ وَالْكِبَارِ.
ثُمَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ،
وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ

كَلَّا إِنَّهَا نَذِيرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾
بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ
نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾
كَلَّا لَمَّا يَقُضْ مَا أَمَرُهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾
ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَبْنَيْنَا فِيهَا جَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبْنَا وَقَضَبًّا ﴿٢٨﴾ وَزَيَّنَّاها نَخْلًا ﴿٢٩﴾
وَحَدَّيْنِ عُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَكَهَنَ أَبَا ﴿٣١﴾ مَتَعًا لَكُمْ وَلِنَعْمَكُمْ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى:

(كَلَّا إِنَّهَا نَذِيرَةٌ)

أي: حقا إن هذه الموعظة تذكرة من الله، يذكر بها عباده،
و يبين لهم في كتابه ما يحتاجون إليه، و يبين الرشد من الغي،
*** هَذِهِ السُّورَةُ، أَوِ الْوَصِيَّةُ بِالْمُسَاوَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِي إِبْلَاحِ الْعِلْمِ مِنْ
شَرِيفِهِمْ وَوَضِيْعِهِمْ.
وَرَقَالَ قَتَادَةُ وَلَاالسُّدِّيُّ: (كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ) يَعْنِي: الْقُرْآنَ،

فإذا تبين ذلك

(مَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ)

أي: عمل به، كقوله تعالى:

{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ}

[الكهف: 29]

ثم ذكر محل هذه التذكرة و عظمها و رفع قدرها، فقال:

(فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ)

*الميسر: و هو القرآن في صحف معظمة، موقرة،

(مَرْفُوعَةٍ)

القدر و الرتبة

(مُطَهَّرَةٍ)

*** مِنَ الدَّنَسِ وَ الزِّيَادَةِ وَ النَّقْصِ.

—من الآفاق و عن أن تنالها أيدي الشياطين أو يسترقوها، بل هي

(بِأَيِّ سَفَرٍ)

وهم الملائكة الذين هم السفراء بين الله و بين عباده،

(كِرَامٍ)

أي: كثيري الخير و البركة،

(بِرٍّ)

قلوبهم و أعمالهم.

وذلك كله حفظ من الله لكتابه، أن جعل السفراء فيه إلى الرسل الملائكة الكرام الأقوياء الأتقياء،

و لم يجعل للشياطين عليه سبيلا

و هذا مما يوجب الإيمان به و تلقيه بالقبول،

و لكن مع هذا أبى الإنسان إلا كفورا،

*** صحيح البخاري

قَالَ ﷺ عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ

«مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَةِ،
وَ مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ»

و لهذا قال تعالى:

(قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ)

لنعمة الله وما أشد معاندته للحق بعدما تبين،

***لَعَنَ وَ هَذَا لِحَنِسِ الْإِنْسَانِ الْمُكَذِّبِ؛ لِكَثْرَةِ تَكْذِيبِهِ بِلَا مُسْتَنْدٍ،

بَلْ مُجَرَّدَ الْإِسْتِبْعَادِ وَعَدَمِ الْعِلْمِ.
*** وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ:-

أَيُّ شَيْءٍ جَعَلَهُ كَافِرًا؟
أَيُّ: مَا حَمَلَهُ عَلَى التَّكْذِيبِ بِالْمَعَادِ .

(مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ)

و هو ما هو؟

هو من أضعف الأشياء،

(مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ)

خلقه الله من ماء مهين،

(فَقَدَّرَهُ)

ثم قدر خلقه، و سواه بشرا سويا، و أتقن قواه الظاهرة و الباطنة.

*** قَدَّرَ أَجَلَهُ وَ رِزْقَهُ وَ عَمَلَهُ وَ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ

(ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ)

أي: يسر له الأسباب الدينية و الدنيوية، و هداه السبيل،

و بينه و امتحنه بالأمر و النهي،

*** ثُمَّ يَسَّرَ عَلَيْهِ خُرُوجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ..

وَ قَالَ مُجَاهِدٌ: هَذِهِ كَقَوْلِهِ:

{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان: 3]

أَيُّ: بَيَّنَّا لَهُ وَ وَضَحْنَاهُ وَ سَهَّلْنَا عَلَيْهِ عَمَلَهُ

(مُتَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ)

أي: أكرمه بالدفن،

و لم يجعله كسائر الحيوانات التي تكون جيفها على وجه الأرض،

*** عقيدة حرق الموتى والحياة الآخرة -:(عند الهندوس)**

يعتقد أتباع الديانة البرهمية أن الأجسام عند حرقها بالنار ،
تعلو شعلتها فتتجه إلى الأعلى ، وبذا تصعدالروح إلى الملكوت ،
وتتخلص من غلاف الجسم ، ولا يتم ذلك إلا بإحراق آخر جزء
من أجزاء الجسم.

فإذا تخلصت الروح بالحرق كان أمامها عوالم ثلاث:

1-عالم الملائكة.

2-عالم الناس.

3-عالم جهنم.

فالبعث موضع اتفاق بين أتباع الديانة البرهمية

و إنه للأرواح لا الأجساد

***عقيدة القاء الموتى في نهر الغانج**

هو اشهر الأنهار في الهند. وهو يسمى غانجا في جميع اللغات

الهنديه. ويبلغ طوله 2506 كيلو متر7156ميلاً).

يبلغ حوض النهر حوالي 907.000 كم².

ويعتبر نهر الغانج من بين سبعة أنهار مقدسة عند الهندوس..

ويذهب إلى ضفاف الغانج ملايين الحجاج سنوياً لغسل خطاياهم

في مياهه. ويتدفق البراهمة والمنبوذون والملوك المتسولون...

بايجاز يتدفق الناس من كل طائفه ومذهب من الهند الهندوسيه
للغطس في امنا الغانج من اجل التطهر الروحي...
ويحج ما يقارب السبعين مليون شخص في يوم واحد كل اثنا
عشر سنة الى هذا النهر حيث يعتبر هذا اكبر تجمع بشري
ديني على الاطلاق
وتجري طقوس الاستحمام تحت اشراف كهنة هندوس من
الزهاد العراة الذين يغطون اجسادهم بالرماد ويعيشون في
كهوف وغابات ويقتاتون بالاعشاب والنباتات.
وطقس الاستحمام هذا هو الاول بين اربعة طقوس تجري طوال
فترة الحج التي تستغرق 42 يوما...
وبسبب تركم الجثث الملقاة في هذا النهر من بشر وكذلك
الحيوانات على مر العصور
حيث يعتقد الهندوس ان رمي الاموات في النهر نوع من التعبد
وايقاف لدائرة الحياة اللا طائل منها
وكذلك اعتقاد بعضهم ان رمي الاموات من الجهة الشمالية
للنهر توفر عودة الميت للحياة بهيئة شخص ميسور الحال
بينما من الجهات الاخرى تسبب عودة الميت
اما على شكل حمار او فأر وامور اخرى كثيرة
فكل هذه الاسباب ادت الى ان تصرح الكثير من منظمات العالم
التي تعني بالبيئة وبعد دراسات مستفيضة ان اقدس الانهار في
العالم (الغانج) هو اكثرها قذارة

(ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ)

أي: بعثه بعد موته للجزاء، فالله هو المنفرد بتدبير الإنسان و تصريفه بهذه التصاريف، لم يشاركه فيه مشارك،

***صحيح البخاري

4935 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

«مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟

قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟

قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ،

لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا

وَ هُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ، وَ مِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

(كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ)

و هو - مع هذا- لا يقوم بما أمره الله،

و لم يقض ما فرضه عليه، بل لا يزال مقصرا تحت الطلب.

*** كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَذَا الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ؛

مِنْ أَنَّهُ قَدْ آدَى حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ،

-ثم أرشده تعالى إلى النظر و التفكير في طعامه،

و كيف وصل إليه بعدما تكررت عليه طبقات عديدة، و يسره له فقال:

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا)

أي: أنزلنا المطر على الأرض بكثرة.

(ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا)

للنبات

(فَأَنْبَتْنَا فِيهَا)

أصنافا مصنفة من أنواع الأطعمة اللذيذة، و الأقوات الشهية

(حَبًّا)

و هذا شامل لسائر الحبوب على اختلاف أصنافها،

*** فَالْحَبُّ: كُلُّ مَا يُذَكَّرُ مِنَ الْحُبُوبِ،

*الجزائري :الحب الحنطة و الشعير

(وَعِنَبًا وَقَضْبًا)

و هو القت،

*** وَ الْقَضْبُ هُوَ: الْفَصْفَصَةُ الَّتِي تَأْكُلُهَا الدَّوَابُّ رَطْبَةً.

وَ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: الْقَضْبُ الْعَلْفُ.

*الجزائري : القت و الرطب و سمي قضبا لأنه يقضب أي يقطع

مرة بعد مرة.

(وَزَيْتُونًا)

*** وَ هُوَ أَدَمٌ وَعَصِيرُهُ أَدَمٌ، وَ يُسْتَصْبَحُ بِهِ، وَ يَدَّهَنُ بِهِ.

(وَنَخْلًا)

***يُؤْكَلُ بَلَحًا بُسْرًا، وَ رُطْبًا، وَ تَمْرًا، وَ نَيْئًا، وَ مَطْبُوحًا،

وَ يُعْتَصَرُ مِنْهُ رُبٌّ وَ خَلٌّ.

و خص هذه الأربعة لكثرة فوائدها ومنافعها.

(وَحَدَائِقَ غُلْبًا)

أي: بساتين فيها الأشجار الكثيرة الملتفة،

*** أي: بساتين. قال الحسن، و قتادة: **غُلْبًا**: نَخْلٌ غِلَظٌ كِرَامٌ.

وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيضًا: **(غُلْبًا)** الشَّجَرُ الَّذِي يُسْتَظَلُّ بِهِ.

وَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ:

(وَحْدَائِقٍ غُلْبًا) أَي: طَوَالٌ.

وَ قَالَ عِكْرِمَةُ: **(غُلْبًا)** أَي: غِلَظُ الْأَوْسَاطِ.

وَفِي رِوَايَةٍ: غِلَظُ الرَّقَابِ ، أَلَمْ تَرَ إِلَى الرَّجُلِ إِذَا كَانَ غَلِيظَ الرَّقَبَةِ

قِيلَ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَغْلَبُ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ،

وَأَنشَدَ ابْنُ جَرِيرٍ لِلْفَرَزْدَقِ:

عَوَى فَأَثَارَ أَغْلَبٍ صَيْغَمِيًّا ... فَوَيْلَ ابْنِ الْمَرَاغَةِ مَا اسْتَثَارَا

(وَفَكَهَةٌ وَأَبَا)

الفاكهة: ما يتفكه فيه الإنسان، من تين و عنب و خوخ ورمان، و غير ذلك.

و الأب: ما تأكله البهائم و الأنعام،

*الجزائري: و الأب التبن و ما ترعاه البهائم.

*** وَ الْأَبُّ مَا أَنْبَتِ الْأَرْضُ، مِمَّا تَأْكُلُهُ الدَّوَابُّ وَلَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ -

وَ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: هُوَ الْحَشِيشُ لِلْبِهَائِمِ

- الْأَبُّ لِلْبِهَائِمِ كَالْفَاكِهِةِ لِبَنِي آدَمَ

وَهَذَا مُنْقَطِعٌ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ وَالصَّدِيقِ.

*** عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ **(عَبَسَ وَتَوَلَّى)**

فَلَمَّا أَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ: **(وَفَاكِهِةٌ وَأَبَا)**

قَالَ: عَرَفْنَا مَا الْفَاكِهِةُ، فَمَا الْأَبُّ؟

فَقَالَ: لَعَمْرُكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكْلُفُ ()
 *** وَ هَذَا مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ شَكْلَهُ وَجِنْسَهُ وَعَيْنَهُ،
 وَإِلَّا فَهُوَ وَكُلُّ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ، لِقَوْلِهِ:
 (فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً
 وَأَبًّا)
 و لهذا قال:

(مَنْعًا لَكُمْ وَلِاتَعْمَكُمْ)

التي خلقها الله و سخرها لكم،
 فمن نظر في هذه النعم أوجب له ذلك شكر ربه،
 و بذل الجهد في الإنابة إليه، و الإقبال على طاعته، و التصديق بأخباره.

فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أُخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾
 وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾
 ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَجُوهٌ يَوْمَذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾
 تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكُفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾
 (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ)

أي: إذا جاءت صيحة القيامة، التي تصخ لهولها الأسماع،
 *** أي: تُبَالِغُ فِي إِسْمَاعِهَا حَتَّى تَكَادُ تُصَمِّمُهَا .

و تنزعج لها الأفئدة يومئذ، مما يرى الناس من الأهوال و شدة الحاجة
لسالف الأعمال.

(يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ)

من أعز الناس إليه، و أشفقهم لديه،

(مِنْ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ)

(وَصَحْبِيهِ)

أي: زوجته

(وَبَيْنِهِ)

و ذلك لأنه

(لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ)

***صحيح مسلم

(2859) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ:

«يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاءَ غُرْلًا» قُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ النَّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ ﷺ:

«يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ»، ()

(غرلا) معناه غير مختونين جمع أغرل وهو الذي لم يختن وبقيت معه غرلته وهي قلفته
وهي الجلد التي تقطع في الختان
والمقصود أنهم يحشرون كما خلقوا لا شيء معهم ولا يفقد منهم شئ حتى الغرلة تكون
معهم]

أي: قد شغلته نفسه، و اهتم لفكائها، ولم يكن له التفات إلى غيرها،
فحينئذ ينقسم الخلق إلى فريقين:

١ - سعداء

٢ - أشقياء،

فأما السعداء،

(وَجْهٌ يُؤْمِدُ مُسْفِرَةٌ)

أي: قد ظهر فيها السرور و البهجة، مما عرفوا من نجاتهم، و فوزهم
بالنعيم،

*الجزائري: أي مضيئة.

(ضاحكةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ)

***مَسْرُورَةٌ فَرِحَتْ مِنْ سُرُورِ قُلُوبِهِمْ، قَدْ ظَهَرَ الْبَشْرُ عَلَى وُجُوهِهِمْ،
وَ هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْجَنَّةِ.

(وَجْهٌ)

الأشقياء

(يَوْمٌ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ)

*الجزائري: أي غبار.

(تَرْهَقُهَا)

أي: تغشاها

(قَزَّةٌ)

فهي سوداء مظلمة مدلهمة، قد أيست من كل خير،
و عرفت شقاءها و هلاكها.

(أُولَئِكَ)

الذين بهذا الوصف

(هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ)

أي: الذين كفروا بنعمة الله وكذبوا بآيات الله، وتجروا على محارمه.
*** الْكَفَرَةُ قُلُوبُهُمْ، الْفَجَرَةُ فِي أَعْمَالِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
{وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا} [نوح: 27] .

نسأل الله العفو والعافية إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين .

التربة والماء وأثرهما في إنبات الطعام

د. خلاف الغالبي

المغرب

لقد وردت الإشارة إلى كلمة الطعام ومشتقاتها في ثمانية

وأربعين موضعاً من القرآن الكريم،

لكن الحديث عن مراحل إخراج الطعام، جاءت في موضع واحد

فقط، وذلك في قوله-تعالى- في سورة عبس:-

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَيْنًا وَقَضْبًا)

و يستخلص من هذه الآيات أن إيجاد الطعام يمر بثلاث مراحل هي:-

1- مرحلة صب الماء (المرحلة الأولى)؛

2- ثم مرحلة شق الأرض (المرحلة الثانية)؛

3- فمرحلة الإنبات (المرحلة الثالثة)،

وهذه المرحلة تقتضي وجود طبقة سطحية تغطي الغلاف

الصخري للأرض، تعتبر مهذاً للنباتات، وهي التربة.

أهمية الماء بالنسبة للتجوية وتكوين التربة:-

التجوية:-

وهي التفكك والتفتت والتلف الطبيعي والعطب الحتمي

للصخور عند ملامستها لعناصر الطبيعة من ماء وهواء وكائنات حيوية،

فهي إذن نوع من التلاؤم والتكيف الصخري مع عناصر بيئة

جديدة، تطرأ عندما تنكشف الصخور على السطح، وهي مختلفة

تماماً عن الظروف الطبيعية السائدة داخل أعماق القشرة

الأرضية، حيث تكونت هذه الصخور.

(أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا)

حتى نبين قيمة الإشارة القرآنية في قوله- عز وجل:

(أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا) اخترنا أن نخصص فقرة مستقلة للحديث عن دور الماء في مختلف المراحل والعمليات المؤدية إلى إيجاد التربة وإنضاجها.

دور الماء في إنضاج التربة (ج.توريز/1992م):

تبدأ التربة في التكوين والتشكل مباشرة بعد تواجد أدنى أثر لحياة نباتية أو حيوانية في الجزء السطحي المتفكك الهش، بعد أول تحليل جيوكيميائي (التجوية) للأساس الجيولوجي (الصخرة الأصلية)،

ويمر تكوين التربة بثلاث مراحل هي:

1-تحلل الصخرة الأصلية (المرحلة الأولى)؛

2-التوفير المتزايد للمواد العضوية (المرحلة الثانية)؛

3-وتطور التربة وتمايز آفاقها (المرحلة الثالثة)،

وخلال هذه المرحلة يتم - عبر الحركات العمودية للماء

(من أعلى إلى أسفل ومن أسفل إلى أعلى، حسب الفصول)-

نقل عناصر وجزيئات طينية بالإضافة إلى عناصر ذائبة

ومتحللة (أملاح الكالسيوم، أكاسيد الماء، طين، وذبال)،

وانتقالات تلك العناصر من أعلى إلى أسفل أو من أسفل إلى

أعلى - بواسطة الماء - من شأنها إنضاج التربة وتمييز آفاقها

أهمية التجوية (ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا):

من دون حصول التجوية فإن القارات ستظهر على شكل صخور

صلدة قاسية، خالية من أي غطاء ترابي،

وبالتالي سوف تستحيل حياة النبات والحيوان على هذا الكوكب (و.ك. هامبلن/W.K.Hamblin؛ إ.ه. كريسيانسن/E.H.Christiansen 2001م).

أهمية التربة في حياة الإنسان

(فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَيْنًا وَقَضْبًا *..):

للتربة في حياة الإنسان دور أساس وحيوي جداً. وبدون استغلالها لا يمكن لحياة المجتمعات الإنسانية أن تستقيم، إذ تقوم بأربعة أدوار رئيسة بالنسبة لحياة الإنسان وصحته (أ. رويلان/A. Ruellan، م. دوسو/M. Dosso 1993م).

وهذه الوظائف هي ما نطلق عليه الأدوار.. كما يلي:

1- الدور الحيوي:

فالتربة تؤوي — جزئياً أو كلياً — العديد من الأنواع الحيوانية والنباتية؛ كما أن الكثير من الدورات الحياتية تمر عبر التربة، التي تمثل جزءاً مهماً جداً من العديد من الأنظمة البيئية.

2- الدور الغذائي:

وهو الدور الذي رأينا الإشارة إليه في قوله — تعالى: (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَيْنًا وَقَضْبًا *..): إذ تحتوي التربة على عدد من العناصر الضرورية للحياة (الماء، الهواء، الكالسيوم، البوتاسيوم...)، تجمعها التربة وتضعها رهن إشارة النباتات والحيوانات.

3- الدور البيئي (أو دور المصفاة):

وذلك بتنقية المياه التي تنفذ عبر التربة وبالتالي تحسين جودتها الكيميائية والحيوية، قبل أن تعود مرة أخرى لملء

العيون والآبار والأنهار، وقد تم استغلال هذه الخاصية بتصنيع مصافٍ طينية لتنقية وتطهير المياه المستعملة (مياه الصرف الصحي)، من أجل إعادة تدويرها.

4- دور مادة البناء:

حيث تستعمل التربة كركيزة وكمادة بناء في نفس الوقت لتشييد البنايات والطرق والقنوات والسدود...، كما تستعمل كمادة أولية أساسية في الصناعات الخزفية.

لسان العرب. ج1 ص363.

(2) لسان العرب ج1 ص515 بتصرف.

(3) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ط280.

(4) مفردات القرآن للأصبهاني ط271.

(5) لسان العرب ج10 ص181 باختزال.

(6) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ج3 ص131.

(7) الطمي من طما: إذا علا وارتفع (لسان العرب)؛ وفي علم الرواسب، الطمي

(Silt/Limon): وهي أقسام ذات مقياس حبيبي تتراوح جزيئاتها ما بين 20

ميكرون -1 ميكرون = 1000 ملليمتر - (معجم المصطلحات الجغرافية).

(8) من كتاب (في ظلال القرآن) ج6 ط383، بتصرف.

(9) التحرير والتنوير ج3 ص130.

(10) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، ومسلم في كتاب الفتن وأشراف

الساعة.

(11) رواه أحمد.

<http://www.quran->

m.com/firas/arabicold/print_details.php?page=show_det&id=263

ونحن إذا نظرنا في الآية نظرة علمية نجد العجب العجاب ،

حيث أن المصدر الأصلي ، لطعام الإنسان والحيوان وباقي

الكائنات الحية غير ذاتية التغذية هو النبات والكائنات الحية

ذاتية التغذية الأخرى ،

والتي يضعها العلماء في المملكة النباتية أو مملكة البدائيات أو
مملكة الطلائعيات

هي التي تثبت الطاقة الشمسية في وجود الماء وثاني أكسيد
الكربون ومعادن الأرض وأملأها ،

وتحولها بقدرة الله وفي وجود اليخضور وخلافه إلى
روابط كيميائية غنية بالطاقة في المواد الغذائية والسكريات
أو المواد الكربوهيدراتية

هي من أول المركبات الغذائية تكويناً ومنها تستطيع بعض
الكائنات الحية ، بما أودع الله فيها من أسباب العيش والحياة
وقدرات حيوية تستطيع تكوين باقي المواد الغذائية من دهون
وبروتين و خلافه

وأن النبات وبعض الكائنات الحية الدقيقة هي مصدر
الفيتامينات اللازمة لحياة الكائنات الحية .

والأرض هي مصدر المعادن ومعظم المعادن الأملاح الضرورية
لحياة الكائنات الحية وعلى رأسها الإنسان والنبات والحيوان ،
والكائنات الحية الدقيقة والبدائيات والطلائعيات .

ولقد ربطت الآيات الكريمة في إعجاز معجزين عوامل تكوين
الغذاء (الطعام) وهي الماء والأرض والنبات.

81-سورة التكويد مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾

وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾

وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾

وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾

وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلِفَتْ ﴿١٣﴾

عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَسِ ﴿١٦﴾

وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾

ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾

وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾

وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾

فَأَن تَذَهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

81- تفسير سورة التكويد - و هي مكية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ اُنْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③
وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤
وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦
وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ ⑨ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ⑩
وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ⑬
عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑭

أي: إذا حصلت هذه الأمور الهائلة، تميز الخلق،
و علم كل أحد ما قدمه لآخرفته، و ما أحضره فيها من خير و شر، و ذلك
(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)

إذا كان يوم القيامة تكور الشمس

أي: تجمع وتلف، ويخسف القمر، ويلقيان في النار.

*** صحيح البخاري -3200

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ()

(وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ)

أي: تغيرت، و تساقطت من أفلاكها.

الاعجاز العلمي من هنا

***كقوله **{وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ}** [الْإِنْفِطَارِ: 2] ،

وَأَصْلُ الْإِنْكَدَارِ: الْإِنْصِبَابُ.

(وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ)

أي: صارت كشيئا مهيلا ثم صارت كالعهن المنفوش،

ثم تغيرت وصارت هباء منبثا، وسيرت عن أماكنها،

*** زَالَتْ عَنْ أَمَاكِنِهَا وَ نُسِفَتْ، فَتَرَكَتِ الْأَرْضُ قَاعًا صَفْصَفًا.

(وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ)

أي: عطل الناس حينئذ نفائس أموالهم التي كانوا يهتمون لها و يراعونها في

جميع الأوقات، فجاءهم ما يذهلهم عنها، فنبه بالعشار،

و هي النوق التي تتبعها أولادها، وهي أنفس أموال العرب إذ ذاك عندهم،

على ما هو في معناها من كل نفيس.

***وَ الْمَقْصُودُ أَنَّ الْعِشَارَ مِنَ الْإِبِلِ- وَ هِيَ:

(مكوران) مطويان وقد ذهب ضوءهما

خِيَارَهَا وَالْحَوَامِلُ مِنْهَا الَّتِي قَدْ وَصَلَتْ فِي حَمْلِهَا إِلَى الشَّهْرِ الْعَاشِرِ -
وَاحِدُهَا عَشْرًا

وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ اسْمُهَا حَتَّى تَضَعَ -

قَدْ اسْتَعَلَّ النَّاسُ عَنْهَا وَ عَنْ كَفَالَتِهَا وَ الْإِنْتِفَاعَ بِهَا،
بَعْدَ مَا كَانُوا أَرْغَبَ شَيْءٍ فِيهَا، بِمَا دَهَمَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ الْمُفْطَعِ
الْهَائِلِ،

وَهُوَ أَمْرُ الْقِيَامَةِ وَانْعِقَادُ أَسْبَابِهَا، وَ وَقُوعِ مُقَدَّمَاتِهَا.

(وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ)

أي: جمعت ليوم القيامة، ليقْتَص الله من بعضها لبعض،

و يرى العباد كمال عدله، حتى إنه ليقْتَص من القرناء للجماء

ثم يقول لها: كوني ترابا.

* سنن الترمذي ت شاكر :

2420 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«لَتُؤَدَّنَ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ
الْقَرَنَاءِ»

(وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ)

أي: أوقدت فصارَت - على عظمها - نارا تتوقد.

(وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ)

أي: قرن كل صاحب عمل مع نظيره،

فجمع الأبرار مع الأبرار،

و الفجار مع الفجار،

و زوج المؤمنون بالحدور العين،

و الكافرون بالشیاطین، و هذا کقوله تعالى:

{ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا } [الزمر: 71]

{ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ

لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ } [الزمر: 73]

***كقوله { اخشروا للذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون }

[الصافات: 22]

(وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ)

و هو الذي كانت الجاهلية الجهلاء تفعله من دفن البنات و هن أحياء من

غير سبب، إلا خشية الفقر،

*الجزائري : أي البنت تدفن حية خوف العار أو الحاجة.

فتسأل:

(بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)

و من المعلوم أنها ليس لها ذنب، ففي هذا توبيخ و تقريع لقاتليها .

***صحيح مسلم

(1442) عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ جَدَامَةَ بِنْتِ وَهَبِ الْأَسَدِيَّةِ،
 أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
 «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهِيَ عَنِ الْغِيلَةِ،
 حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ، فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ» ()

(الغيلة) قال أهل اللغة الغيلة هنا بكسر الغين
 ويقال لها الغيل بفتح الغين مع حذف الهاء والغيال بكسر الغين
 وقال جماعة من أهل اللغة الغيلة بالفتح المرة الواحدة
 وأما بالكسر فهي الاسم من الغيل
 وقال إن أريد بها وطاء المرضع جاز الغيلة والغيلة بالكسر والفتح واختلف العلماء في المراد
 بالغيلة في هذا الحديث
 وهي الغيل فقال مالك في الموطأ والأصمعي وغيره من أهل اللغة
 هي أن يجامع امرأته وهي مرضع يقال منه أغال الرجل وأغيل إذا فعل ذلك وقال ابن
 السكيت هو أن ترضع المرأة وهي حامل يقال منه غالت وأغيلت
 قال العلماء سبب همه ﷺ بالنهي عنها أنه يخاف منه ضرر الولد الرضيع
 قالوا والأطباء يقولون إن ذلك اللبن داء والعرب تكرهه وتتقيه]

*** 142-1442 ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنِ الْعَزْلِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«ذَلِكَ الْوَادُ الْخَفِيُّ»،

زَادَ عَبْدُ اللَّهِ فِي حَدِيثِهِ: عَنِ الْمُقَرِّي، وَهِيَ:

{وِإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُيِّلَتْ} (١)

(وِإِذَا الصُّمْفُ)

المشتملة على ما عمله العاملون من خير وشر

(نُشِرَتْ)

و فرقت على أهلها، فأخذ كتابه بيمينه، و أخذ كتابه بشماله،
أو من وراء ظهره.

(وِإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ)

أي: أزيلت، كما قال تعالى:

{وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ} [الفرقان: 25]

(ذلك الواد الخفي) الواد دفن البنت وهي حية وكانت العرب تفعله خشية الإملاق

وربما فعلوه خوف العار

(وهي وإذا المؤودة سئلت) الضمير راجع إلى مقدر أي هذه الفعلة القبيحة مندرجة في

الوعيد تحت قوله تعالى وإذا المؤودة سئلت والمؤودة هي البنت المدفونة حية ومعنى ذلك

أن العزل يشبه الواد المذكور في هذه الآية]

{يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا
عَلَيْنَا إِنََّّا كُنَّا فَاعِلِينَ } [الأنبياء: 104]

(وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ)

أي: أوقد عليها فاستعرت، و التهبت التهاها لم يكن لها قبل ذلك،

(وَإِذَا الْجَنَّةُ أُرْلِفَتْ)

أي: قربت للمتقين،

(عَلِمَتْ نَفْسٌ)

أي: كل نفس، لإتيانها في سياق الشرط.

(مَا أَحْضَرَتْ)

أي: ما حضر لديها من الأعمال التي قدمتها كما قال تعالى:

{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ
هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا
وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } [الكهف: 49]

و هذه الأوصاف التي وصف الله بها يوم القيامة، من الأوصاف التي تنزعج
لها القلوب، و تشتد من أجلها الكروب،
و ترتعد الفرائص و تعم المخاوف،

و تحت أولي الأبواب للاستعداد لذلك اليوم،

و تزرهم عن كل ما يوجب اللوم،

و لهذا قال بعض السلف: -من أراد أن ينظر ليوم القيامة كأنه رأي عين،

فليتدبر سورة (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)

*** {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ

أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ }

[آل عمران: 30]

{يُنَبِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ} [القيامة: 13]

فَلَا أَقْسَمُ بِالْخُتَمِ ①٥ الْجَوَارِ الْكُنَاسِ ①٦

وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ①٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ①٨

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ①٩

ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ②٠ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ②١

وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ②٢ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ②٣

وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ②٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ②٥

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ②٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ②٧ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ②٨

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ②٩

(فَلَا أُقْسِمُ)

أقسم تعالى

(بِالْحَنُوسِ)

و هي الكواكب التي تخنس

أي: تتأخر عن سير الكواكب المعتاد إلى جهة المشرق، وهي النجوم

السبعة السيارة: « الشمس » ، و « القمر » ، و « الزهرة » ،

و « المشتري » ، و « المريخ » ، و « زحل » ، و « عطارد » ،

فهذه السبعة لها سيران:

١ - سير إلى جهة المغرب مع باقي الكواكب والأفلاك ،

٢ - و سير معاكس لهذا من جهة المشرق تختص به هذه السبعة

دون غيرها.

فأقسم الله بها في حال خنوسها أي: تأخرها،

(الْجَوَارِ الْكُنُوسِ)

و في حال جريانها، و في حال كنوسها أي: استتارها بالنهار،

و يحتمل أن المراد بها جميع النجوم الكواكب السيارة و غيرها.

*** صحيح مسلم (475)

عَنْ عَمْرِو بْنِ حَرْيْثٍ، قَالَ:

صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ الْفَجَرَ فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ { فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ }

[التكوير: 16] الْجَوَارِ الْكُنَّسِ

وَكَانَ لَا يَخْنِي رَجُلٌ مِنَّا ظَهْرَهُ حَتَّى يَسْتَتِمَّ سَاجِدًا "

(وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ)

أي: أدبر وقيل: أقبل،

*** أدبر: قَالَ لِقَوْلِهِ: {وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ} أي: أضاء،

--- وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ أَيْضًا:

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَهُ تَنَفَّسًا ... وَانْجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَعَسَسَا ...

وَعِنْدِي أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: {عَسَسَ} إِذَا أَقْبَلَ،

وَإِنْ كَانَ يَصِحُّ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْإِدْبَارِ،

لَكِنَّ الْإِقْبَالَ هَا هُنَا أَنْسَبُ؛ كَأَنَّهُ أَقْسَمَ تَعَالَى بِاللَّيْلِ وَظِلَامِهِ إِذَا أَقْبَلَ،

وَ بِالْفَجْرِ وَضِيَائِهِ إِذَا أَشْرَقَ، كَمَا قَالَ:

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالتَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى} [اللَّيْلِ: 1، 2] ،

وَ قَالَ: {وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} [الضُّحَى: 1، 2] ،

وَ قَالَ {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا} [الْأَنْعَام: 96] ،

وَ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَ قَالَ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُصُولِ: إِنَّ لَفْظَةَ "عَسَسَ" تُسْتَعْمَلُ فِي الْإِقْبَالِ

وَ الْإِدْبَارِ عَلَى وَجْهِ الْإِشْتِرَاكِ

فَعَلَى هَذَا يَصِحُّ أَنْ يُرَادَ كُلُّ مِنْهُمَا،

وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ)

أي: بانث علائم الصبح، و انشق النور شيئاً فشيئاً حتى يستكمل وتطلع الشمس،

***{وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ} أَي: أَضَاءَ

و هذه آيات عظام، أقسم الله بها على علو سند القرآن و جلالته،
و حفظه من كل شيطان رجيم، فقال:

(إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)

و هو: جبريل عليه السلام نزل به من الله تعالى، كما قال تعالى:

﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٤﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥

و وصفه الله بالكريم لكرم أخلاقه، و كثره خصاله الحميدة،
فإنه أفضل الملائكة، و أعظمهم رتبة عند ربه،

(ذِي قُوَّةٍ)

على ما أمره الله به. و من قوته أنه قلب ديار قوم لوط بهم فأهلكهم.

*** كَقَوْلِهِ {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى} [النجم: 5، 6] ،

أَي: شَدِيدُ الْخَلْقِ، شَدِيدُ الْبَطْشِ وَ الْفِعْلِ،

(عند ذى العرش)

أي: جبريل مقرب عند الله، له منزلة رفيعة، و خصيصة من الله اختصه بها،

(مكين)

أي: له مكانة و منزلة فوق منازل الملائكة كلهم.

(مطاع ثم)

أي: جبريل مطاع في الملاء الأعلى، لديه من الملائكة المقربين جنود، نافذ فيهم أمره، مطاع رأيه،

(أمين)

أي: ذو أمانة و قيام بما أمر به، لا يزيد و لا ينقص، و لا يتعدى ما حد له،

و هذا كله يدل على شرف القرآن عند الله تعالى،

فإنه بعث به هذا الملك الكريم، الموصوف بتلك الصفات الكاملة.

و العادة أن الملوك لا ترسل الكريم عليها إلا في أهم المهمات،

و أشرف الرسائل .

و لما ذكر فضل الرسول الملكي الذي جاء بالقرآن ،

ذكر فضل الرسول البشري الذي نزل عليه القرآن ،

و دعا إليه الناس فقال :

(وَمَا صَاحِبُكُمْ)

و هو محمد ﷺ

(بِمَجْنُونٍ)

كما يقوله أعداؤه المكذبون برسالته ، المتقولون عليه من الأقوال ،

التي يريدون أن يطفئوا بها ما جاء به ما شاءوا و قدروا عليه ،

بل هو أكمل الناس عقلا و أجزلهم رأيا ، و أصدقهم لهجة .

(وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ)

أي: رأى محمد ﷺ جبريل عليه السلام بالأفق البين ،

الذي هو أعلى ما يلوح للبصر .

***وَلَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ جِبْرِيلَ الَّذِي يَأْتِيهِ بِالرَّسَالَةِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى

الصُّورَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ {بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ}

أي: البين ، وَ هِيَ الرُّؤْيَةُ الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ بِالْبَطْحَاءِ ،

وَ هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ :

{عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ

قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [النجم: 5- 10]

كَمَا تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ ذَلِكَ وَتَقْرِيرُهُ.

و الدليل أَنَّ المرادَ بِذَلِكَ جَبْرِيلُ عليه السلام. وَ الظَّاهِرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -

أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ؛

لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكَرْ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الرُّؤْيَا وَ هِيَ الْأُولَى،

وَ أَمَّا الثَّانِيَةُ وَ هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ:

{وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى

السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى} [النجم: 13- 16] ،

فَتِلْكَ إِنَّمَا ذُكِرَتْ فِي سُورَةِ "النَّجْم"، وَ قَدْ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ.

* صحيح ابن حبان - مخرجا

6427 - عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ زُرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ هَذِهِ النَّأْيَةِ:

{لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم 18]،

قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ:

«رَأَى جَبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّ مِائَةٍ جَنَاحٍ»

صحيح ابن حبان - مخرجا

6428 - عَنْ زُرِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«رَأَيْتُ جَبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى،

وَ عَلَيْهِ سِتُّ مَائَةٍ جَنَاحٍ يُنْثَرُ مِنْ رِيشِهِ تَهَاوِيلَ الدَّرِّ وَ
الْيَاقُوتِ» (□)

صحيح البخاري

3233 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

{لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم 18]،

قَالَ: «رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ سَدَّ أَفْقَ السَّمَاءِ» (I)

(وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ)

*بخيل

أي: وما هو على ما أوحاه الله إليهم بمتهم يزيد فيه أو ينقص أو يكتم بعضه،

بل هو ﷺ أمين أهل السماء وأهل الأرض،

الذي بلغ رسالات ربه البلاغ المبين،

فلم يشح بشيء منه، عن غني و لا فقير، و لا رئيس و لا مرءوس،

و لا ذكر و لا أنثى، و لا حضري و لا بدوي،

و لذلك بعثه الله في أمة أمية، جاهلة جهلاء،

فلم يمت ﷺ حتى كانوا علماء ربانيين، و أحرارا متفرسين،

*القاموس المحيط (ص: 1073)

والتهاويل: الألوان المختلفة، وزينته التصاوير والنقوش والحلي.

*مختار الصحاح (ص: 126) (الرَّفْرَفُ) ثِيَابٌ خُضْرٌ يَتَّخِذُ مِنْهَا الْمَحَابِسُ الْوَاحِدَةُ

إليهم الغاية في العلوم، وإليهم المنتهى في استخراج الدقائق و الفهوم،
و هم الأساتذة، و غيرهم قصاراه أن يكون من تلاميذهم.

(وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ)

لما ذكر جلالة كتابه وفضله بذكر الرسولين الكريمين،
اللذين وصل إلى الناس على أيديهما، وأثنى الله عليهما بما أثنى،
دفع عنه كل آفة و نقص مما يقدر في صدقه، فقال:

(وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ) أي: في غاية البعد عن الله و عن قربه،
***أي: لَا يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِهِ، وَلَا يُرِيدُهُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ. كَمَا قَالَ:
{وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ
لَمَعْرُؤُونَ} [الشعراء: 210- 212] .

(فَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ)

أي: كيف يخطر هذا ببالكم، و أين عزبت عنكم أذهانكم؟
حتى جعلتم الحق الذي هو في أعلى درجات الصدق بمنزلة الكذب،
الذي هو أنزل ما يكون و أرذل و أسفل الباطل؟
هل هذا إلا من انقلاب الحقائق.

(إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)

1-يتذكرون به ربهم، وما له من صفات الكمال، و ما ينزه عنه من النقائص
و الرذائل و الأمثال ،

2- و يتذكرون به الأوامر و النواهي و حكمها،

3-و يتذكرون به الأحكام القدريّة و الشرعية و الجزائية،

4-و بالجملة، يتذكرون به مصالح الدارين، و ينالون بالعمل به
السعادتين.

(لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ)

بعدما تبين الرشد من الغي، و الهدى من الضلال.

(وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)

أي: فمشيئته نافذة، لا يمكن أن تعارض أو تمنع.

و في هذه الآية وأمثالها رد على فرقتي القدريّة النفاة، و القدريّة المجبرة

كما تقدم مثلها و الله أعلم و الحمد لله .

*** مَنْ أَرَادَ الْهُدَايَةَ فَعَلَيْهِ بِهِذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ مَنَاجَا لَهُ وَ هِدَايَةُ،

وَ لَا هِدَايَةَ فِيمَا سِوَاهُ،

{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}

أَي: لَيْسَتْ الْمَشِيئَةُ مَوْكُولَةً إِلَيْكُمْ،

فَمَنْ شَاءَ اهْتَدَى وَ مَنْ شَاءَ ضَلَّ،

بَلْ ذَلِكَ كُلُّهُ تَابِعٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

*الاعجازات العلمية في السورة:

http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1715

وقد كشف العلم الحديث أن للنجوم حياة طويلة تمر بمراحل متعددة، فهي تولد وتكبر تدريجياً لتصل إلى مرحلة الشباب والفتوة، ثم تصير إلى الشيخوخة، ثم تندثر وتموت. وهذا يتطابق مع إخبار القرآن الكريم بما ستؤول إليه النجوم عند قيام الساعة، ولكن الفرق بين ما يحدث في أيامنا هذه وما سيحدث عند قيام الساعة هو أن نهاية النجوم عند قيام الساعة ستكون نهاية تشمل كل النجوم بلا استثناء، أما ما يحدث في الدنيا هو نهاية فردية لبعض النجوم وليس لجميعها.

يقول الدكتور زغلول النجار:

"ومع تسليمنا بأن انكدار جميع النجوم في الآخرة لن يتم بالسنن الدنيوية التي تنكدر بها النجوم في زماننا الراهن؛ لأن الآخرة سوف تحدث بأمر من الله تعالى بـ(كن فيكون)، إلا أن إثبات علوم الفلك لحقيقة انكدار النجوم كمرحلة من مراحل احتضارها في الحياة الدنيا يبغي شهادة للقرآن الكريم بأنه كلام الله الخالق، وشهادة للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة"⁽¹⁾.

مراحل حياة النجوم في ضوء العلم الحديث:

النجوم عبارة عن أجرام غازية في غالبيتها، ضخمة الحجم، وهي أجرام سماوية شديدة الحرارة، ملتهبة، مشتعلة، ومضيئة بذاتها، يغلب على تركيبها غاز الإيدروجين، ويليه في الكثرة غاز الهيليوم، والقليل من العناصر الأخرى الأثقل وزناً، ونتيجة لدوران النجم حول محوره تحصل عملية التجاذب الداخلي إلى مركز النجم، وتؤدي هذه العملية إلى اتحاد نوى ذرات الإيدروجين مع بعضها البعض بالاندماج أو الانصهار النووي (Nuclear Fusion)، وينطلق عن ذلك كميات هائلة من الطاقة على هيئة عدد من الإشعاعات الكهرومغناطيسية التي من أهمها الضوء والحرارة. ويؤدي تسلسل عملية الاندماج النووي من عنصر إلى آخر، إلى تكوين عناصر أعلى في وزنها الذري باستمرار، مما يؤدي بدوره إلى تعقيد كل من التركيب الكيميائي والبناء الداخلي للنجم، الذي يتقلص حجمه بالتدريج وتزداد كثافته بطريقة مطردة، وترتفع درجة حرارته باستمرار فيمر بذلك في عدد من الأطوار المتتالية حتى نهاية حياته، وتسمى هذه المراحل المتتالية بدورة حياة النجم⁽¹³⁾.

دورة حياة النجوم:

خلقت النجوم ابتداءً من الدخان الكوني، الذي نشأ عن انفجار الجرم الأولي للكون، ولا تزال النجوم تتخلق أمام أنظار

الفلكيين من دخان كل من السُّدُم والمسافات بين النجمية وبين
المجرية، عبر مراحل متتالية، وذلك بواسطة عدد من الدوامات
العاتية التي تعرف باسم دوامات تركيز المادة
(Material Accretion Whorls or Vertigos) والتي تعمل
على تكثيف المادة في داخل سحب الدخان بفعل عملية التجاذب
الثقالي (Gravitational Attraction)،

فتؤدي إلى إحداث تصادمات متكررة بين جسيمات المادة ينتج
عنها الارتفاع التدريجي في درجة حرارتها حتى تصبح قادرة
على بث الأشعة تحت الحمراء فيولد ما يسمى بالنجم الابتدائي.
وتستمر جزيئات المادة في هذا النجم الأولي في التجمع
والانجذاب أكثر نحو المركز حتى تتجمع الكتلة اللازمة لبدء
عملية الاندماج النووي، فتزداد الاصطدامات بينها، ويزداد الضغط
إلى الدرجة التي تسمح ببدء التفاعلات النووية الاندماجية بين
نوى ذرات الإيدروجين، فيتوهج النجم الأولي وتنطلق منه
الطاقة، وينبثق الضوء المرئي، وعند ذلك يكون النجم الابتدائي
قد وصل إلى طور النضج المسمى باسم نجوم النسق الرئيسي
(Main Sequence Stars)⁽¹⁴⁾.

ويستمر النجم في هذا الطور غالبية عمره (90% من عمره)،
حيث يتوقف انكماش مادته نحو المركز بسبب-

١ - الحرارة

2- والضغط البالغين المتولدين في مركز النجم،

وينتج عن استمرار التفاعلات النووية في داخل نجم النسق الرئيسي استهلاك كميات كبيرة من غاز الإيدروجين الذي تحوله إلى الهيليوم، وبالتدريج تتخلق العناصر الأثقل من مثل الكربون، والنيتروجين، والأوكسجين⁽¹⁵⁾.

والجدير بالذكر أن شمسنا عبارة عن نجم في مرحلة نجوم النسق الرئيسي -مرحلة الشباب-

فلاحظ عليها استقراراً في خصائصها، فلا تخرج علينا يوماً بضياء شديد ثم تبدو كنجم خافت في يوم آخر، ومن فضل الله علينا أن شمسنا نجم مستقر يرسل لنا معدلاً ثابتاً -تقريباً- من الأشعة، بحيث توفر لنا أسباب الحياة والدفع اللازمين لبهجة حياتنا.

ومرحلة الشباب هي أطول المراحل في عالم النجوم، وهذا يعني أن شمسنا ستظل بقدرة الله تعالى على تلك الحال من الاستقرار والثبات إلى فترة طويلة من عمرها.

ويقدر العلماء عمر الشمس الآن 4.57 مليار سنة وأنها مستمرة على حالها لفترة 5000 مليون سنة أخرى، وبعدها ستنتفخ لتصبح نجماً عملاقاً، يبتلع الكواكب القريبة منه، واحداً بعد الآخر،

ومن المعروف أن كوكبنا الأرضي أحد تلك الكواكب التي ستبتلعها الشمس حسب التقديرات النظرية.

ولنتخيل معاً ما سيحدث لكوكبنا وعالمنا مع اقتراب الشمس من الأرض حتى تبتلعها،

إن درجة الحرارة سترتفع تدريجياً، فيهرب الغلاف الجوي تدريجياً، وهنا لابد وأن تموت جميع الكائنات التي تعيش على الأرض، وتدرجياً تتبخر مياه البحار والمحيطات لتتحول الأرض إلى كوكب جاف،

ثم تدخل الأرض تدريجياً في غياهب باطن الشمس ذي الحرارة الرهيبة، فتذوب مادة الأرض بفعل الحرارة الرهيبة لباطن الشمس، فيصبح كوكبنا جزءاً من أحشاء الشمس.

وقبل أن تبتلع الشمس كوكبنا الأرضي قد تبتلع القمر قبلها، وقد يكون ذلك تفسيراً لقوله تعالى:

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة:9]⁽¹⁶⁾.

وفي مراحل لاحقة يتحول لب النجم إلى الحديد، فتتوقف عملية الاندماج النووي،

1- ويدخل النجم في مرحلة الاحتضار على هيئة النموذج الأول لانفجار المستعر الأعظم (Supernova Explosion Type I)،

2- وينتهي به إلى دخان السماء عبر مراحل من العمالة الحمر (Red Giants)،

3- ثم مرحلة النجوم الزرقاء شديدة الحرارة والمحاطة بهالة من الإيدروجين المتأين والمعروفة باسم السدم الكوكبية (Planetary Nebulae)،

4- ثم مرحلة الأقزام البيض (Dwarfs White)

هذا إذا كانت الكتلة الابتدائية للنجم قليلة نسبياً أي في حدود كتلة الشمس تقريباً.⁽¹⁷⁾

- أما إذا كانت الكتلة الابتدائية للنجم عدة مرات قدر كتلة الشمس،

فإنه يمر بمراحل من العملاقة العظام (Super giants)

ثم النموذج الثاني لانفجار المستعر الأعظم

Type I (Supernova Explosion)

الذي تبقى عنه النجوم النيوترونية (Stars Neutron)

أو الثقوب السود (Black Holes)،

والتي يمكن تسميتها باسم النجوم الخانسة الكانسة

(The Concealed Hidden Sweeping Stars)

Concealer مخفي

كما يصفها القرآن الكريم،

والتي تبتلع كل ما تمر به أو يصل إلى أفق حدثها

(Horizon Event) من مختلف صور المادة والطاقة،

ثم ينتهي بها المطاف إلى دخان السماء عن طريق تفككها وتبخر

مادتها عالية الكثافة،

كما يعتقد غالبية الدارسين لموضوعات الفيزياء الفلكية،

وإن كانوا لم يتمكنوا بعد من تحديد كيفية حدوث ذلك،

ويرى بعض الفلكيين أن أشباه النجوم (Quasars) مرشحة

لتكون المرحلة الانتقالية من الثقوب السود إلى دخان السماء،
وهي أجرام شاسعة البعد عنا، ضعيفة الإضاءة -ربما لبعدها
الشاسع عنا-

منها ما يطلق أقوى الموجات الراديوية المعروفة في السماء
الدنيا ويعرف باسم أشباه النجوم الراديوية،
ومنها ما لا يصدر مثل تلك الموجات الراديوية
ويعرف باسم أشباه النجوم غير الراديوية⁽¹⁸⁾.

وغالبية نجوم السماء من النوع العادي،
أو ما يعرف باسم نجوم النسق الرئيسي
(Main Sequence Stars) التي تمثل مرحلة نضج النجم
وأوج شبابه،

وهي أطول مرحلة في حياة النجوم،
حيث يمضي النجم 90% من عمره في هذه المرحلة،
التي تتميز بتعادل دقيق بين قوى التجاذب إلى مركز النجم -
والناتجة عن دوران النجم حول محوره-،
وقوى دفع مادة النجم إلى الخارج -نتيجة لتمدده بالحرارة
الشديدة الناتجة عن عملية الاندماج النووي في لبه-،
ويبقى النجم في هذا الطور حتى ينفذ وقوده من غاز
الهيدروجين، أو يكاد ينفذ، فيبدأ بالتوهج الشديد حتى تصل شدة
إضاءته إلى مليون مرة قدر شدة إضاءة الشمس،

ثم يبدأ في الانكدار التدريجي حتى يطمس ضوءه بالكامل، ويختفي كلية عن الأنظار على هيئة النجم الخانق الكانس (أو الثقب الأسود)، عبر عدد من مراحل الانكدار.

ومن النجوم المنكدر ما يعرف باسم السدم الكوكبية (Planetary Nebulae)، والأقزام البفض (Dwarfs White)، والنجوم النيوترونية (Neutron Stars)، ومنها النابض وغير النابض، وغيرها من صور انكدار النجوم⁽¹⁹⁾.

وجه الإعجاز:

أثبتت الاكتشافات العلمية الحديثة أن النجوم تولد وتمر بمراحل عديدة، فهي تخلق ثم تصير إلى مرحلة تسمى فيها هذه النجوم بنجوم النسق الرئيسي، ويستمر النجم على هذا الطور غالبية عمره، وبعد ذلك يستمر التحول إلى مرحلة جديدة وهكذا حتى يتحول إلى نجم منكدر لا ضوء فيه.

وتقول الدراسات الحديثة أن الشمس ستتمدد ويصبح حجمها كبيراً، وبالتالي فإنها لن تستطيع أن تستمر طويلاً في الإمساك بتلابيب أطرافها،

فتهرب الطبقات الخارجية منها تدريجياً -في شكل حلقات غازية تخرج متتابعة في منظر مهيب-

وفي تلك الحالة ستطال تلك الحلقات جميع الكواكب
الخارجية حتى (بلوتو)⁽¹⁾

بل وجميع أطراف المنظومة الشمسية.

وتعرف تلك المرحلة من حياة النجوم

بمرحلة (السدم الكوكبية)،

حيث تلفظ النجوم طبقاتها الخارجية في شكل حلقات مستديرة

تشبه في منظرها الخارجي الكواكب في استدارة شكلها.

ونجم (القيثارة) هو أحد أشهر تلك الأمثلة التي يعرفها

الفلكيون من بين آلاف النجوم التي رصدناها، وهي تلفظ

طبقاتها الخارجية⁽²⁰⁾.

وستفقد الشمس في تلك المرحلة ما يزيد عن ثلث كتلتها

لتصبح بعد ذلك لباً عارياً صغيراً حرارته شديدة،

ويتوقف نبض التفاعلات النووية في الباطن لتبرد الشمس

تدريجياً ويتصاغر حجمها كثيراً

((للعلم.....بلوتو لم يعد كوكب لانه :

1-كوكب قزم

2-قطره عند الاستواء 2300 كم فقط

3-أصغر من القمر

4-نصف قطر الولايات المتحدة الامريكية

5-يتقاطع مع مدار نبتون لذا فهو شاذ

اصطلحوا علي أن الكوكب :هو كل جرم سماوي له شكل مكور بسبب لجاذبية الخاصة به و

له مدار حول الشمس لا يتقاطع مع مدار آخر))

وتدخل إلى مقابر النجوم فيما يعرف بمرحلة (الأقزام البيضاء). وفي تلك المرحلة تكون كثافة المادة عالية بدرجة رهيبة، حيث يزن السنتيمتر المكعب من مادة القزم الأبيض حوالي طن واحد من مادة الأرض، كما أن حجم الشمس في تلك المرحلة سيتصاغر ليصبح في حجم الأرض تقريباً⁽²⁾.

وهذا يتطابق مع ما أخبر الله تعالى عنه، فقد تحدث الخالق عز وجل عن تلك المرحلة الدقيقة من حياة شمسنا في الآية الأولى من سورة التكوين بقوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و من الأقوال التي نقلناها عن بعض المفسرين في بداية البحث ما قاله أبي بن كعب: أي ذهب ضوءها، وعن ابن عباس: أظلمت،

وعن مجاهد: اضمحلت وذهبت،

وقيل: ذهب ضوءها فلا ضوء لها.

وقال الطبري: التكوين في كلام العرب:-

جمع بعض الشيء إلى بعض، أي جمع بعضها إلى بعض.

وهذا الكلام الأخير يمكن أن يفسر ما نحن بصددده بشكل أكثر

انسجاماً، ويبين تلك المرحلة الدقيقة من حياة الشمس،

حيث تتكور على بعضها وتنكمش نحو داخلها،

فيتصاعد حجمها إلى حد كبير.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوين:2]

وقوله: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات:8]،

يذكر المولى عز وجل تصاغر النجوم ووصولها لتلك المرحلة من نهاية حياتها وتضاغر حجمها،
ومن الأقوال التي نقلناها في أول البحث عن بعض المفسرين ما قاله ابن كثير وغيره: طمست أي ذهب ضوءها،
وقول الطبري: أي ذهب ضياؤها فلم يكن لها نور ولا ضوء.
وهذا الكلام هو حقيقة ما نفهمه من خلال تلك الأحداث الجسيمة التي تحدث للنجوم بعد أن تلفظ طبقاتها الخارجية،
فيصبح النجم بعد ذلك عبارة عن لب عارٍ لا تغطيه طبقات خارجية،
ويكون هذا اللب منكشاً على نفسه بدرجة كبيرة،
كما أن نبض قلب النجم في تلك لحالة يكون متوقفاً أو على وشك التوقف، لتنطفئ شمعته هذا النجم،
فيخفت ضوءه وتقل أشعته تدريجياً ليصبح (قزماً أسوداً) بعد أن كان (قزماً أبيضاً).
وتخبت الحرارة تدريجياً نتيجة توقف التفاعلات النووية،
والتي تمثل نبض قلب النجم،
وبالتالي يفقد النجم مصدر حرارته وطاقته فيذبل ويضعف ويخفت ضوءه ليدخل بعد ذلك في (مقابر النجوم).
إنها مرحلة حاسمة في قصة الحياة في عالم النجوم⁽²²⁾.
ومن هنا نشعر بعظمة تلك الآيات الكريمة والتي أخبرت عن نهاية النجوم بعبارة بليغة ووصف دقيق،

وفي هذا دلالة على السبق القرآني وكشفه للكثير من الحقائق الكونية،

ومن ذلك الإشارة إلى تلك المراحل من حياة النجوم والتي لم يعرفها الإنسان إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين. إن هذا يعد بحق من الشهادات الناطقة بربانية القرآن الكريم، وبنبوة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم، الذي تلقى هذا الوحي الخاتم من قبل ألف وأربعمائة من السنين بهذه الدقة العلمية المبهرة في مجتمع لم يكن له من العلم أي نصيب.

إعداد: عادل الصعدي

مراجعة: علي عمر بلعجم

2007/5م

(1) من أسرار القرآن، «والليل إذا عسعس * والصبح إذا تنفس» للدكتور زغلول

النجار، نقلاً عن موقع <http://www.ahram.org.eg/Archive/2007/5/21/OPIN1.HTM>

(13) «وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ» [الطارق:31]،

للدكتور زغلول النجار، نقلاً عن موقع الدكتور زغلول النجار.

(14) المرجع السابق.

(15) المرجع السابق.

(16) حياة النجوم بين العلم والقرآن الكريم، للدكتور محمد صالح النواوي، نقلاً عن

موقع: http://www.55a.net/firas/arabic/?page=show_det&id=761

(17) «وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ» [الطارق:31]،

للدكتور زغلول النجار، نقلاً عن موقع الدكتور زغلول النجار.

(18) المرجع السابق.

(19) المرجع السابق.

- (20) حياة النجوم بين العلم والقرآن الكريم، للدكتور محمد صالح النواوي، نقلاً عن موقع: http://www.55a.net/firas/arabic/?page=show_det& id=761
- (21) المرجع السابق.
- (22) المرجع السابق.

82-سورة الانفطار-مكية بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٣﴾
وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ ﴿٥﴾
يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾
فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾
وَلَئِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينِ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾
إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾
وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الَّذِينَ ﴿١٧﴾
ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الَّذِينَ ﴿١٨﴾

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

83-سورة المطففين-مكية- بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

82- تفسير سورة الانفطار- و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾
وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾

(إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ)

أي: إذا انشقت السماء

(وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ)

و انتشرت نجومها، و زال جمالها،

***تساقطت

(وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ)

و فجرت البحار فصارت بحرا واحدا،

(وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثِرَتْ)

بأن أخرجت ما فيها من الأموات،

و حشروا للموقف بين يدي الله للجزاء على الأعمال.

(عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ)

فحينئذ ينكشف الغطاء، و يزول ما كان خفيا،

و تعلم كل نفس ما معها من الأرباح و الخسران،

هنالك بعض الظالم على يديه إذا رأى أعماله باطلة،

و ميزانه قد خف، و المظالم قد تداعت إليه،

و السيئات قد حضرت لديه، و أيقن بالشقاء الأبدي و العذاب السرمدي .

و هنالك يفوز المتقون المقدمون لصالح الأعمال بالفوز العظيم،

و النعيم المقيم والسلامة من عذاب الجحيم.

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ

﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ

لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ

﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

يقول تعالى معاتباً للإنسان المقصر في حق ربه، المتجرئ على مساخطه :

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)

*** مَا غَرَّكَ يَا ابْنَ آدَمَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ-أَيُّ: الْعَظِيمِ-

حَتَّى أَقْدَمْتَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَ قَابَلْتَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ؟

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: أَنَّ عُمَرَ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ:

{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} فَقَالَ عُمَرُ: الْجَهْلُ .

وَقَالَ قَتَادَةُ: {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} شيءٌ، مَا غَرَّ ابْنَ آدَمَ غَيْرُ هَذَا
الْعَدُوِّ الشَّيْطَانِ.

وَقَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ: لَوْ قَالَ لِي: "مَا غَرَّكَ بِي لَقُلْتُ: سَتُورِكَ الْمُرْخَاةُ.
وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: لَوْ قَالَ لِي: {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}
لَقُلْتُ: غَرَّنِي كَرَمُ الْكَرِيمِ.

—أتهاونا منك في حقوقه؟

أم احتقارا منك لعذابه؟

أم عدم إيمان منك بجزائه؟

أليس هو (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ)

في أحسن تقويم؟

(فَعَدَّلَكَ)

و ركبك تركيباً قوياً معتدلاً في أحسن الأشكال، و أجمل الهيئات،

فهل يليق بك أن تكفر نعمة المنعم،

أو تجحد إحسان المحسن؟

إن هذا إلا من جهلك و ظلمك و عنادك و غشمك،

فاحمد الله أن لم يجعل صورتك صورة كلب أو حمار، أو نحوهما من

الحيوانات؛ فلهذا قال تعالى:

(فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ)

راجع الاعجاز العلمى [من هنا](#)

*** في أَيِّ شَبَهٍ أَبٍ أَوْ أُمٍّ أَوْ خَالٍ أَوْ عَمٍّ؟

في صحيح البخاري

5305 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ،

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وُلِدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدٌ،

فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا أَلَوْنَهَا؟»

قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَنَّى ذَلِكَ؟»

قَالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: «فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ» ()

و قوله: (كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ)

أي: مع هذا الوعظ و التذكير، لا تزالون مستمرين على التكذيب بالجزاء.

***بَلْ إِمَّا يَحْمِلُكُمْ عَلَىٰ مُوَاجَهَةِ الْكَرِيمِ وَ مُقَابَلَتِهِ بِالْمَعَاصِي:-

تَكْذِيبٌ فِي قُلُوبِكُمْ بِالْمَعَادِ وَ الْجَزَاءِ وَ الْحِسَابِ.

(وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ)

و أنتم لا بد أن تُحاسبوا على ما عملتم،

(كِرَامًا كَثِيرِينَ)

و قد أقام الله عليكم ملائكة كراما يكتبون أقوالكم و أفعالكم

(يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ)

(رجلا) هو ضمضم بن قتادة رضي الله عنه.

(أورق) الأغبر الذي في لونه بياض إلى سواد.

(نزعه عرق) جذبه إليه وأظهر لونه عليه فأشبهه والعرق الأصل من النسب]

و يعلمون أفعالكم، و دخل في هذا أفعال القلوب، و أفعال الجوارح،
فاللائق بكم أن تكرموهم و تجلوهم و تحترمهم.

*** جاء في موقع اسلام ويب:**

رقم الفتا 72586

عندي سؤال عن سورة الرعد آية 11

هل معنى الآية أن الملائكة تحفظ الإنسان من أمر الله ،
هل ممكن أن الملائكة لها القدرة على منع أمر الله لو سمحتم
أفيدوني لأن هذه المسألة مسببة لي مشكلة خصوصا أني لا
أعيش في بلد إسلامية ؟

الإجابة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه،
أما بعد:

فإنه قد ثبت أن هناك حفظة من الملائكة، يحرسون العباد، بإذن
الله وقدره مما لم يقدر الله إصابة العبد به فإذا قدر الله أن
يصاب العبد بشيء فلا تستطيع الملائكة دفعه قال الله تعالى:

(لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ)

{الرعد:11} وقد ذكر ابن كثير في التفسير :

أنهم أربعة بالليل وأربعة بالنهار،

فأثنان عن اليمين والشمال يكتبان الحسنات والسيئات،
و اثنان من ورائه وأمامه يحرسانه.

وليس معنى الآية أن الملائكة تحفظ العبد مما يأتي من قضاء
الله وقدره ،

وإنما المراد أنها تحفظه بأمر الله

فمن هنا بمعنى الباء ويدل لذلك ما في بعض القراءات الشاذة يحفظونه بأمر الله .

وهناك أقوال أخرى فيها قرينة من هذا المعنى .

ويدل لكون الملائكة لا تحفظ العبد مما يأتي من قضاء الله وقدره قوله تعالى في آخر الآية :

(وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) {الرعد: 11}

قال البغوي في التفسير : يحفظونه من أمر الله ،

يعني : بأمر الله ،

أي : يحفظونه بإذن الله تعالى ما لم يجئ المقدور ،
فإذا جاء المقدور خلوا عنه .

وقيل : يحفظونه من أمر الله :

أي مما أمر الله به من الحفظ عنه .

و قال القرطبي في التفسير: اختلف في هذا الحفظ ،

فقيل : يحتمل أن يكون توكيل الملائكة بهم لحفظهم من
الوحوش والهوام والأشياء المضرة، لطفاً منه به ،

فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه ،

قاله ابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

قال أبو مجلز : جاء رجل من مراد إلى علي

فقال : احترس فإن ناساً من مراد يريدون قتلك ،

فقال : إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر ،

فإذا جاء القدر خليا بينه وبين قدر الله ، وإن الأجل حصن
حصينة ، وعلى هذا ،

(يحفظونه من أمر الله) أي بأمر الله وبإذنه ،

ف (من) بمعنى الباء ، وحروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض .

وقيل (من) بمعنى (عن) ،

أي يحفظونه عن أمر الله ،

وهذا قريب من الأول ، أي حفظهم عن أمر الله لا من عند

أنفسهم ، وهذا قول الحسن ،

تقول : كسوته عن عري ومن عري ،

ومنه قوله عز وجل : **أَطَعَهُمْ مِنْ جُوعٍ** {قريش:4}

أي عن جوع .

وقيل : يحفظونه من ملائكة العذاب ، حتى لا تحل به عقوبة ،

لأن الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما

بأنفسهم بالإصرار على الكفر ،

فإن أصروا حان الأجل المضروب ونزلت بهم النعمة ، وتزول

عنهم الحفظة المعقبات . وقيل : يحفظونه من الجن ، قال

كعب : لولا أن الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم

ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن .

وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم :

وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان

أحدهما حفظه له في مصالح دنياه كحفظه في بدنه وولده

وأهله وماله قال الله عز وجل

(له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله)

قال ابن عباس هم الملائكة يحفظونه بأمر الله فإذا جاء القدر
خلوا عنه

وقال على رضي الله عنه إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما
لم يقدر فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه
وإن الأجل جنة حصينة
وقال مجاهد ما من عبد إلا وله ملك يحفظه في نومه ويقظته
من الجن والإنس والهوام
فما من شيء يأتيه إلا قال له وراءك إلا شيئا أذن الله فيه
فيصيبه .

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾

وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾

ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ)

***يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا يَصِيرُ الْأَبْرَارُ إِلَيْهِ مِنَ النَّعِيمِ،
وَهُمُ الَّذِينَ أَطَاعُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يُقَابِلُوهُ بِالْمَعَاصِي.
المراد بالأبرار، القائمون بحقوق الله و حقوق عباده، الملازمون للبر،
في أعمال القلوب و أعمال الجوارح،

فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب و الروح و البدن،
في دار الدنيا و في دار البرزخ و في دار القرار.

(وَأِنَّ الْفَجَّارَ)

الذين قصرُوا في حقوق الله و حقوق عباده،
الذين فجرت قلوبهم ففجرت أعمالهم

(لَفِي جَحِيمٍ)

أي: عذاب أليم، في دار الدنيا و دار البرزخ و في دار القرار.

(يَصَلُونَهَا)

و يعذبون بها أشد العذاب
*الجزائري: يدخلونها و يقاسون حرها يوم الجزاء
و هو يوم القيامة.

(يَوْمَ الدِّينِ)

أي: يوم الجزاء على الأعمال.

(وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ)

أي: بل هم ملازمون لها، لا يخرجون منها.
***لَا يَغِيْبُوْنَ عَنِ الْعَذَابِ سَاعَةً وَاحِدَةً،
و لَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا،

وَلَا يُجَابُونَ إِلَّا مَا يَسْأَلُونَ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الرَّاحَةِ، وَ لَوْ يَوْمًا وَاحِدًا.

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ)

ففي هذا تهويل لذلك اليوم الشديد الذي يحير الأذهان.

(يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا)

و لو كانت لها قريبة أو حبيبة مصافية،

فكل مشغول بنفسه لا يطلب الفكك لغيرها.

***صحيح مسلم

(204) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ

{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214]،

دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا،
فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَ خَصَّ،

فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ،

يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ،

يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ،

يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ،

يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ،

يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ،

يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ،

فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَابِقُهَا بِبَلَالِهَا» ()

(فإني لا أملك لكم) معناه لا تتكلموا على قرابتي فإني لا أقدر على دفع مكروه يريده الله

تعالى بكم

وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ

فهو الذي يفصل بين العباد، ويأخذ للمظلوم حقه من ظالمه والله أعلم
*** كَقَوْلِهِ {لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [غَافِرٍ: 16] ،
وَكَقَوْلِهِ: {الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ} [الْفُرْقَانِ: 26] ،

وَكَقَوْلِهِ {مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ} [الْفَاتِحَةِ: 4] .
قَالَ قَتَادَةُ: يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ
وَ الْأَمْرُ - وَ اللَّهِ - الْيَوْمَ لِلَّهِ، وَ لَكِنَّهُ يَوْمَئِذٍ لَا يُنَازِعُهُ أَحَدٌ.

83- تفسير سورة المطففين - و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

* جاء في الصحيح المسند لاسباب النزول

(سألها ببلالها) بفتح الباء الثانية وكسرهما وهما وجهان مشهوران ذكرهما جماعات من العلماء

والبلال الماء ومعنى الحديث سأصلها شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة ومنه بلوا أرحامكم أي صلوها]

سنن ابن ماجه

2223 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:

" لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ كَانُوا مِنْ أَخْبَثِ النَّاسِ كَيْلاً،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين:1]
فَأَحْسَنُوا الْكَيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ "

(وَيْلٌ) كلمة عذاب، ووعيد

(لِّلْمُطَفِّفِينَ)

***الْبَخْسُ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، إِمَّا بِالْإِزْدِيَادِ إِنْ اقْتَصَى مِنَ النَّاسِ،
وَإِمَّا بِالنُّقْصَانِ إِنْ قَضَاهُمْ.
و فسر الله المطففين بقوله

(الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ)

أي: أخذوا منهم وفاء عما ثبت لهم قبلهم
***من الناس

(يَسْتَوْفُونَ)

يستوفونه كاملاً من غير نقص.
***يَأْخُذُونَ حَقَّهُمْ بِالْوَافِي وَالزَّائِدِ،

(وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ)

أي: إذا أعطوا الناس حقهم، الذي للناس عليهم بكيل أو وزن،

(مُخْسِرُونَ)

أي: ينقصونهم ذلك، إما بمكيال و ميزان ناقصين،
أو بعدم ملء المكيال و الميزان، أو نحو ذلك.
فهذا سرقة لأموال الناس ، و عدم إنصاف لهم منهم.
المستفاد:-

- 1- وإذا كان هذا الوعيد على الذين يخسون الناس بالمكيال و الميزان،
✳ فالذي يأخذ أموالهم قهراً أو سرقة، أولى بهذا الوعيد من المطففين.
- 2- ودلت الآية الكريمة، على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له،
يجب عليه أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال و المعاملات،
- 3- بل يدخل في عموم هذا الحجج و المقالات،
فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد منهما يحرص على
ماله من الحجج،

فيجب عليه أيضاً أن يبين ما لخصمه من الحجج التي لا يعلمها ،
و أن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو،
و في هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه و اعتسافه،
وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه، نسأل الله التوفيق لكل خير.
*** وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ-تَعَالَى- بِالْوَفَاءِ فِي الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ، فَقَالَ:

{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ

تأويلاً } [الإِسْرَاءِ: 35] ،

وَقَالَ: { وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكْلِفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا }
[الأنعام: 152] ،

وَقَالَ: { وَأَقِيمُوا الزُّنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ } [الرَّحْمَنِ: 9] .
وَأَهْلَكَ اللَّهُ قَوْمَ شُعَيْبٍ وَدَمَّرَهُمْ عَلَى مَا كَانُوا يَبْخَسُونَ النَّاسَ فِي
الْمِيزَانِ وَالْمِيزَانِ.

—ثم تواعد تعالى المطففين، و تعجب من حالهم و إقامتهم على ما هم
عليه، فقال:

(أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ)

فالذي جرأهم على التطفيف عدم إيمانهم باليوم الآخر،
و إلا فلو آمنوا به، و عرفوا أنهم يقومون بين يدي الله،
يحاسبهم على القليل و الكثير، لأقلعوا عن ذلك و تابوا منه.

(يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)

***يَقُومُونَ حُفَاةً عُزَاةً غُرُلًا فِي مَوْقِفٍ صَعْبٍ حَرَجٍ ضَيِّقٍ ضَنْكٍ عَلَى
الْمُجْرِمِ، وَ يَغْشَاهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ- مَا تَعَجُّزُ الْقَوَى وَ الْحَوَاسُّ عَنْهُ.

*صحيح البخاري

4938 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [المطففين: 6]
«حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ» ()

(يوم يقوم الناس) من قبورهم وهو يوم القيامة.
(لرب العالمين) خاضعين للمعبود الحق الذي خلقهم.

*** صحيح مسلم

(2864) عن الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» -
قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟
أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ -
قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ،
فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ،
وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ،
وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ،
وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِنْجَامًا»
قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ

الاعجاز في الآية: (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ)

* راجع مجلة الاعجاز العلمي:

[موسوعة أبحاث الاعجاز العلمي](#) | [الطب وعلوم الحياة](#) | [الطب وعلوم الحياة](#) | [الخلق والتصوير](#)

من أبحاث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن
والسنة بدولة الكويت 1427هـ 2006م

د/ محمود عبدالله ابراهيم نجا

(يغيب) يغرق.

(رشحه) عرقه]

معيد بقسم الفارماكولوجيا الاكلينيكية - كلية طب - جامعة
المنصورة - مصر

ملخص البحث

(أ) النص المعجز: الآيات و الأحاديث التي تتكلم عن التصوير
مقرونا بالخلق أو منفصلا عنه:

أولاً: آيات التصوير فى القرآن بترتيب المصحف:

(هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ) 6 آل عمران
(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ

11 الأعراف.

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ
64 غافر.

(هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) 24 الحشر.
(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)
3،2 التغابن.

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ .الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِي أَيِّ
صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ) 6،7،8 الانفطار.

ثانياً: أحاديث التصوير: (خلق الله آدم على صورته) البخاري

ومسلم.

صحيح مسلم

2645) عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ، أَنَّ عَامِرَ بْنَ وَائِلَةَ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ

عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ:

الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ

وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعَظَ بِغَيْرِهِ،

فَاتَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُقَالُ لَهُ:

حَدِيفَةُ بْنُ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ، فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ

فَقَالَ: وَكَيْفَ يَشْقَى رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ؟

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ؟

فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

" إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً،

بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجَلَدَهَا

وَلَحَمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذْكَرٌ أَمْ أَنْثَى؟

فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ،

ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ،

وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ،

فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ،

ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ،

فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ "،

صحيح مسلم 771

«اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي

لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ

الْخَالِقِينَ»

(ب) الحقيقة العلمية المرتبطة بالنص:

من خلال فهم العلاقة بين الخلق و التصوير سوف يتبين لنا
بمشيئة الله الاعجاز العلمي فى حديث القرآن و السنه عن
الحامض النووى و كيفية انتقال الصفات الوراثية من الأباء الى
الأبناء، وما يحدث فى الدورة الخلوية (cell cycle) من
انقسام منصف (ميوزى)
أو تضاعفى (ميتوزى)،
و كيفية تحسين النسل فى أثناء تكوين الأمشاج و فى أثناء
التقدير الوراثى للنطفه.

كما سوف يتبين لنا العلاقة التى تربط بين الخلق و التصوير
فى الأصلاب و فى الأرحام.
(ج) وجه الإعجاز فى النص:

مع أن كل الكائنات الحية مختلفه فى الأشكال و الصفات الا أنها
بالاجماع تعتمد فى تكاثرها على وجود الحامض النووى فى كل
خلاياها مما يدفعنا إلى الاستنتاج بوحداية الخالق الذى شهد
لنفسه بالوحدانيه

{قُلِ اللّٰهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}

ولا يدعى الخلق لنفسه الا من علم سرالمخلوقات

{إِنَّ اللّٰهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ
فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ}

و حين ينسب الله التصوير فى الأرحام لنفسه فانه بذلك يقدم
دليلا عمليا على أنه يعلم سرالمخلوقات بما فى ذلك الحامض

النووى المسؤول عن نقل الصفات الوراثية من الأباء الى الأبناء.
والله قد أخبرنا أنه بدأ خلق الانسان بخلق آدم من الطين

{وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ} و خلق حواء من آدم

{خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا}

ثم جعل الله نسل آدم و حواء من الماء المهيّن

{وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ}

أى من الأمشاج التى تخلق و تصور فى الأصلاب ثم تجتمع فى
الرحم لتعطى النطفه

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ}

و نلاحظ أن الهاء فى (جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً) عائدته على الانسان بكل
صفاته.

و فى هذا الاخبار الربانى عن جعل الانسان نطفه اعجاز علمى
غايه فى الدقه، اذ كيف تتساوى النطفه التى تمثل خليه واحده
لا ترى بالعين المجرده مع الانسان الذى يتركب من بلايين
الخلايا. و هذا الاعجاز لم يعرفه العلم الا منذ فترة بسيطة
عندما تمكن من فحص النطفه ليكتشف وجود انسان كامل
يعرف باسم الحامض النووى

دنا DNA = لا يكاد يذكر فى الحجم و لكنه يحمل شفره
وراثيه كامله للانسان

و يمكن أن نسميه بالانسان الجينى أو النطفه الأمشاج

{إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أُمِّشَاجٍ}

و النطفه هى المسؤله عن نقل البرنامج الوراثى
من الأباء الى الأبناء
{مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ}.

و اذا أخذنا بترتيب سورالمصحف نجد أن أول مره يجتمع فيها
ذكر الخلق مع التصوير فى آيه واحده هى
(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ).

و بالرجوع الى كتب المفسرين نجد أنهم قد اختلفوا فى تأويل
هذه الآية،فذهب بعض المفسرين كالطبرى و ابن كثير إلى أن
المقصود فى هذه الآية هو آدم فقط و ليس الذرية.
و ذهب البعض الآخر و هم الكثرة الى أن التصوير فى هذه
الآية يمتد ليشمل آدم و الذرية.

قال القرطبى و الشوكانى و أبو جعفر النحاس نقلا عن أقوال
العديد من السلف الصالح كابن عباس و قتادة و السدي و
الضحاك و عكرمة و الأعمش و مجاهد و الحسن الى أن
(خلقناكم) أي خلقنا آدم

و(صورناكم) أي صورنا الذرية.

و كلام هذا الجمع الغفير من السلف الصالح
و على رأسهم ابن عباس يدل على أن الذريه خُلِقَتْ و صُوِّرَتْ
قبل السجود لآدم كما هو ظاهر من سياق الآية

(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ).

قال القرطبى، بدأ الله خلقكم أيها الناس بآدم و حواء و خلقكم
منهما بخلق و تصوير الأمشاج فى الأصلاب و التى يكون منها

خلقكم و تصويركم فى الأرحام ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم.
فالله يخلق الكائن الأول من كل جنس من الأجناس المختلفه
للكائنات الحيه

ثم يجعل له ذريه على صورة الكائن الأول من خلال خلق و
تصوير الأمشاج فى الأصلاب و هى لا تحوى الا الحامض النووى،
ثم تلتقى الأمشاج فى الأرحام لتكوين النطفه و التى لا تحتوى
الا على الحامض النووى.
و من النطفه يتم خلق و تصوير الذريه فى الأرحام فذاك اسمه
المصور و فعله التصوير

(هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء)

ليجعل لكل كائن حى كالانسان صورة مميزة له عن باقى
الكائنات التى ركبها الله وفق مشيئته
(فى أى صورة ما شاء ركبك).

و العلم الحديث يقول بأن الصورة الشكلييه للكائن لن تتركب
الا فى وجود الحامض النووى (دنا) الذى يمثل الصورة الجينية
(الشفرة الوراثية) للصورة الشكلييه للكائن.

و باذن الله سوف نثبت فى هذا البحث أن القرآن و السنة
يتحدثان عن الحامض النووى من خلال الكلام عن الخلق و
التصوير.

راجع البحث الملحق من الرابط

http://www.eajaz.org/download.php?f=research_99.pdf&fc=pdf الخلق والتصوير

((الأدلة في ذكر الملائكة والاستقصاء لصفاتهم)))

من موقع بن جبرين

<http://ibn-jebreen.com/?t=books&cat=4&book=82&page=5029>

كذلك أيضا من الإيمان بالغيب الإيمان بالملائكة الذين خلقهم الله تعالى لعبادته، وسخرهم وكلفهم، وأمرهم فأتاعوه، فهم من أولياء الله تعالى، ومن الذين خلقوا لعبادته وطاعته، وقد وردت الأدلة في ذكر الملائكة والاستقصاء لصفاتهم، مثل قول الله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾

وصفهم بأنهم عباد مكرمون،

ومثل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾

والله تعالى هو الذي خلقهم، ووكّلهم بأعمال،

1- فمنهم الموكلون بالقطر، لا ينزل القطر إلا بإذن الله تعالى.

2- وملائكة يسيرون السحاب ويصرفونه بأمر الله، ومنهم

3- الموكلون بالنبات،

4- ومنهم الموكلون بحفظ بني آدم كما في قول الله تعالى:

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾

يحفظون الإنسان، فإذا جاء أمر الله وقضاؤه وقدره خلوا بينه وبين القدر، وإلا فإنهم يحفظونه عما لم يقدر الله تعالى عليه،

5- ومنهم كتبة الأعمال؛ في قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾

هؤلاء ملائكة الحفظ الكتبة، يقول الله تعالى:

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾

عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ

عن اليمين ملك الحسنات، وعن الشمال ملك السيئات.

إذا عمل حسنة يقول الله تعالى: إذا هم عبي بحسنة ولم

يعملها فاكتبوها له حسنة، وإن هم بها وعملها فاكتبوها له

عشر حسنات، وإذا هم بسيئة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة -

إذا هم بسيئة فلم يعملها فإنما تركها من جرائي،

أي: خوفا مني، فاكتبوها له حسنة- وإن هم بها وعملها

فاكتبوها سيئة واحدة. يكتبون بأمر الله ما يعمله من خير،

أو من شر، ويكتبون كل كلامه.

6- هناك ملائكة موكلون بقبض الأرواح، قال الله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾

ويقول تعالى: ﴿تَوَفَّئِهِ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ

بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾

هكذا أخبر بأن الملائكة باسطو أيديهم لقبض الأرواح.

7- كذلك الملائكة الذين سُخِّرُوا بأمر الله تعالى،

منهم خزنة النار، كما في قوله تعالى

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِيحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ

8- وكذلك خزنة الجنة،

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾

الموكلون بحفظ الجنة وحراستها،

9- والملائكة الموكلون بحفظ النار وإيقادها، ورد أنه يُجاء

بجهنم يوم القيامة في تفسير قوله تعالى:

﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ لها سبعون ألف زمام، بكل زمام سبعون ألف

ملك يجرونها، ما مقدارها؟

يعني: سبعون ألف زمام كل زمام يجره سبعون ألف ملك!!

لا شك أن هذا دليل على عظمتها!

هؤلاء ملائكة ورد أن ملائكة الله تعالى لا يحصون،

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾

سمى الله في القرآن بعضهم،

10- فسمى خازن النار، قال تعالى:

﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ مالك هو خازن النار .

11- ورد في الحديث أن خازن الجنة اسمه رضوان

((قلت: لم يرد....سامح))

12- وأن الملكين الموكلين بعذاب القبر اسمهما منكر ونكير

13- وأن ملك الوحي جبريل

14- وأن ملك القطر ميكائيل

فهؤلاء سموا في القرآن جبريل وميكال أو ميكائيل ورضوان
والبقية أخذوا من الأحاديث،
وعدهم لا يحصيه إلا الله تعالى.

وسمى الله تعالى بعضهم بملائكته، ويقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ

مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾

فُسر روح القدس بأنه جبريل أن الله أيد به عيسى أيده بهذا
الملك؛ فيدل على أن الملائكة كثير،
وأن منهم مَنْ هو ينزل على الرسل، ويقوي رسل الله
ويؤيدهم وأشهر الملائكة جبريل عليه السلام
وهو الذي يكلمه الله.

في الحديث: ﴿إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إني أحب فلان
فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماوات: إن الله يحب
فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماوات، ثم يوضع له القبول في
الأرض، وإذا أبغض عبدا نادى جبريل إني أبغض فلانا

فأبغضه، فينادي جبريل إن الله يبغض فلانا فأبغضوه فيبغضه
أهل السماوات، ثم توضع له البغضاء في الأرض ﴿١﴾
يكلم الله تعالى جبريل أولاً.

كذلك في الحديث:

((إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات
منه رجفة -أو قال: رعدة- شديدة خوفاً من الله تعالى، فإذا
سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخرّوا لله سجداً، فيكون
أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما يشاء، ثم
يمر على الملائكة فيقولون: يا جبريل ماذا قال ربنا؟
فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما
قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله)
فذكر أنه الذي أول من يرفع رأسه بعدما يخرون، وأن الله
تعالى يكلمه منه إليه، وأن الملائكة يسألونه، وأنه يخبرهم،
وأنه ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله.
فكل ذلك دليل على مكانة هذا الملك الذي هو جبريل عليه
السلام.

وقد مر بنا أحاديث في صفته، وفي عظمته، وفي تواضعه،
وفي كثرة ما خلق الله له من الأجنحة،
له ستمائة جناح، وأنه قد سد الخافقين، وأنه قد سد الأفق،
وفي الحديث الذي مر بنا أن النبي ﷺ نظر إليه وإذا هو لاطئ،
يعني: متواضع، يقول: فعرفت فضله،
(((قلت: بالبحث في الشاملة: اسناده ضعيف... سامح)))
وفي بعض الأحاديث أن النبي ﷺ سأله:

لماذا لم تضحك؟

فقال: ما ضحكت منذ أن خلق الله النار مخافة أن أعصيه
فيكبني فيها مع أنهم من الملائكة المقربين!
((قلت: بالبحث في الشاملة: لم أجده... سامح))
فهذه صفات أولياء الله وملائكته الذين اصطفاهم لطاعته،
والذين قال عن عباده من البشر:

﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا
يَسْأَمُونَ﴾

يعني: الملائكة، يعني: إن استكبرتم وتكبرتم يا بني آدم فإن
الله تعالى له عباد يعبدونه ويطيعونه، ولا يعصونه طرفة
عين، ألا وهم ملائكة الله، فهذا شأن الملائكة.
وقد مر بنا من صفاتهم ما فيه عبرة لمن اعتبر.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١١﴾

وَمَا يُكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا نُتِلَى عَلَيْهِ ءَابِنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

كَلَّابٌ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾

ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾

تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾

خِتَمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِرَاجُهُ مِنَ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا

يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا أُنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ اُنْقَلَبُوا فَكِهِينَ

﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾

وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١١﴾

وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾

ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى: (كَلَّا)

***حَقًّا

(إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ)

وهذا شامل لكل فاجر من أنواع الكفرة و المنافقين، و الفاسقين

(لَفِي سَجِينِ)

ثم فسر ذلك بقوله:

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ)

أَيُّ: هُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَ سَجْنٌ مُقِيمٌ وَ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

أَي: كتاب مذكور فيه أعمالهم الخبيثة،

و السجين: المحل الضيق الضنك،

***و سَجِينٌ: هِيَ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ.

و قد قيل: إن (سَجِينٌ) :

-هو أسفل الأرض السابعة، مأوى الفجار و مستقرهم في معادهم.

(كِتَابُ مَرْقُومٌ)

*** مَرْقُومٌ مَكْتُوبٌ مَفْرُوعٌ مِنْهُ، لَا يُزَادُ فِيهِ أَحَدٌ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ أَحَدٌ

و (سجّين) ضد (عليين) الذي هو محل كتاب الأبرار، كما سيأتي.

*** {إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينٍ} أَي:

إِنَّ مَصِيرَهُمْ وَمَأْوَاهُمْ لَفِي سَجِّينٍ-فَعِيلٌ مِنَ السَّجْنِ، وَهُوَ الضِّيقُ- كَمَا يُقَالُ:
فَسِيقٌ وَشَرِيبٌ وَخَمِيرٌ وَسَكْرٌ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَلِهَذَا عَظُمَ أَمْرُهُ

ثُمَّ قَدْ قَالَ قَائِلُونَ: هِيَ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ:

في مسند أحمد ط الرسالة -18534

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

" اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا ". ثُمَّ قَرَأَ:

{وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ* فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي

مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: 31]

-{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ}

وَهُوَ يَجْمَعُ الضِّيقَ وَالسُّفُولَ، كَمَا قَالَ:

{وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا} [الفرقان: 13] .

(وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ)

ثم بين المكذبين بأنهم

(الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ)

أي: يوم الجزاء، يوم يدين الله فيه الناس بأعمالهم.

(وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ)

على محارم الله، متعد من الحلال إلى الحرام.

(أَثِيمٍ)

أي كثير الإثم، فهذا الذي يحمله عدوانه على التكذيب
و يوجب له كبره رد الحق، و لهذا

(إِذَا نُنَالُ عَلَيْهِ إِنِّنَّا)

الدالة على الحق، و على صدق ما جاءت به رسله، كذبها وعاندها،
و (قَالَ) هذه

(أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)

أي: من ترهات المتقدمين، و أخبار الأمم الغابرين،
ليس من عند الله تكبرا وعنادا.

*** فَيَعْتَقِدُ أَنَّهُ مُفْتَعَلٌ مَجْمُوعٌ مِنْ كُتُبِ الْأَوَائِلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [النحل: 24] ، وَقَالَ:

{وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفرقان: 5]

—وأما من أنصف، وكان مقصوده الحق المبين، فإنه لا يكذب بيوم الدين،

لأن الله قد أقام عليه من الأدلة القاطعة، و البراهين الساطعة،

ما يجعله حق اليقين، و صار لقلوبهم مثل الشمس للأبصار ،

(كَلَّابٌ رَّانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

بخلاف من ران على قلبه كسبه، وغطته معاصيه،

*** لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا وَلَا كَمَا قَالُوا، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،

بَلْ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ وَ وَحْيُهُ وَ تَنْزِيلُهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ

وَ إِمَّا حَجَبَ قُلُوبُهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ مَا عَلَيْهَا مِنَ الرَّيْنِ الَّذِي قَدْ لَبَسَ قُلُوبَهُمْ مِنْ كَثْرَةِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا

*** وَ الرَّيْنُ يَغْتَرِي قُلُوبَ الْكَافِرِينَ، وَ الْغَيْمُ لِلْأَبْرَارِ، وَ الْغَيْنُ لِلْمُقَرَّبِينَ.

*** صحيح مسلم -144

«تُعَرِّضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا،

فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ،

وَ أَيْ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيَاضُ،

حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلَ الصَّفَا

فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ،

وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ، مُجَخَّيًا

لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَ لَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ»

مسند أحمد ط الرسالة

7952 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

" إِنْ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ،

فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ،

وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبُهُ

ذَاكَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ:

{ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [المطففين: 14] "

(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ)

فإنه محجوب عن الحق، و لهذا جُوزِيَ على ذلك، بأن حُجِبَ عن الله،
كما حجب قلبه في الدنيا عن آيات الله،

*** فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ

الْمُؤْمِنِينَ يَرُونَهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَئِذٍ .

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي غَايَةِ الْحُسْنِ،
وَهُوَ اسْتِدْلَالٌ بِمَفْهُومِ هَذِهِ الْآيَةِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ مَنْطُوقُ قَوْلِهِ:

{ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ } [الْقِيَامَةِ: 22، 23] .

وَكَمَا دَلَّتْ عَلَىٰ ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحَاحُ الْمُتَوَاتِرَةُ فِي رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ
عَزَّ وَجَلَّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، رُؤْيَا بِالْأَبْصَارِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ،
وَفِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ الْفَاخِرَةِ.

(ثُمَّ إِنَّهُمْ)

مع هذه العقوبة البليغة

(لَصَالُوا الْجَحِيمِ)

ثم يقال لهم توبيخاً و تقريعاً:

(ثُمَّ بَقَالَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِمِ تَكْذِبُونَ)

فذكر لهم ثلاثة أنواع من العذاب:

1- عذاب الجحيم،

2-و عذاب التوبيخ، و اللوم.

3-و عذاب الحجاب من رب العالمين،

المتضمن لسخطه وغضبه عليهم، و هو أعظم عليهم من عذاب النار،
و دل مفهوم الآية، على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة و في الجنة،
و يتلذذون بالنظر إليه أعظم من سائر اللذات، و يبتهجون بخطابه،
و يفرحون بقربه، كما ذكر الله ذلك في عدة آيات من القرآن،
و تواتر فيه النقل عن رسول الله.

و في هذه الآيات، التحذير من الذنوب،

فإنها ترين على القلب و تغطيه شيئا فشيئا،

حتى ينطمس نوره، و تموت بصيرته، فتقلب عليه الحقائق،

فيرى الباطل حقاً، و الحق باطلا و هذا من بعض عقوبات الذنوب.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ ﴿١٨﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْهُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾

تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ ﴿٢٥﴾

خَتَمَتْهُمُ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَرْجَاهُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُّونَ

***هي السماء السابعة و فيها ارواح المؤمنين
-لما ذكر أن كتاب الفجار في أسفل الأمكنة وأضيقتها،
ذكر أن كتاب الأبرار في أعلاها و أوسعها، و أفسحها

(كِتَابُ مَرْقُومٌ)

و أن كتابهم المرقوم

(يَشْهَدُهُ الْمَقْرُؤُونَ)

من الملائكة الكرام، وأرواح الأنبياء، والصديقين والشهداء،
وينوّه الله بذكرهم في الملاء الأعلى،
و (عليون) اسم لأعلى الجنة، فلما ذكر كتابهم،

(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ)

ذكر أنهم في نعيم، و هو اسم جامع لنعيم القلب و الروح و البدن،

(عَلَى الْأَرْآيِكِ)

أي: على السرر المزينة بالفرش الحسان.

(يَنْظُرُونَ) إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم،
***إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَهَذَا مُقَابَلَةٌ لِمَا وُصِفَ بِهِ أَوْلِيكَ الْفُجَّارُ:

{كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}

فَذَكَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ أَنََّّهُمْ يُبَاحُونَ النَّظَرَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ هُمْ عَلَى سُرُرِهِمْ
و فُرُشِهِمْ

(تَعْرِفُ)

أيها الناظر إليهم

(فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ)

أي: بهاء النعيم و نضارته و رونقه،

فإن توالي اللذة و السرور يكسب الوجه نوراً و حسناً و بهجة.

(يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ)

و هو من أطيب ما يكون من الأشربة وألذها،

*** يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرٍ مِنَ الْجَنَّةِ.

وَ الرَّحِيقُ: مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ.

* الجزائري:هي الخمر العتيقة البيضاء الصافية من الغش

(مَخْتُومٍ)

ذلك الشراب

*الميسر:محكم إناؤها، آخره رائحة مسك،

(خَتْمُهُ، مِسْكٌ)

1-يحتمل أن المراد مختوم عن أن يداخله شيء ينقص لذته،

أو يفسد طعمه، وذلك الختام، الذي ختم به، مسك.

2-و يحتمل أن المراد أنه الذي يكون في آخر الإناء،

الذي يشربون منه الرحيق حثالة، و هي المسك الأذفر، فهذا الكدر منه،

الذي جرت العادة في الدنيا أنه يراق، يكون في الجنة بهذه المثابة،

(وَفِي ذَلِكَ)

النعيم المقيم، الذي لا يعلم حسنه و مقداره إلا الله،

(فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)

أي: يتسابقوا في المبادرة إليه بالأعمال الموصلة إليه،
فهذا أولى ما بذلت فيه نفائس الأنفاس،

و أخرى ما تراحمت للوصول إليه فحول الرجال.

و فِي مِثْلِ هَذَا الْحَالِ فَلْيَتَفَاخَرِ الْمُتَفَاخِرُونَ،
و ليتباهى وَيُكَاثِرْ وَيَسْتَبِقْ إِلَى مِثْلِهِ الْمُسْتَبِقُونَ.

كَقَوْلِهِ: { لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ } [الصَّافَّاتِ: 61] .

(وَمِنْ أَمْرِهِ مِنْ تَسْنِيمٍ)

و مزاج هذا الشراب من تسنيم، و هي عين

(عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ)

صرفاً، و هي أعلى أشربة الجنة على الإطلاق،

فلذلك كانت خالصة للمقربين، الذين هم أعلى الخلق منزلة،

و ممزوجة لأصحاب اليمين

أي: مخلوطة بالرحيق و غيره من الأشربة اللذيذة.

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾

وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾

وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾

وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

(إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ)

لما ذكر تعالى جزاء المجرمين و جزاء المؤمنين
و ذكر ما بينهما من التفاوت العظيم،
أخبر أن المجرمين كانوا في الدنيا يسخرون بالمؤمنين،
و يستهزئون بهم، و يضحكون منهم،

(وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ)

و يتغامزون بهم عند مرورهم عليهم، احتقاراً لهم و ازدراء،
و مع هذا تراهم مطمئنين، لا يخطر الخوف على بالهم،
* الجزائري: أي يشيرون إلى المؤمنين بالجفن و الحاجب استهزاء
بهم.

(وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ)

صباحاً أو مساءً

*رجعوا

(انْقَلَبُوا فَكِهِينَ)

أي: مسرورين مغتبطين ،

وهذا من أعظم ما يكون من الاغترار،

أنهم جمعوا بين غاية الإساءة و الأمن في الدنيا،

حتى كأنهم قد جاءهم كتاب من الله و عهد، أنهم من أهل السعادة،

انْقَلَبُوا إِلَيْهَا فَاكْهِنَ، مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا،

وَمَعَ هَذَا مَا شَكَّرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ،

بَلِ اشْتَغَلُوا بِالْقَوْمِ الْمُؤْمِنِينَ يَحْتَقِرُونَهُمْ وَ يَحْسُدُونَهُمْ،

(وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ)

و قد حكموا لأنفسهم أنهم أهل الهدى، و أن المؤمنين ضالون،

افتراء على الله، و تجرأوا على القول عليه بلا علم.

قال تعالى:

(وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ)

أي: و ما أرسلوا وكلاء على المؤمنين ملزمين بحفظ أعمالهم،

حتى يحرصوا على رعيهم بالضلال،

و ما هذا منهم إلا تعنت و عناد و تلاعب، ليس له مستند و لا برهان،

و لهذا كان جزاؤهم في الآخرة من جنس عملهم، قال تعالى:

(فَالْيَوْمَ)

أي: يوم القيامة،

(الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ)

حين يرونهم في غمرات العذاب يتقلبون،
وقد ذهب عنهم ما كانوا يفترون، و المؤمنون في غاية الراحة و الطمأنينة .

عَلَى الْأَرْآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثَوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

(عَلَى الْأَرْآئِكِ)

و هي السرر المزيّنة،

(يَنْظُرُونَ)

إلى ما أعد الله لهم من النعيم، و ينظرون إلى وجه ربهم الكريم.

(هَلْ ثَوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)

أي: هل جوزوا من جنس عملهم؟

فكما ضحكوا في الدنيا من المؤمنين و رموهم بالضلال،

ضحك المؤمنون منهم في الآخرة، و رأوهم في العذاب و النكال،

الذي هو عقوبة الغي و الضلال.

نعم، ثوبوا ما كانوا يفعلون، عدلا من الله و حكمة، و الله عليم حكيم.

غش الخمر في الدنيا بالميثانول:

أبسط أنواع الكحوليات تركيباً،

ويطلق عليه كاربينول Carbinol وهو يحضر بالتقطير الإتلافي للخشب destructive distillation، لذا يُسمى كحول الخشب أو روح الخشب wood spirits (حرق الخشب وتقطره في معزل عن الهواء). ولكن هذه الأيام يصنع من الهيدروجين وأول أكسيد الكربون أو ثاني أكسيد الكربون ، كذلك يمكن الحصول على الميثانول عن طريق عملية أكسدة المركبات الهيدروكربونية .

وهو واسع الاستخدام كوقود مثل (picnic stoves) وكمذيب عضوي معروف لدى من يعملون في المختبرات والمصانع، كما يدخل في عملية غش الخمور والكولونيا نظراً لرخص ثمنه بالمقارنة بالكحول الإيثيلي (الإيثانول).

- يمتاز الميثانول بأنه سائل عديم اللون سريع التطاير في درجة حرارة الغرفة العادية وهو بذاته غير سام ويرجع التأثير السام لنواتج الأيض حيث يستقلب الميثانول إلي مادة شديدة السمية الفورمالدهيد formaldehyde حيث يعتبر 33 مرة أكثر سمية من الميثانول ويتحول الفورمالدهيد بسرعة إلي حمض النمليك formic acid خلال 3 دقائق.

الميثانول سريع الامتصاص من الجهاز الهضمي حيث يصل إلي أعلي معدل له في الدم بعد نصف ساعة أو ساعة يعتمد علي وجود أو عدم وجود الطعام في المعدة.

ويحدث التسمم عادة في فترة تتراوح من 6 ساعات إلي ثلاثة أيام وخلال هذه الفترة لا يشكي الشخص من أي أعراض سمية.

وتُعزى النسبة الكبرى من حالات التسمم بالميثانول إلى تعاطيه كبديل للمشروبات الكحولية من قِبَل المدمنين أو من خلال استهلاك خمور جرى غشها بإضافة الميثانول إليها.

ويرجع الأثر السام للميثانول إلى تحوله في جسم الإنسان إلى فورمالدهيد وحمض فورميك بواسطة إنزيم نازع هيدروجين الكحول alc. Dehydrogenase enzyme بالكبد.

يُعد تراكم النواتج الاستقلابية (metabolic products) السامة للميثانول مسئولة عن ظهور أعراض وعلامات التسمم به. وأهم هذه النواتج الفورمالدهيد الذي له تأثير إتلافي على العديد من خلايا الجسم وبخاصة شبكية العين والعصب البصري

بالإضافة إلى حدوث الحُمَاض (acidosis) بسبب تكون حمض الفورميك. وعلى ذلك فأعراض التسمم بالميثانول تبدأ في الظهور بعد فترة تتراوح بين 12 و 14 ساعة من تعاطيه على شكل

صداع ودوار وغثيان وقيء وآلام شديدة بالبطن والظهر تعزى إلى التهاب البنكرياس،

وتظهر أعراض تثبيط الجهاز العصبي المركزي والفشل التنفسي.

ومن العلامات الثابتة للتسمم بالميثانول الاضطراب البصري الذي قد يتراوح ما بين ضعف مؤقت وبسيط بالرؤية

وبين حالة العمى التام المصاحب للتعافي من حالات التسمم الحادة حيث تكون الحدقتان متسعيتين دون استجابة للضوء.

عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤَبُّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

84- سورة الانشقاق- وهي مكية- بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ

كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾

فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَينْقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾

فَسَوْفَ يَدْعُوا بُثُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾

إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسَمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾

وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾

فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

84- تفسير سورة الانشقاق- و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ① وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخُلَّتْ ④ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ⑤ يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ
كَدْحًا فَمُلْقِيهِ ⑥ فَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتْبَهُ بِيَمِينِهِ ⑦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا
⑧ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑨ وَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتْبَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ⑩
فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ⑪ وَيَصْلَى سَعِيرًا ⑫ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑬
إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ⑭ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ⑮

*** صحيح البخاري-766

عَنْ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ الْعَتَمَةَ، فَقَرَأَ:
إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ، فَسَجَدَ، فَقُلْتُ لَهُ: قَالَ:
«سَجَدْتُ خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ ؑ، فَلَا أَزَالُ أَسْجُدُ بِهَا حَتَّى أَلْقَاهُ»
*العتمة:الظلام و هي هنا بمعنى صلاة العشاء

صحيح مسلم-578

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «سَجَدْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ
فِي (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ) وَ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)»

يقول تعالى مبيناً لما يكون في يوم القيامة من تغير الأجرام العظام:

(إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ)

أي: انفطرت و تمايز بعضها من بعض، و انتشرت نجومها، و خسف بشمسها و قمرها.

(وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا)

أي: استمعت لأمره، و ألفت سمعها، و أصاحت لخطابه،

(وَحُفَّتْ)

وحق لها ذلك، فإنها مسخرة مدبرة تحت مسخر ملك عظيم، لا يُعصى أمره، و لا يُخالف حكمه.

(وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ)

***بُسِطَتْ و فُرِشَتْ و وسعت

أي: رجفت و ارتجت، و نسفت عليها جبالها،

و دك ما عليها من بناء و معلم، فسويت،

و مدها الله تعالى مد الأديم، (((حتى صارت واسعة جداً)))

تسع أهل الموقف على كثرتهم،

فتصير قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً و لا أمتاً.

(وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا)

من الأموات و الكنوز.

(وَتَخَلَّتْ)

منهم، فإنه ينفخ في الصور،

○ فتخرج الأموات من الأجداث إلى وجه الأرض،

○ و تخرج الأرض كنوزها، حتى تكون كالأسطوان العظيم،

يشاهده الخلق، و يتحسرون على ما هم فيه يتنافسون،

(وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُمَتْ ﴿٥﴾ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا)

أي: إنك ساع إلى الله، و عامل بأوامره و نواهيه، و متقرب إليه

إما بالخير و إما بالشر،

(فَمُلَاقِيهِ)

ثم تلاقي الله يوم القيامة،

فلا تعدم منه جزاء بالفضل إن كنت سعيداً، أو بالعدل إن كنت شقيّاً .

***وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعِيدُ الضَّمِيرَ عَلَى قَوْلِهِ: {رَبِّكَ}

أَي: فَمُلَاقِي رَبِّكَ،

وَمَعْنَاهُ: فَيُجَازِيكَ بِعَمَلِكَ وَ يُكَافِئُكَ عَلَى سَعْيِكَ.

وَعَلَى هَذَا فَكَلَا الْقَوْلَيْنِ مُتَلَاَزِمٌ.

*** الجامع الصغير وزيادته.

7804 - قَالَ لِي جَبْرِيلُ:

يَا مُحَمَّدُ عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ

وَأَحِبَّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ

وَأَعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُلَاقِيهِ

ولهذا ذكر تفصيل الجزاء، فقال:

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾

وَيُنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا

﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾

بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

(فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ)

وهم أهل السعادة.

(فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا)

وهو العرض اليسير على الله، فيقرره الله بذنوبه،

حتى إذا ظن العبد أنه قد هلك، قال الله تعالى له:

«إني قد سترتها عليك في الدنيا، فأنا أسترها لك اليوم» .

*** صحيح البخاري

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسِبُ إِلَّا هَلَكَ» قَالَتْ: قُلْتُ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
{فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا}

[الانشقاق: 8] قَالَ:

«ذَاكَ الْعَرْضُ يُعْرَضُونَ وَ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ»

(وَيُنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ)

*** يرجع -في الجنة

(مَسْرُورًا)

*** فرحا مغتبطا-لأنه نجا من العذاب و فاز بالشواب،

(وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ)

أي: بشماله من خلفه.

(فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا)

*** هلاكا و خسارا

من الخزي و الفضيحة، و ما يجد في كتابه من الأعمال التي قدمها ولم يتب
منها،

(وَيَصَلِّي سَعِيرًا)

أي: تحيط به السعير من كل جانب،
و يقرب على عذابها، و ذلك لأنه في الدنيا

(إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا)

لا يخطر البعث على باله، و قد أساء،
***فَرِحًا لَا يُفَكِّرُ فِي الْعَوَاقِبِ،
و لَا يَخَافُ مِمَّا أَمَامَهُ،
فَأَعْقَبَهُ ذَلِكَ الْفَرْحُ الْيَسِيرُ الْحُزْنَ الطَّوِيلَ

(إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ)

و لم يظن أنه راجع إلى ربه و موقوف بين يديه.
***الاحور: الرجوع

(بَلَغَ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا)

فلا يحسن أن يتركه سدى، لا يؤمر و لا ينهى، و لا يثاب و لا يعاقب.

فَلَا أَقْسِمُ بِالْشفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا

عَنْ طَبَقِ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
 ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

(فَلَا أَقْسِمُ بِالْشَّفَقِ) الاعجاز العلمي في من هنا

أقسم في هذا الموضع بآيات الليل، فأقسم بالشفق الذي هو بقية نور الشمس، الذي هو مفتاح الليل.

***الشفق هو:

حُمْرَةُ الْآفُقِ إِمَّا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ-كَمَا قَالَهُ مُجَاهِدٌ-
 وَإِمَّا بَعْدَ غُرُوبِهَا-كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ.

(وَالْأَيْلِ وَمَا وَسَقِ)

أي: احتوى عليه من حيوانات و غيرها،
 ***جمع

(وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ)

الاعجاز العلمي في من هنا

أي: امتلاً نوراً بإبداره،

و ذلك أحسن ما يكون و أكثر منافع، و المقسم عليه قوله:

(لَتَرْكَبُنَّ) أي: أيها الناس

(طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ)

***حالا بعد حال

-قَوْمٌ كَانُوا فِي الدُّنْيَا خَسِيسٌ أَمْرُهُمْ، فَارْتَفَعُوا فِي الْآخِرَةِ،
وَ آخَرُونَ كَانُوا أَشْرَافًا فِي الدُّنْيَا، فَاتَّضَعُوا فِي الْآخِرَةِ.
-حَالًا بَعْدَ حَالٍ، رَخَاءً بَعْدَ شِدَّةٍ، وَ شِدَّةً بَعْدَ رَخَاءٍ، وَ غِنًى بَعْدَ فَقْرٍ،
وَ فَقْرًا بَعْدَ غِنًى، وَ صِحَّةً بَعْدَ سَقَمٍ، وَ سَقَمًا بَعْدَ صِحَّةٍ.
-قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ بَعْدَ مَا حَكَى أَقْوَالَ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْقُرَّاءِ
وَ الْمُفَسِّرِينَ: وَالصَّوَابُ مِنَ التَّأْوِيلِ قَوْلُ مَنْ قَالَ
لَتَرْبَحَنَّ أَنْتَ- يَا مُحَمَّدٌ- حَالًا بَعْدَ حَالٍ وَ أَمْرًا بَعْدَ أَمْرٍ مِنَ الشَّدَائِدِ.
وَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ-

وَإِنْ كَانَ الْخُطَّابُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُوجَّهًا -جَمِيعَ النَّاسِ،
وَأَنَّهُمْ يَلْقَوْنَ مِنْ شَدَائِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهِ أَحْوَالًا .

أي: أطوارا متعددة و أحوالا متباينة،

من النطفة إلى العلقة، إلى المضغة، إلى نفخ الروح،

ثم يكون وليدًا وطفلاً

ثم مميزًا،

ثم يجري عليه قلم التكليف، والأمر والنهي،

ثم يموت بعد ذلك،

ثم يبعث و يجازى بأعماله،

فهذه الطبقات المختلفة الجارية على العبد،
دالة على أن الله وحده هو المعبود، الموحد، المدبر لعباده بحكمته و رحمته،
و أن العبد فقير عاجز، تحت تدبير العزيز الرحيم،

(فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)

و مع هذا، فكثير من الناس لا يؤمنون.

(وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ)

أي: لا يخضعون للقرآن، و لا ينقادون لأوامره و نواهيه،
*الميسر: و ما لهم إذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لله،
و لا يسلمون بما جاء فيه

(بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ)

أي: يعاندون الحق بعدما تبين،

فلا يستغرب عدم إيمانهم و عدم انقيادهم للقرآن،
فإن المكذب بالحق عنادًا، لا حيلة فيه،
*** مِنْ سَجِيَّتِهِمُ التَّكْذِيبُ وَ الْعِنَادُ وَ الْمُخَالَفَةُ لِلْحَقِّ.

(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ)

أي: بما يعملونه و ينوونه سرًا، فالله يعلم سرهم و جهرهم،
و سيجازيهم بأعمالهم، و لهذا قال

(فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)

و سميت البشارة بشارة، لأنها تؤثر في البشارة سروراً أو غمًا.
فهذه حال أكثر الناس، التكذيب بالقرآن، و عدم الإيمان به .

(إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ)

و من الناس فريق هداهم الله، فآمنوا بالله، و قبلوا ما جاءتهم به الرسل،
فآمنوا و عملوا الصالحات.

فهؤلاء لهم أجر

(غَيْرِ مَمْنُونٍ)

أي: غير مقطوع بل هو أجر دائم مما لا عين رأت، و لا أذن سمعت،
و لا خطر على قلب بشر.

*** { وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا

مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُونٍ } [هود: 108]

وَ إِنَّمَا دَخَلُوهَا بِفَضْلِهِ وَ رَحْمَتِهِ لَا بِأَعْمَالِهِمْ،

فَلَهُ عَلَيْهِمُ الْمِنَّةُ دَائِمًا سَرْمَدًا،

وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ أَبَدًا؛

وَ لِهَذَا يُلْهِمُونَ تَسْبِيحَهُ وَ تَحْمِيدَهُ كَمَا يُلْهِمُونَ النَّفْسَ:

{وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [يونس: 10] .

* صحيح مسلم 2835

يُلْهِمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْحَمْدَ، كَمَا تُلْهِمُونَ النَّفْسَ

*الاعجـاز في:

1-(فلا أقسم بالشفق) من موقع الكحيل

<http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-02-02-22-33-29/284-2010-09-25-21-42-58>

صورة لما يسمى "الشفق القطبي" وهو من الظواهر الجميلة حيث نرى أعمدة
من الألوان الزاهية تلون صفحة السماء. إنها ظاهرة معقدة جداً استطاع العلماء
تفسيرها حديثاً. فالشمس تقذف ملايين الأطنان في الانفجارات الشمسية، وعندما
يصل الحقل المغنطيسي القوي الناتج عن هذه الانفجارات إلى غلاف الأرض الجوي
فإنه يتفاعل مع الحقل المغنطيسي للأرض ويتبدد عند منطقة القطبين، ويولد هذه
الألوان الرائعة، ولذلك فقد أقسم الله بهذا الشفق وأقسم بالمواد الموجودة في الظلام
والتي لا نراها حيث تسبب هذه الظاهرة، يقول تعالى: **(فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ
وَمَا وَسَقَ)** [الانشقاق: 16 - 17] ومعنى قوله تعالى **(وَمَا وَسَقَ)** أي وما حوى... إنها
آية تشهد على عظمة وإبداع الخالق تبارك وتعالى... فسبحان الله!

2- وَالْقَمَرُ إِذَا اتَّسَقَ

<http://www.ahram.org.eg/Archive/2007/6/18/Opin1.htm>

مقالات د زغلول النجار في جريدة الاهر 2007م

*والقمر في موضع الاستقبال لأشعة الشمس

(أي: في مرحلة البدر الكامل)

يكون أبعد ما يكون عن الأرض ولذلك يبقى واقعا تحت إمكانية انفلاته من عقال جاذبيتها وفقده إلى الأبد لولا لطف الله، ولذلك أقسم ربنا — وهو الغني عن القسم لعباده — بالقمر إذا اتسق أي: إذا اكتمل نوره، وزاد جماله وأنار ظلمة ليل الأرض.

85- سورة البروج- مكية- بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْوَعْدِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾

قِيلَ اصْحَبْ الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾

وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾

وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾

إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

ذَلِكَ الْقَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ ﴿١٣﴾

وَهُوَ الْعَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾

فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أُنْتُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنُ وَشُودُ ﴿١٨﴾

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾

بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي تَوْجٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

تفسير سورة البروج- و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ① وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ② وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ③ قُلْ أَصْحَابُ الْأُخُودِ
④ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ⑤ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ⑥ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ
⑦ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ⑧ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ⑨

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ)

*** يُقَسِّمُ اللَّهُ بِالسَّمَاءِ وَبُرُوجِهَا،

وَهِيَ: النُّجُومُ الْعِظَامُ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي
السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا} [الْفُرْقَان: 61].

أي: ذات المنازل المشتملة على منازل الشمس والقمر،
والكواكب المنتظمة في سيرها،

على أكمل ترتيب و نظام دال على كمال قدرة الله تعالى ورحمته،
و سعة علمه و حكمته.

(وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ)

و هو يوم القيامة، الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه،
و يضم فيه أولهم و آخرهم، و قاصيهم و دانيهم،

الذي لا يمكن أن يتغير، و لا يخلف الله الميعاد.

(وشاهد)

*** الشَّاهِدَ مُحَمَّدٌ ﷺ

{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا}

[النِّسَاءِ: 41]

الشاهد:الانسان

(ومشهود)

وَ الْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ.

وَ الْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ. { ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ }

—و شمل هذا كل من اتصف بهذا الوصف

أي: مبصر و مبصر،

و حاضر و محضور،

و راء و مرئي.

و المقسم عليه:—

ما تضمنه هذا القسم من آيات الله الباهرة، و حكمه الظاهرة،

و رحمته الواسعة.

و قيل: إن المقسم عليه قوله

قِيلَ اصْحَبِ الْأَخْدُودَ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا
يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾
(قِيلَ اصْحَبِ)

و هذا دعاء عليهم بالهلاك .

و (الْأَخْدُودِ)

الحفر التي تحفر في الأرض .

و كان أصحاب الأخدود هؤلاء قومًا كافرين ،

و لديهم قوم مؤمنون ،

فراودوهم للدخول في دينهم ، فامتنع المؤمنون من ذلك ،

فشق الكافرون أخذودًا في الأرض ،

و قذفوا فيها النار ، و قعدوا حولها ، و فتنوا المؤمنين ، و عرضوهم عليها ،

فمن استجاب لهم أطلقوه ، و من استمر على الإيمان قذفوه في النار ،

و هذا في غاية المحاربة لله و لحزبه المؤمنين ،

***صحيح مسلم

(3005) عَنْ صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

" كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَ كَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبُرَ،
قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبُرْتُ، فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحَرَ،

فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ،
إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ
فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ،
فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ،
فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي،
وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ،
فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ،
فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلَ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟
فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ
فَأَقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا،
وَ مَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ،
فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَنِي أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي،
قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَ إِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ،
وَ كَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ،
وَ يُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ،
فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ،
فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي،
فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِلَّا مَا يَشْفِي اللَّهُ
فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَأَمِنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ،
فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ،
فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟
قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَ لَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟
قَالَ: رَبِّي وَ رَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ
فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ

فَجِيءَ بِالْغُلَامِ،
فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بُنْيَ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ،
وَ تَفْعَلُ وَ تَفْعَلُ،

فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ،
فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ،
فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ،

فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى،
فَدَعَا بِالْمُنْشَارِ، فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ،
فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ،

ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ،
فَأَبَى فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ،
فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ،

ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ،
فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ،
فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا،

فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ،
فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَ إِلَّا فَاطْرَحُوهُ،
فَذْهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ،

فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ مِمَّا شِئْتُ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا،
وَ جَاءَ يَمُشِي إِلَى الْمَلِكِ،
فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟

قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ،
فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَأَحْمِلُوهُ فِي قُرُقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ،
فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَ إِلَّا فَأَقْذِفُوهُ، فَذْهَبُوا بِهِ،

فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ مِمَّا شِئْتُ، فَاَنْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا،
وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ،
فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟
قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ:
إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟
قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِدْعٍ،
ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ،
ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ أَرْمِنِي،
فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي،
فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِدْعٍ،
ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ،
ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغُلَامِ،
ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ،
فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ،
فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ،
فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟
قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ،
فَأَمَرَ بِالْأَخْذِ فِي أَفْوَاهِ السِّكِّ، فَخُذَّتْ وَأُضْرِمَ النَّيِّرَانِ،
وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ:
اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَ مَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا،
فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمُّهُ اضْبِرِّي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ " ()

(الأكمة) الذي خلق أعمى

(بالمثشار) مهموز في رواية الأكثرين ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء وروى المنشار بالنون
وهما لغتان صحيحتان

○ ولهذا لعنهم الله وأهلكهم وتوعدهم فقال:

(قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ)

ثم فسر الأخدود بقوله:

(النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥٠﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ)

و هذا من أعظم ما يكون من التجبر و قساوة القلب،

لأنهم جمعوا بيــــن :-

1-الكفر بآيات الله و معاندتها،

2-و محاربة أهلها و تعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب،

(ذروته) ذروة الجبل أعلاه وهي بضم الذال وكسرهما
(فرجف بهم الجبل) أي اضطرب وتحرك حركة شديدة
(قرقرور) القرقرور السفينة الصغيرة وقيل الكبيرة واختار القاضي الصغيرة بعد حكايته خلافا كثيرا
(فانكفأت بهم السفينة) أي انقلبت
(صعيد) الصعيد هنا الأرض البارزة
(كبد القوس) مقبضها عند الرمي
(نزل بك حذرك) أي ما كنت تحذر وتخاف
(بالأخدود) الأخدود هو الشق العظيم في الأرض وجمعه أخاديد
(أفواه السكك) أي أبواب الطرق
(فأحموه فيها) هكذا هو في عامة النسخ فأحموه بهمزة قطع بعدها حاء ساكنة ونقل القاضي
اتفاق النسخ على هذا ووقع في بعض نسخ بلادنا فأفحموه بالقاف وهذا ظاهر ومعناه
اطرحوه فيها كرها ومعنى الرواية الأولى ارموه فيها من قولهم أحميت الحديد وغيرها إذا
أدخلتها النار لتحمي
(فتقاعست) أي توقفت ولزمت موضعها وكرهت الدخول في النار]

3- و حضورهم إياهم عند إلقاءهم فيها،
* الميسر: إذ هم قعود على الأخذود ملازمون له،

(وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ)

* الميسر: وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من تنكيل وتعذيب حضورٌ

(وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ)

و الحال أنهم ما نقموا من المؤمنين إلا خصلة يمدحون عليها،
و بها سعادتهم، و هي أنهم كانوا يؤمنون بالله
* الجزائري: أي ما عابوا أي شيء سوى إيمانهم بالله تعالى.

(الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ)

أي: الذي له العزة التي قهر بها كل شيء،
وهو حميد في أقواله و أوصافه و أفعاله.

(الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

خلقًا و عبيدًا، يتصرف فيهم تصرف المالك بملكه ،

(وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)

علمًا و سمعًا و بصرًا،

أفلا خاف هؤلاء المتمرّدون على الله، أن يبطش بهم العزيز المقتدر،
أو ما علموا أنهم جميعهم ممالك لله ،

ليس لأحد على أحد سلطة، من دون إذن المالك؟

أو خفي عليهم أن الله محيط بأعمالهم، مجاز لهم على فعالهم ؟
كلا إن الكافر في غرور، و الظالم في جهل و عمى عن سواء السبيل.
ثم وعدهم، و أوعدهم، و عرض عليهم التوبة، فقال:

إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ

﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ

الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ

﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أُنْتُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾

فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾

بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا

(فَتَنُوا)

أي: العذاب الشديد المحرق.

قال الحسن رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم و الجود:

هم قتلوا أوليائه و أهل طاعته، و هو يدعوهم إلى التوبة.

(فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ)

***وَذَلِكَ أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جَنْسِ الْعَمَلِ
و لما ذكر عقوبة الظالمين، ذكر ثواب المؤمنين، فقال:

(إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا)

بقلوبهم

(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

بجوارحهم

(لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ)

الذي حصل به الفوز برضا الله و دار كرامته.

(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ)

أي: إن عقوبته لأهل الجرائم و الذنوب العظام لقوية

{ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ }

[هود: 102]

(إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ)

أي: هو المنفرد بإبداء الخلق و إعادته، فلا مشارك له في ذلك ،

(وَهُوَ الْغَفُورُ)

الذي يغفر الذنوب جميعها لمن تاب،

و يعفو عن السيئات لمن استغفره و أناب.

(الْوَدُودُ)

الذي يحبه أحبابه محبة لا يشبهها شيء
فكما أنه لا يشابهه شيء في صفات الجلال و الجمال، و المعاني و الأفعال،
فمحبه في قلوب خواص خلقه، التابعة لذلك،
لا يشبهها شيء من أنواع المحاب،
و لهذا كانت محبته أصل العبودية، .

و هي المحبة التي تتقدم جميع المحاب وتغلبها،
و إن لم يكن غيرها تبعًا لها، كانت عذابًا على أهلها،
و هو تعالى الودود، الواد لأحبابه، كما قال تعالى:

{يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: 54]

والمودة هي المحبة الصافية،

و في هذا سر لطيف، حيث قرن (الودود) بالغفور:-

ليدل ذلك على أن أهل الذنوب

إذا تابوا إلى الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم و أحبهم،

فلا يقال: بل تغفر ذنوبهم، و لا يرجع إليهم الود،

كما قاله بعض الغالطين.

*صحيح البخاري

6308 -عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، حَدِيثَيْنِ:-

أَحَدَهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْآخَرُ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ:
«إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ،
وإنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ»
فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شَهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ ثُمَّ قَالَ:
"لَلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ
رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ،
فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ،
حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ،
قَالَ: أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ،
فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ (□)
○ وَهَذَا أَعْظَمُ فَرَحٍ يَقْدِرُ.

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالثَّنَاءُ، وَصَفُو الْوُدَادَ، مَا أَعْظَمَ بَرَّهُ، وَ أَكْثَرَ خَيْرِهِ، وَ أَغْزَرَ إِحْسَانِهِ،
وَ أَوْسَعَ امْتِنَانِهِ

(ذُو الْعَرْشِ)

(الآخر عن نفسه) أي لم يروه عن النبي ﷺ وهو قوله إن المؤمن.
(أن يقع عليه) المعنى أنه يخاف ألا ينجو من الهلاك كما لو كان جبل سيسقط عليه.
(الفاجر) العاصي والفاسق.
(كذباب مر على أنفه) كناية عن عدم اكترائه بالذنب
(أفرح) أكثر رضا وقبولا.
(منزلا) مكانا.
(مهلكة) أسباب الهلاك من فقد الطعام والشراب مع بعد المسافة.
(أرجع إلى مكاني) أي وقد ينس واستسلم للمهالك]

أي: صاحب العرش العظيم، الذي من عظمته، أنه وسع السماوات و الأرض و الكرسي،

فهي بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة، بالنسبة لسائر الأرض،

* مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي-تحقيق الالباني

105- حديث أَبِي ذَرٍّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

"يَا أَبَا ذَرٍّ مَا السَّمَوَاتُ عِنْدَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، وَ فَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلَقَةِ".

و خص الله العرش بالذكر، لعظمته،

و لأنه أخص المخلوقات بالقرب منه تعالى، و هذا على قراءة الجر، يكون

(الْمَجِيدُ)

نعتا للعرش، و أما على قراءة الرفع،

فإن المجيد نعت لله ، و المجد سعة الأوصاف و عظمتها.

(فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ)

أي: مهما أراد شيئاً فعله، إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون،

و ليس أحد فعالا لما يريد إلا الله.

فإن المخلوقات، و لو أرادت شيئاً،

فإنه لا بد لإرادتها من معاون و ممانع،

و الله لا معاون لإرادته، و لا ممانع له مما أراد.

ثم ذكر من أفعاله الدالة على صدق ما جاءت به رسله، فقال:

(هَلْ أُنْتُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ)

وكيف كذبوا المرسلين، فجعلهم الله من المهلكين.

*** هَلْ بَلَغَكَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ الْبَأْسِ،
وَ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّقْمَةِ الَّتِي لَمْ يَرُدَّهَا عَنْهُمْ أَحَدٌ؟.

وَ هَذَا تَقْرِيرٌ لِقَوْلِهِ: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}
أَي: إِذَا أَخَذَ الظَّالِمُ أَخْذَهُ أَخْذًا أَلِيمًا شَدِيدًا، أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

(بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ)

أي: لا يزالون مستمرين على التكذيب و العناد،
لا تنفع فيهم الآيات، و لا تجدي لديهم العظات.

(وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ)

أي: قد أحاط بهم علمًا و قدرة، كقوله:

{ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ } [الفجر: 14]

ففيه الوعيد الشديد للكافرين، من عقوبة من هم في قبضته، و تحت تدبيره.

(بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ)

أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير الخير و العلم.

(فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ)

من التغيير و الزيادة و النقص، و محفوظ من الشياطين،

و هو: اللوح المحفوظ الذي قد أثبت الله فيه كل شيء.
و هذا يدل على جلالة القرآن و جزالته، و رفعة قدره عند الله تعالى
و الله أعلم.

الاعجاز في (و السماء ذات البروج)

البروج الكونية

ما هي حقيقة البروج الكونية؟
ماذا يقول علماء القرن الحادي والعشرين؟
وماذا يقول القرآن الذي نزل في القرن السابع الميلادي؟
لنقرأ ونتأمل ونتدبر هذه الآيات العظيمة...

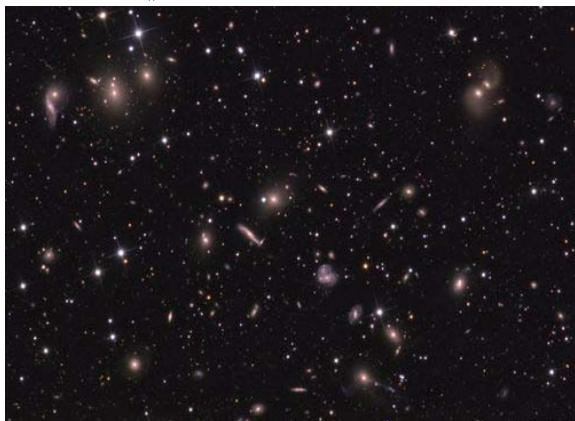
يقول تبارك وتعالى في محكم الذكر:

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُم فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ
وَرَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)
[غافر:64].

سوف نعيش في رحاب هذه الآية الكريمة
و ما تحويه من معجزات كونية مبهرة،
و هذه المعجزات أيها الأحبة لم تتضح إلا حديثاً جداً في القرن
الحادي والعشرين،
و قد أودع الله تبارك وتعالى هذه المعجزات في آيات كتابه لتكون
دليلاً على صدق هذا الكتاب، و الله تبارك وتعالى هو القائل:
(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ
بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [فصلت:53].

و لكن قبل ذلك دعونا نأخذ فكرة عن الكون
و ما يحويه من بناء محكم ومجرات لا يعلم عددها إلا الله تعالى، و
غبار كوني و دخان كوني و مادة مظلمة لا يعلم طبيعتها إلا
الخالق تبارك وتعالى.
ففي البداية..

طالما نظر الناس إلى كوننا على أنه كون ثابت،
و أن الأرض التي نعيش عليها هي في مركز الكون،
و أن الشمس والقمر والكواكب و النجوم تدور حول هذه الأرض،
و هكذا تصور العلماء الكون على أنه كون ثابت
و أن الأرض تقع في مركز الكون وهي ثابتة لا تتحرك،
و أن النجوم تدور حولها في أفلاكها.



عندما جاء العصر الحديث، اكتشف العلماء أن كل ما نراه من
نجوم في السماء هو جزء ضئيل من مجرتنا درب التبانة.
هذه النجوم التي نراها في السماء بالعين المجردة هي جزء من
هذه المجرة والمجرة هي تجمع من النجوم يحوي مئات البلايين
من النجوم.

و بعد ذلك اخترع العلماء العدسات المقربة أو التلسكوبات
فاستطاعوا أن ينظروا خارج مجرتنا،
فأوا أن الكون يزهر بالمجرات،

و قدروا عدد هذه المجرات بأكثر من مائة ألف مليون مجرة
كلها تسبح في هذا الكون الواسع بنظام دقيق.

(100.000 مليون مجرة))

و لكن في البداية ظن العلماء أن هنالك فضاءً كونياً كبيراً، و
اعتبروا أن المسافات التي بين النجوم والمجرات فارغة لا تحوي
شيئاً

و لذلك أطلقوا مصطلح Space أي "فضاء"

و لكن بعد ذلك تبين لهم أن هذا الفضاء ليس فضاءً بكل معنى
الكلمة، اكتشفوا وجود مادة مظلمة تملأ الكون،

حتى إن بعض الحسابات تخبرنا بأن نسبة المادة المظلمة

والطاقة المظلمة وهي مادة غير مرئية لا نراها ولا نعرف عنها

شيئاً تشغل من الكون أكثر من 96 %

والمادة المرئية والطاقة المرئية أيضاً الطاقة العادية يعني لا تشغل

إلا أقل من 4 % من حجم هذا الكون.

لقد بدأ العلماء يكتشفون بنية معقدة لهذا الكون،

فاكتشفوا بأن المجرات تتوضع على خيوط دقيقة وطويلة تشبه

نسيج العنكبوت،

واكتشفوا أيضاً أن المادة المظلمة تنتشر في كل مكان وتسيطر

على توزع المجرات في الكون.

وبعد ذلك أدركوا أنه لا يوجد أي فراغ في هذا الكون

فاطلقوا كلمة Building أي "بناء" على هذا الكون،
وهذه الكلمة جديدة عليهم لأنهم رؤوا في هذا الكون بالفعل بناءً
محكمًا،

ولكن هذه المعلومة ليست جديدة على كتاب الله تبارك وتعالى،
فقد وصف الله عز وجل السماء في آيات القرآن بأنها بناء،
لا توجد ولا آية واحدة تتحدث عن السماء وتصفها بأنها فضاء، لا..
إنما دائماً نجد القرآن يستخدم كلمة البناء، يقول تبارك وتعالى:
(أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ)
[ق:6]،

{ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ } [الملك:3]

ويقول في آية أخرى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ • الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) [البقرة:221]،

ويقول في آية أخرى:

(وَالسَّمَاءَ بِنِينَهَا بِأَيْدٍ) أي بقوة

(وَالسَّمَاءَ بِنِينَهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) [الذاريات:47]

هذه الآية تتحدث عن التوسع الكوني الذي ينادي به العلماء اليوم.

وفي آية أخرى يقول تبارك وتعالى:

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ

وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) [غافر:64]،

{ أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا } [النمل:61]

*لتستقروا عليها

ويقول أيضاً مقسماً بالسماء: (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا) [الشمس:5]، وهكذا آيات كثيرة تأتي دائماً بصيغة البناء لتؤكد لنا أن الكون بناء، وهذا ما وجده العلماء يقيناً في القرن الحادي والعشرين.



وجد العلماء بأن الكون عبارة عن بناء محكم، ولذلك فالأبحاث الصادرة حديثاً، والتي ينال أصحابها الجوائز عليها، تهدف بالدرجة الأولى الأبحاث الكونية الحديثة إلى اكتشاف بنية الكون، تهدف إلى اكتشاف البناء الكوني. وهنا تتجلى معجزة القرآن، فالعلماء عندما أطلقوا على الكون اسم (فضاء) كانوا مخطئين، واليوم يعدلون عن هذه التسمية إلى ما هو أدق منها فيستخدمون كلمة (البناء) من أجل وصف الكون، ولكن هذه الكلمة موجودة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً في كتاب الله تعالى تبارك وتعالى، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن القرآن الكريم دقيق من الناحية العلمية واللغوية، فجميع كلماته تأتي مناسبة تماماً للحقيقة الكونية التي يصفها. ولكن.. ماذا يعني قوله تعالى

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا) ما معني كلمة (قَرَارًا)،

وكيف نحسُّ بهذا القرار؟

إننا نعيش على هذه الكرة الأرضية،

والله تبارك وتعالى زوّد هذه الأرض بحقل للجاذبية

بحيث أنه يجذبنا إليها في كل لحظة، فنحس بالاستقرار.



إن رواد الفضاء مجرد أن غادروا الغلاف الجوي، وارتفعوا خارج الأرض

فإنهم على الفور يفقدون أوزانهم ويحس رائد الفضاء

وكأنه يسبح في بحر عميق،

فإذا أراد أن يأكل اضطرب لديه نظام الأكل،

لأنه تعود على نظام الجاذبية الأرضية،

وإذا أراد أن ينام لا يستطيع النوم لأنه ليس لديه أرض يستقر عليها وينام

عليها، بل إنهم أحياناً يضعون نوابض على رؤوسهم ليضغطوا هذه الرؤوس

فيحسّون بشيء من الثقل ليتمكنوا من النوم،

وتضطرب لديهم الذاكرة، وتضطرب لديهم الدورة الدموية،

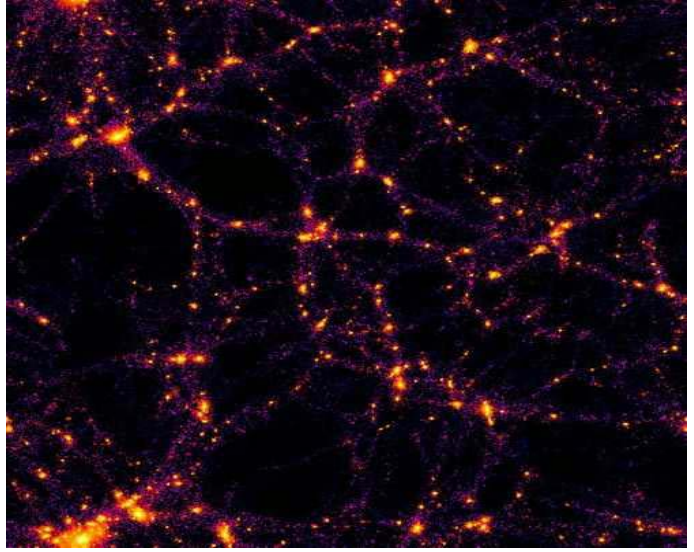
ونظام عمل القلب يضطرب، وكثير من الأشياء.
كل هذه النعم لم نحس بها إلا بعد أن غادر رواد الفضاء وخرجوا
خارج الأرض ووصفوا لنا ما يحسون به،
وهناك علم قائم بذاته اليوم، يدرس المشاكل التي يسببها فقدان
الجاذبية الأرضية،

وهذا العلم يهتم بالدرجة الأولى برواد الفضاء،
وبالناس الذين يمضون فترات طويلة سواء في الفضاء الخارجي أو
في الغواصات في أعماق البحار.

ومن هنا ندرك أهمية هذه الجاذبية وأهمية هذا القرار
وهذا الأمر لم يكن أحد يدركه في زمن نزول القرآن
ولكن الله تبارك وتعالى ذكرنا بهذه النعمة فقال:

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُم فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ
وَرَزَقَكُم مِّنَ الظَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)
[غافر:64].

لو تأملنا جميع الأبحاث الكونية الصادرة حديثاً، نلاحظ أن هذه
الأبحاث تؤكد أن الكون ليس فيه أي فراغ على الإطلاق،
وهذا ما وصفته لنا الآية في قول الحق تبارك وتعالى:
(أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ)
[ق:6].



في البداية اعتقد علماء الفلك عندما رأوا فجوات في السماء أن الكون يحوي هذه الفجوات العميقة والضخمة جداً، فأطلقوا عليها اسم (الفجوات الكونية) أو (الثقوب الكونية) واعتبروا أنها عبارة عن فراغات لا يوجد فيها أي شيء، ولكن بعد أن اكتشفوا المادة المظلمة ماذا وجدوا؟ وجدوا أن هذه الفراغات ليست بفراغات حقيقة، إنما تحوي مادة مظلمة غير مرئية تساوي أضعاف ما يحويه الكون من المادة العادية المرئية، وهنا أيضاً يتجلى القسم الإلهي عندما قال تبارك وتعالى:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ* وَمَا لَا تُبْصَرُونَ) [الحاقة 39]

إذاً هناك أشياء لا نبصرها وهي أعظم من الأشياء التي نبصرها. البروج

إذا تأملنا هذه الآية الكريمة

(أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا) [ق:6]

نلاحظ أن الكون فعلاً فيه بناء هندسي رائع، فالعلماء بعدما اكتشفوا النسيج الكوني، يتحدثون عن (حُبْك) موجودة في هذا الكون، يتحدثون عن نسيج محكم يملأ هذا الكون، يتحدثون عن أعمدة كونية، حتى أنهم اكتشفوا منذ مدة جدران كونية كل جدار يبلغ طوله ملايين السنوات الضوئية، جدار مليء بالنجوم والمجرات (جدار كوني) وهنالك أعمدة كونية أيضاً، وهنالك جسور كونية، وهنا ربما نتذكر قول الحق تبارك وتعالى عندما قال عن نفسه:

(تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا)

[الفرقان:61] فما هي البروج الكونية؟

لقد فسر بعض العلماء هذه الآية على أن البروج الكونية هي:
النجوم التي تصطف بطريقة معينة توحى إليهم ببعض الحيوانات مثل الثور والعقرب والجدي وغير ذلك، فأطلقوا على هذه أسماء البروج وعددها اثنا عشر برجاً، ولكن تبين للعلماء بعدما اكتشفوا الكون وأسراره والأبعاد بين المجرات والنجوم:

أن هذه النجوم التي تظهر لنا وكأنها على نفس المستوى، تبين أن هذه النجوم لا علاقة فيما بينها، قد يكون هنالك نجم نرى بجانبه نجماً آخر وقد يكون هذان النجمان بعيدين عن بعضهما جداً، وليس بينهما أي علاقة أو قوى جذب،

إنما فقط الذي يصلنا هو الإشعاع،

وقد يكون بعض هذه النجوم مات واختفى، وبعضها لا زال موجوداً،
فجمعها الله أعلم بمواقعها الحقيقية.

ولذلك عندما أقسم الله بالنجوم لم يقل:

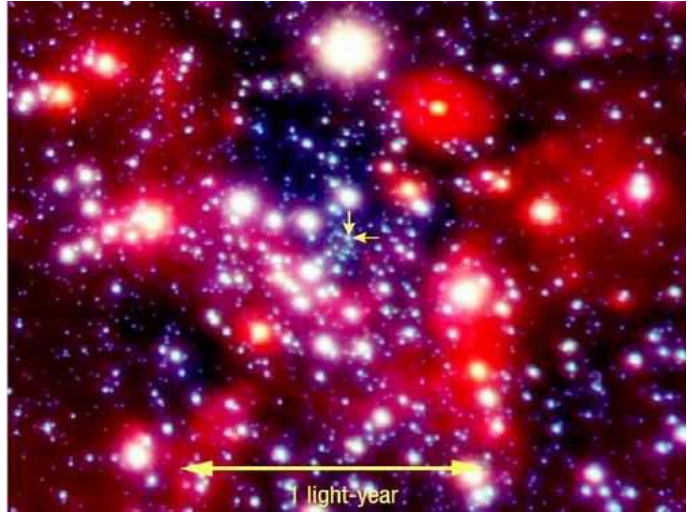
(فلا أقسم بالنجوم)

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ) [الواقعة 7875].

إذاً النجوم التي اعتبرها العرب قديماً، وبعض الحضارات القديمة
بروجاً، ليست هذه التي يتحدث عنها القرآن،
فعندما قال الله تبارك وتعالى:

(تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا)

لا يقصد هذه البروج التي لا يوجد أي صفة علمية لها، إنما يقصد
الله تبارك وتعالى - والله أعلم - الأبنية الكونية وهي التي ما
يتحدث عنها العلماء اليوم.



يتحدث العلماء اليوم عن جدار عظيم بطول 500 مليون سنة ضوئية، ويتحدثون عن جسور كونية هائلة تمتد لمئات الملايين وأحياناً لآلاف الملايين من السنوات الضوئية، ويتحدثون عن بناء كوني مبهر، فهنا يتجلى قول الحق تبارك وتعالى:

(تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا)

بل إن الله تبارك وتعالى أقسم بهذه السماء فقال:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) [البروج:1].

إن هذا البناء الكوني، وهذه الأبراج الكونية عظيمة جداً، ومع أن العلماء لا يتحدثون اليوم عن بناء متكامل (برج متكامل) إنما يتحدثون عن أعمدة، وجسور، وجدران، وقد يكتشفون حديثاً أو بعد مدة أن في الكون أبنية كل بناء يشبه البرج في بناءه وهندسته وارتفاعه،

وسوف يكون بذلك القرآن أول كتاب يتحدث عن هذه الأبنية الكونية العظيمة في قوله تعالى:

(تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا).

اكتشف العلماء حديثاً بناءً كونياً عظيماً يبلغ طوله 200 مليون سنة ضوئية،

ويتألف هذا البناء الذي يدعى Lyman من عدة مجرات تصطف على خطوط تشبه البناء الهندسي الجميل،

وبين هذه المجرات هناك فقاعات من الغاز الكوني يبلغ قطر كل منها بحدود 400 ألف سنة ضوئية،

أي ضعفي طول مجرة الأندروميدا!

هذه الفقاعات تشكلت نتيجة انفجار النجوم،

ويقول العلماء إن هذه الفقاعات سوف تقوم بتشكيل نجوم أخرى لاحقاً.

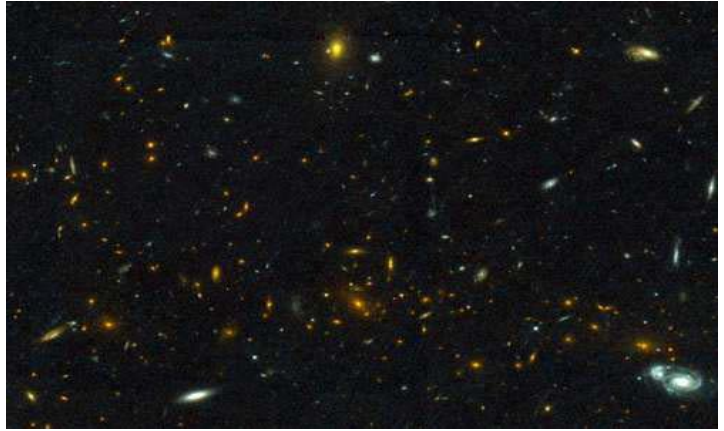
ويقول الباحث "رويسوكي ياماوتشي" من جامعة توهوكو إن أي جسم بهذا الحجم والكثافة هو نادر الحصول حين تكون الكون في الماضي.

ويحاول العلماء اكتشاف المزيد من البنى الكونية،

ولديهم إحساس بأن هذا الكون هو عبارة عن مجموعة من الأبنية الضخمة!

إن هذا البناء تشكل بعد نشوء الكون 2000 مليون سنة،

وقد تم اكتشاف هذه البنية الضخمة بواسطة تلسكوبي سوبارو وكيك.



اكتشف علماء من أستراليا وتشيلي مجموعة مجرات جديدة تبعد
بحدود 10800 مليون سنة ضوئية،

ويقولون إن المجرات التي شاهدوها تمثل شكل الكون
قبل 10800 مليون سنة،

وكما نعلم فإن السنة الضوئية هي ما يقطعه الضوء في سنة
كاملة،

علماً بأن الضوء يسير بسرعة تقدر بـ 300 ألف كيلو متر في
الثانية،

وبالتالي يقطع في سنة واحد 9.5 تريليون كيلو متر،
أي أن السنة الضوئية هي 9.5 تريليون كيلو متر.

ما هو الهدف من ذكر هذه الحقائق الكونية؟

لماذا ذكر الله تبارك وتعالى حقيقة البناء الكوني:

هل لمجرد حب المعرفة؟

أم هناك هدفاً عظيماً من وراء هذه الحقيقة؟

يقول تبارك وتعالى مذكراً عباده: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ)

تأملوا معي هذا الخطاب للناس جميعاً مهما كانت عقيدته أو لغته،
الخطاب هنا ليس للمؤمنين فحسب بل يشمل الناس جميعاً:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ) [البقرة:21]

والسؤال: ما هو الدليل على أن الله تعالى هو قائل هذه الكلمات؟

يأتيك الدليل مباشرة: **(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا)**

وبالفعل يقول العلماء إن الأرض ممهدة ومفروشة بطريقة دقيقة جداً تصلح للحياة

بعكس القمر مثلاً، القمر غير صالح للحياة على الإطلاق بسبب
الفوهات الكثيرة فيه، وبسبب الحفر والجبال والوديان والشقوق
التي فيه. ثم يقول تبارك وتعالى في الآية التالية:

(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا)

أي إذا كنتم في شك من هذا القرآن:

**(فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ
لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)**

[البقرة:232]

فهذه الحقائق الكونية التي أودعها الله في كتابه هي أصدق دليل
في هذا العصر على صدق هذا الكتاب

وأن الله تعالى قد رتبته بطريقة لا يمكن لأحد أن يأتي بمثلها.

وخلاصة القول:

ذكر القرآن حقيقة البناء الكوني الذي اكتشفه العلماء حديثاً،
وذكر حقيقة الجاذبية الأرضية وفائدتها وأهميتها في استقرار
البشر، وهي أمر لم يكتشف إلا في العصر الحديث،
وذكر كذلك حقيقة البروج الكونية وهي ما يتحدث عنه العلماء
اليوم، وأكد أنه لا فراغات أو فجوات أو فروج في السماء،
وهو ما يؤكد العلماء اليوم...
وهكذا حقائق لا تُحصى تأتي جميعها لتشهد على صدق هذا القرآن
وصدق رسالة الإسلام.
ونقول لكل من لم يقتنع بعد بإعجاز القرآن العلمي:
ماذا نسمي هذه الحقائق السابقة؟
هل نسميها إعجازاً أم أنها كلام عادي؟
عندما يصف القرآن السماء بكلمة (بناء)
ويأتي العلماء في القرن الحادي والعشرين ليطلقوا الكلمة ذاتها
على الكون أي كلمة Building أي (بناء)،
ماذا نقول عن هذا التطابق الكامل؟
هل يمكن لإنسان عاقل أن يصدق أن هذا التطابق جاء بالمصادفة؟!
إن هذا التطابق هو دليل مادي ملموس على أن القرآن نزل ليكون
صالحاً لكل زمن ومكان، وهو صالح لعصرنا هذا ويخاطب علماء
العصر بلغتهم: لغة الحقائق العلمية،
فهل تقتنع معي يا صديقي الملحد بأن هذا القرآن هو الحق؟
إذاً استمع معي إلى هذا البيان الإلهي العظيم:

(وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّابَ الَّذِينَ مِنَ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ * وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ مِمَّا آعَمَلُ وَأَنَا بَرِيْعٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ)

[يونس: 413].

86- تفسير سورة الطارق - و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ

﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾

إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ

﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا

﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُودًا ﴿١٧﴾

يقول الله تعالى:

من هنا

الاعجاز العلمي

(وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ)

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ

ثم فسر الطارق بقوله:

(النَّجْمُ الثَّاقِبُ)

أي: المضيء، الذي يثقب نوره، فيخرق السماوات

فينفذ حتى يرى في الأرض ،

و الصحيح أنه اسم جنس يشمل سائر النجوم الثواب.
 و قد قيل: إنه « زحل » الذي يخرق السماوات السبع و ينفذ فيها فيرى منها.
 و سمي طارقاً، لأنه يطرق ليلاً.
 و المقسم عليه قوله:

(إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ)

يحفظ عليها أعمالها الصالحة والسيئة، وستجازى بعملها المحفوظ عليها.
 *** كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ يَحْرُسُهَا مِنَ الْأَقَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
 {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}
 الْآيَةُ [الرَّعْد: 11]

(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ) أي: فليتدبر خلقتة ومبدأه، فإنه مخلوق
 *** تَنْبِيهُ لِلْإِنْسَانِ عَلَى ضَعْفِ أَصْلِهِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ،
 وَ إِرْشَادٌ لَهُ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِالْمَعَادِ؛
 لِأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْبَدَاءَةِ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى،
 كَمَا قَالَ: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الرُّوم: 27].

(خُلِقَ مِنْ مَلَوٍ دَافِقٍ)

و هو: المني الذي

(يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ)

الاعجاز العلمي من هنا

- 1- يحتمل أنه من بين صلب الرجل و ترائب المرأة، و هي ثدياها.
- 2- و يحتمل أن المراد المني الدافق، و هو [مني الرجل]
- و أن محله الذي يخرج منه ما بين صلبه وترائب، و لعل هذا أولى فإنه إنما وصف الله به الماء الدافق،
- و الذي يحس به ويشاهد دفعه، هو مني الرجل،
- و كذلك لفظ الترائب فإنها تستعمل في الرجل،
- فإن الترائب للرجل، بمنزلة الثديين للأنثى، فلو أريدت الأنثى لقال:
- « من بين الصلب والثديين » و نحو ذلك، والله أعلم.

(إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ)

*** فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا:

عَلَى رَجْعِ هَذَا الْمَاءِ الدَّافِقِ إِلَى مَقَرِّهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ لِقَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ.

قاله مجاهد، وَعِكْرَمَةُ، وَغَيْرُهُمَا.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي:

إِنَّهُ عَلَى رَجْعِ هَذَا الْإِنْسَانِ الْمَخْلُوقِ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ،

أَيُّ: إِعَادَتُهُ وَ بَعْثُهُ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ لِقَادِرٌ؛

لِأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْبَدْءِ قَدَرَ عَلَى الْإِعَادَةِ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، هَذَا الدَّلِيلَ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ،

وَهَذَا الْقَوْلُ قَالَ بِهِ الضَّحَّاكُ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ،

وَلِهَذَا قَالَ: {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ}

أَيُّ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ،

أَي: تَظْهَرُ وَ تَبْدُو، وَ يَبْقَى السِّرُّ عَلَانِيَةً وَ الْمَكْنُونُ مَشْهُورًا.

صحيح البخاري

6177 - عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
" إِنَّ الْغَادِرَ يَرْفَعُ لَهُ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ "
○ فالذي أوجد الإنسان من ماء دافق، يخرج من هذا الموضع الصعب،

قادر على رجعه في الآخرة، و إعادته للبعث، و النشور و الجزاء ،
و قد قيل: إن معناه، أن الله على رجع الماء المدفوق في الصلب لقادر،
و هذا - و إن كان المعنى صحيحًا - فليس هو المراد من الآية،
و لهذا قال بعده:

(يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ)

أي: تختبر سرائر الصدور،

و يظهر ما كان في القلوب من خير و شر على صفحات الوجوه قال تعالى:

{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} [آل عمران: 106]

ففي الدنيا، تنكتم كثير من الأمور، و لا تظهر عيانًا للناس،
و أما في القيامة، فيظهر بر الأبرار، و فجور الفجار، و تصير الأمور علانية.

(فَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ)

يدفع بها عن نفسه

(وَلَا نَاصِرَ)

خارجي ينتصر به، فهذا القسم على حالة العاملين وقت عملهم و عند جزائهم.
ثم أقسم قسمًا ثانيًا على صحة القرآن، فقال:

(وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ) من هنا

أي: ترجع السماء بالمطر كل عام،
و ترجع السماء أيضًا بالأقدار و الشؤون الإلهية كل وقت

(وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّعْعِ)

و تنصدع الأرض للنبات، فيعيش بذلك الآدميون و البهائم،
و تنصدع الأرض عن الأموات،

(إِنَّكُمْ)

أي: القرآن

(لَقَوْلُ فَصْلٌ)

أي: حق و صدق بين واضح.

(وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ)

أي: جد ليس بالهزل، و هو القول الذي يفصل بين الطوائف و المقالات،
و تنفصل به الخصومات.

(إِنَّكُمْ)

أي: المكذبين للرسول ﷺ، وللقرآن

(يَكِيدُونَ كَيْدًا)

ليدفعوا بكيدهم الحق، و يؤيدوا الباطل.

*الميسر: يكيدون و يدبرون؛ ليدفعوا بكيدهم الحق و يؤيدوا الباطل

(وَأَكِيدُ كَيْدًا)

لإظهار الحق، و لو كره الكافرون، و لدفع ما جاءوا به من الباطل،

و يعلم بهذا من الغالب،

فإن الآدمي أضعف و أحقر من أن يغالب القوي العليم في كيده.

(فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْلُكُمْ رَوَدًا)

أي: قليلا فسيعلمون عاقبة أمرهم، حين ينزل بهم العقاب.

*** وَ تَرَى مَاذَا أَجَلَ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَ النَّكَالِ وَ الْعُقُوبَةِ وَ الْهَلَاكِ، كَمَا قَالَ:

{نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ} [لُقْمَانَ: 24].

* الميسر: بل أمهلهم و أنظرهم قليلا و لا تستعجل لهم،

و ستري ما يحلُّ بهم من العذاب و النكال و العقوبة و الهلاك.

87- تفسير سورة سبوح- وهي مكية

*** صحيح البخاري

4941 - عَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ
فَجَعَلَا يُقْرَأَانَا الْقُرْآنَ،
ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ، وَبِلَالٌ، وَسَعْدٌ

ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ ثُمَّ " جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ
فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرَحُوا بِشَيْءٍ، فَرَحَهُمْ بِهِ
حَتَّى رَأَيْتُ الْوَلَدَ وَالصَّبِيَّانَ، يَقُولُونَ:
هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ جَاءَ فَمَا جَاءَ، حَتَّى قَرَأْتُ:

{سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: 1] فِي سُورٍ مِثْلِهَا " ()

*** صحيح البخاري

705 - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ:

أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاضِحَيْنِ وَ قَدْ جَنَحَ اللَّيْلُ، فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصَلِّي،
فَتَرَكَ نَاضِحَهُ وَأَقْبَلَ إِلَى مُعَاذٍ،

فَقَرَأَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ - أَوْ النَّسَاءِ - فَأَنْطَلَقَ الرَّجُلُ وَ بَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذًا نَالَ مِنْهُ،

فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَشَكَا إِلَيْهِ مُعَاذًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«يَا مُعَاذُ، أَفَتَانُ أَنْتَ» - أَوْ «أَفَاتِنُ» - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ:

(فَلَوْلَا صَلَّيْتُ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ)

(وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا)

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى)

فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَ ذُو الْحَاجَةِ»

*** صحيح مسلم

(878) عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ،

وَفِي الْجُمُعَةِ بِـ (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)

وَ (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ)

قَالَ: «وَ إِذَا اجْتَمَعَ الْعِيدُ وَالْجُمُعَةُ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ،

يَقْرَأُ بِهِمَا أَيْضًا فِي الصَّلَاتَيْنِ».

*** مسند أحمد ط الرسالة

2720 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُوتَرُ بِثَلَاثَ:

بـ (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)، وَ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) وَ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ① الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى

④ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ⑤ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى ⑥ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا

يَخْفَى ⑦ وَيُخَوِّعُكَ لِلْيُسْرَى ⑧ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ⑨ سَيَذَكِّرُكَ مَنْ يُخَشَى ⑩

وَيَنْجِبُهَا الْأَشْقَى ⑪ الَّذِي يَصَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى ⑫ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ⑬ قَدْ

أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ⑭ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ⑮

(سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)

*** مسند أحمد

17414 - عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، يَقُولُ:

لَمَّا نَزَلْتُ {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: 74] ،

قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ» ،

فَلَمَّا نَزَلْتُ {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: 1]

قَالَ: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ»

*** شعب الإيمان

1930 - ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ:

" إِذَا قَرَأَ أَحَدُكُمْ {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: 1]

فَلْيَقُلْ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى،

وَ إِذَا قَرَأَ {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} [القيامة: 40]

فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ فَبَلِّ أَوْ اللَّهُمَّ سُبْحَانَ رَبِّي، فَبَلِّ " -

يأمر تعالى بتسبيحه المتضمن لذكره و عبادته، و الخضوع لجلاله،

و الاستكانة لعظمته، و أن يكون تسبيحا، يليق بعظمة الله تعالى،

بأن تذكر أسماؤه الحسنی العالية على كل اسم بمعناها الحسن العظيم ،

(الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى)

و تذكر أفعاله التي منها أنه خلق المخلوقات فسواها، أي:

أتقنها و أحسن خلقها،

(وَالَّذِي قَدَّرَ)

*** هَدَى الْإِنْسَانَ لِلشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ،
وَهَدَى الْأَنْعَامَ لِمَرَاتِعِهَا.
وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ مُوسَى أَنَّهُ قَالَ لِفِرْعَوْنَ:
{ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى } [طه:5]

أَيُّ: قَدَّرَ قَدْرًا، وَهَدَى الْخَلَائِقَ إِلَيْهِ،
كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ،
(2653) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ،
قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
" كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ،
قَالَ: وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ " ()
-تقديرًا، تتبعه جميع المقدرات

(فَهَدَى)

إلى ذلك جميع المخلوقات.
و هذه الهداية العامة، التي مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته،
و تذكر فيها نعمه الدنيوية، و لهذا قال فيها:

(كتب الله مقادير الخلائق) قال العلماء المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره
لا أصل التقدير فإن ذلك أزلي لا أول له
(وعرشه على الماء) أي قبل خلق السموات والأرض]

(وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى)

أي: أنزل من السماء ماء فأنبث به أنواع النبات و العشب الكثير،
فرتع فيها الناس و البهائم و كل حيوان ،
ثم بعد أن استكمل ما قدر له من الشباب، ألوى نباته، و صوح عشبته،

(فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى)

*الميسر: فجعله بعد ذلك هشيمًا جافًا متغيرًا إلى السواد بعد
اخضراره

أي: أسود أي: جعله هشيمًا رميمًا، و يذكر فيها نعمه الدينية،
و لهذا امتن الله بأصلها و منشئها ، و هو القرآن، فقال:

(سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى)

أي: سنحفظ ما أوحينا إليك من الكتاب، و نوعيه قلبك، فلا تنسى منه شيئًا،
و هذه بشارة كبيرة من الله لعبده و رسوله محمد ﷺ،
أن الله سيعلمه علمًا لا ينساه.

(إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ^ع)

مما اقتضت حكمته أن ينسيكه لمصلحة بالغة،
*** لَا تَنْسَى مَا نُقْرِئُكَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ رَفَعَهُ؛ فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَتْرُكَهُ.

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾ وَيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ فَذِكْرٌ إِن نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴿٩﴾

سَيَذْكُرُ مِنْ يَخْشَى ﴿١٠﴾ وَيَجْعَلُهَا أَسْفَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾

ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾

(إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ)

ومن ذلك أنه يعلم ما يصلح عباده أي: فلذلك يشرع ما أراد، ويحكم بما يريد
*** يَعْلَمُ مَا يَجْهَرُ بِهِ الْعِبَادُ وَمَا يُخْفُونَهُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ،
لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ.

(وَيُسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ)

و هذه أيضًا بشارة كبيرة ، أن الله ييسر رسوله ﷺ لليسرى في جميع أموره،
و يجعل شرعه و دينه يسرا .

(فَذَكِّرْ)

بشرع الله و آياته

(إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَىٰ)

*** ذَكَرَ حَيْثُ تَنْفَعُ التَّذْكَرَةُ. وَ مِنْ هَاهُنَا يُؤْخَذُ الْأَدَبُ فِي نَشْرِ الْعِلْمِ،
فَلَا يَضَعُهُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

صحيح البخاري

127 - وَ قَالَ عَلِيٌّ ؓ:

«حَدِّثُوا النَّاسَ، مِمَّا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ ، اللَّهُ وَ رَسُولُهُ» ()

(أَنْ يُكَذَّبَ.)

أي إذا حدث الناس بما يُشْتَبَه عليهم و لا يعرفونه
رُحِمَا كَذَّبُوا مَا جَاءَ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ [

-أي: ما دامت الذكرى مقبولة، و الموعظة مسموعة،
سواء حصل من الذكرى جميع المقصود أو بعضه.
و مفهــــــــوم الآية أنه :-

إن لم تنفع الذكرى، بأن كان التذكير يزيد في الشر، أو ينقص من الخير،
لم تكن الذكرى مأمورًا بها، بل منهيًا عنها،
فالذكرى ينقسم الناس فيها قسمين:-

1-منتفعون

2-و غير منتفعين.

فأما المنتفعون، فقد ذكرهم بقوله:

(سَيَذْكُرُ مِنْ يَخْشَى)

الله تعالى، فإن خشية الله تعالى، و علمه بأن سيجازيه على أعماله ،
توجب للعبد الانكفاف عن المعاصي و السعي في الخيرات.
و أما غير المنتفعين، فذكرهم بقوله:

(وَيَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى)

*النصيحة

و هي النار الموقدة، التي تطلع على الأفئدة.

(ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى)

* الميسر :ثم لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة تنفعه

أي: يعذب عذاباً أليماً، من غير راحة و لا استراحة،

حتى إنهم يتمنون الموت فلا يحصل لهم، كما قال تعالى:

{ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ

كَفُورٍ } [فاطر: 36]

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى)

أي: قد فاز و ربح من طهر نفسه و نقاها من الشرك و الظلم و مساوئ الأخلاق،

(وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى)

أي: اتصف بذكر الله، و انصبغ به قلبه،

فأوجب له ذلك العمل بما يرضي الله،

خصوصاً الصلاة، التي هي ميزان الإيمان، فهذا معنى الآية الكريمة،

و أما من فسر قوله (تَزَكَّى) بمعني أخرج زكاة الفطر،

و ذكر اسم ربه فصلّى، أنه صلاة العيد،

فإنه و إن كان داخلا في اللفظ و بعض جزئياته، فليس هو المعنى وحده.

(و السماء و الطارق)

http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1719

منذ آلاف السنين والبشرية تنظر إلى السماء وتتأمل ما فيها من نجوم وكواكب وشهب، وتحاول أن تقدم دراسات لتلك الظواهر التي في السماء، واستخدم الناس أعينهم في أول الأمر، فكانت تلك الدراسات عبارة عن ملاحظات بسيطة لا تستطيع أن تصل إلى التفسير الحقيقي لتلك الظواهر البعيدة.

ثم بعد ذلك استخدموا العدسات المكبرة لسبر أعماق الكون، وفي هذه المرة استطاعوا أن يحسنوا من أداء الدراسات الفلكية إلا أنها مازالت دراسات قائمة على رؤية محدودة لا تتجاوز الأشياء القريبة، حتى جاء القرن العشرين ليستخدموا أعيناً جديدة هي التلسكوبات العملاقة، ثم استخدموا التلسكوبات التي تعمل بوسائل جديدة تختلف عن الوسائل المرئية بالعين،

فاستخدموا الأشعة الراديوية والأشعة تحت الحمراء والأشعة السينية وأشعة جاما وغير ذلك لرؤية ما لا تستطيع العين المجردة رؤيته. وفي هذه اللحظة بدأ العلماء باكتشاف أسرار الكون وعجائبه، فاکتشفوا المجرات وداخل كل مجرة مئات البلايين من النجوم!

واكتشفوا الدخان الكوني، واكتشفوا أيضاً أنواعاً عديدة من النجوم ومراحل تطور هذه النجوم، وتبين لهم أن النجم يولد ويكبر ثم يشيخ ويهرم ثم يموت وينفجر ويتهاوى على نفسه!.

ومن عجائب الاكتشافات الكونية ما سمّاه العلماء بالنجوم النيوترونية،

وقد كان أول من طرح فكرة النجوم النيوترونية العالمان **Fritz Zwicky**

و **Walter Baade** عام 1933،

حيث وجداً بنتيجة حساباتهم أن الكون يحوي نجوماً عادية ونجوماً نيوترونية أي أن هذه النجوم تتكون من جسيمات صغيرة هي النيوترونات.

وبدأ العلماء على مدى أربعين عاماً رحلة البحث عن هذه النجوم الجذابة،

حتى جاء عام 1967 حيث قام كل من **Anthony** و **Jocelyn Bell**

Hewish بمراقبة السماء لفترة طويلة

وأخيراً تمكنوا من تسجيل إشارات راديوية، تبين أنها صادرة عن هذه النجوم.

ولكن الإثبات العلمي اليقيني على وجودها لم يأت إلا في أواخر القرن

العشرين عندما استطاع العلماء تصوير هذه النجوم ودراساتها دراسة متعمقة،

وتأكد لهم وجودها بكميات كبيرة في الكون⁽¹⁾.

أقوال علماء اللغة والتفسير في النجم الطارق:

أقسم الله تعالى في كتابه الكريم بنجم من النجوم في السماء، ووصفه تعالى بصفتين، هذا النجم هو النجم الطارق، وجاء وصف هذا النجم الطارق بأنه طارق وأنه ثاقب، قال تعالى:

وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ [الطارق: 1-3].

أما الوصف الأول فهو الطارق، وهو مأخوذ من الطرق، وأصل الطرق الضرب، ومنه سميت المطرقة، والطرق الدق أيضاً، والطرق يأتي بمعنى تراكب الشيء بعضه على بعض، والتطارق هو التتابع.

يقول ابن منظور: "وأصل الطَّرْقِ الضرب ومنه سميت مِطرقة الصائغ والحدّاد لأنه يَطْرُقُ بها أي يضرب بها وكذلك عصا النّجّاد التي يضرب بها الصوف، وطَرَقَ النّجّادُ الصوفَ بالعود يَطْرُقُهُ طَرَقاً ضربه واسم ذلك العود الذي يضرب به المِطرقة وكذلك مِطرقة الحدّادين.

وقيل أصل الطُّرُوقِ من الطَّرْقِ وهو الدَّق، وسمي الآتي بالليل طَارِقاً لحاجته إلى دَق الباب، والطَّرْقُ في الريش أن يكون بعضها فوق بعض، وريش طِرَاقٌ إذا كان بعضه فوق بعض، تقول منه اطَّرَقَ جناح الطائر على افتَعَلَ أي التف ويقال اطَّرَقَت الأرض إذا ركب التراب بعضه بعضاً، وكل ما وضع بعضه على بعض فقد طُورِقَ وأطرق، وطِرَاقٌ بيضة الرأس طبقات بعضها فوق بعض، والمِجَان المِطرقة التي يُطْرَقُ بعضها على بعض، وقوله عز وجل:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ [المؤمنون: 17].

قال الزجاج أراد السموات السبع وإنما سميت بذلك لتراكيبها والسموات

السبع والأرضون السبع طرائق بعضها فوق بعض،

وتطارق الشيء تتابع واطرقت الإبل اطرأاً وتطارقت تبع بعضها بعضاً وجاءت على خفٍّ واحد، وتطارق القوم تبع بعضهم بعضاً⁽²⁾.

وأما الوصف الثاني فهو الثاقب، والثقب هو النفوذ في الشيء، والنجم الثاقب هو اللامع المضيء، وهو الشيء المرتفع على غيره،

يقول صاحب اللسان: "الثَّقبُ مصدرُ ثَقَبْتُ الشيءَ أَثَقْبُهُ ثَقْباً والثَّقبُ اسم

لما نفذ، الثَّقبُ الحَرَقُ النافِذُ. والثَّقُوبُ مصدرُ النارِ الثاقبةِ والكوكبُ الثاقِبُ

المُضيءُ، وَثَقَيْبُ النارِ تَذَكِّيْتُهَا وَثَقَبَتِ النارُ تَثْقُبُ ثُقُوباً وَثَقَابَةً اتَّقَدَتِ،

والتَّقابُ والثَّقُوبُ ما أَثَقَبَهَا به وَأشَعَلَهَا به من دِقاقِ العيدانِ،

ويقال هَبْ لي ثُقُوباً أي حُرَافاً وهو ما أَثَقَبَتْ به النارُ أي أوقَدَتْها به.

ويقال ثَقَبَ الزُّنْدُ يَثْقُبُ ثُقُوباً إِذَا سَقَطَتِ الشَّرَارَةُ وَأَثَقَبْتُهَا أَنَا إِثْقَاباً، وَزُنْدٌ ثاقِبٌ

وهو الذي إِذَا قُدِحَ ظَهَرَتِ نَارُهُ، وشهابٌ ثاقِبٌ أي مُضيءٌ، وَثَقَبَ الكوكبُ

ثُقُوباً أَضاء. وفي التنزيل العزيز:

وَمَا أَذْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ [الطارق: 2-3].

قال الفراء الثاقب المضيء وقيل النجم الثاقب زحل والثاقب أيضاً الذي ارتفع

على النجوم، والعرب تقول للطائر إِذَا لَحِقَ بِبَطْنِ السماءِ فَقَدْ ثَقَبَ.

والعرب تقول: أَثَقَبَ نَارَكَ أَي أَضْهَى لِلْمُوقِدِ.

وفي حديث الصديق رضي الله عنه:

نَحْنُ أَثَقَبُ النَّاسِ أَنْسَاباً أَيْ أَوْضَحُهُمْ وَأَنْوَرُهُمْ، وَالثَّقَبُ الْمُضِيءُ.
وَمِنْهُ قَوْلُ الْحَجَّاجِ لَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِنْ كَانَ لِمِثْقَبٍ، أَيْ ثَقَبٍ الْعِلْمُ
مُضِيئُهُ، وَحَسَبُ ثَقَبٍ إِذَا وُصِفَ بِشُهْرَتِهِ وَارْتِفَاعِهِ، وَحَسَبُ ثَقَبٍ نَيْرٌ مُتَوَقِّدٌ
وَعِلْمٌ ثَقَبٌ مِنْهُ. وَثَقَبَ رَأْيُهُ ثُقُوباً نَقَذَ، وَرَجُلٌ مِثْقَبٌ نَافِذُ الرَّأْيِ" (3).
وَيَقُولُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ: "النَّجْمُ الثَّقَبُ يَعْنِي يَتَوَقَّدُ ضِيَاؤُهُ وَيَتَوَهَّجُ" (4).
وَيَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ: "يُقَسَّمُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالسَّمَاءِ وَمَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ
النَّيْرةَ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ثُمَّ قَالَ:

وَمَا أَذْرَاكَ مَا الطَّارِقُ

ثُمَّ فُسِّرَ بِقَوْلِهِ: **النَّجْمُ الثَّقَبُ**.

قَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ: إِنَّمَا سُمِّيَ النَّجْمُ طَارِقاً لِأَنَّهُ يُرَى بِاللَّيْلِ وَيَخْتَفِي بِالنَّهَارِ،
وَيُؤَيِّدُهُ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ:

«نَهَى أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ طَرَوْقاً» (5) أَيْ يَأْتِيهِمْ فَجْأَةً بِاللَّيْلِ.

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ الْمَشْتَمَلِ عَلَى الدُّعَاءِ:

«إِلَّا طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ» (6).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **الثَّقَبُ** قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمُضِيءُ، وَقَالَ السَّيِّدِي: يَثْقُبُ الشَّيَاطِينَ
إِذَا أُرْسِلَ عَلَيْهَا، وَقَالَ عِكْرَمَةُ: هُوَ مُضِيءٌ وَمَحْرَقٌ لِلشَّيْطَانِ" (7).

وَيَقُولُ الْبَيْضاوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ لِلثَّقَبِ:

"الْمُضِيءُ كَأَنَّهُ يَثْقُبُ الظُّلَامَ بِضَوْئِهِ فَيَنْفِذُ فِيهِ أَوْ الْأَفْلَاكَ" (8).



هكذا ينفجر النجم ويتهادى
على نفسه ويبدأ في مركزه
تشكل النجم النيوتروني النابض
والذي يبدأ بإطلاق نبضات
أشبه بصوت المطرقة. المصدر
وكالة الفضاء الأمريكية ناسا
.nasa

لكل نجم من النجوم بداية ونهاية، وقد تكلمنا عن حياة النجوم بشيء من التفصيل في بحث لنا بعنوان (انكدار النجوم)، ونقول باختصار: عندما يكون وزن النجم أكبر من وزن الشمس بمرة ونصف تقريباً، وعندما تنقضي حياة هذا النجم وينفذ وقوده يبدأ بالانهيار ويمر في حالة تشبه الانحلال،

فالإلكترونات لا تعود قادرة على البقاء في مداراتها حول الذرة، ولذلك سوف تُجبر على اختراق الذرة والانصهار في البروتونات، لتتشكل بذلك النيوترونات،

وتولد حرارة تبلغ أكثر من مليون مليون درجة مئوية،

وبالتالي فإن هذا النجم يتحول إلى نجم نيوتروني

يزن أكثر من 400 مليون مليون كيلوجرام.

المطارق العملاقة:

عندما قام العلماء بتسجيل الإشارات الراديوية القادمة من الفضاء البعيد،
ظنوا في البداية أنها رسالة من كائنات مجهولة،
ولكن تبين أن هذه الإشارات ما هي إلا صوت لدقات منتظمة جداً،
فقد سمعوا وكأن أحداً يطرق عدة طرقات كل ثانية،
ولكن في البداية تخيلوا بأن هذا النجم ينبض مثل قلب الإنسان،
فأسموا هذه النجوم بالنوابض **Pulsars**،
ولكن تبين فيما بعد أنها تصدر أصواتاً أشبه بالطرق،
فأسموها المطارق العملاقة **gigantic hammer**
التي تدقّ مثل الجرس.

إشعاع ثاقب:

يؤكد العلماء أن هذه النجوم تبث أشعة عظيمة ولامعة،
ففي عام 1979م سجل العلماء الإشعاع الأكثر لمعاناً في السماء
وقد كان ناتجاً عن نجم نيوتروني ثاقب،
فقد بث هذا النجم كمية هائلة من أشعة جاما
gamma rays وهي أقوى أنواع الأشعة الثاقبة،
لقد بث خلال 0,2 ثانية كمية من الإشعاعات الثاقبة تعادل ما تبثه الشمس
في ألف سنة!!!

ويقول العلماء الذين رأوا هذا الشعاع إنهم لم يشاهدوا شعاعاً بهذه القوة واللمعان من قبل!!⁽⁹⁾.



صورة تخيلية لنجم نيوتروني يصدر إشعاعاً
ثاقباً هو الأعنف الذي تم اكتشافه حتى الآن.

المصدر: www.space.com

النجم الثاقب بالأرقام:

النجم النيوتروني هو عبارة عن نجم أثقل من الشمس بقليل وقد استنفد وقوده النووي، فلم يعد قادراً على الاشتعال،
فبدأ بالانكماش على نفسه وبدأت مادته بالتهايي والسقوط نحو مركز النجم
مما يؤدي إلى انضغاطه بشدة كبيرة وتفكك ذراته بفعل الجاذبية الهائلة إلى
بروتونات وإلكترونات
ومن ثم تندمج هذه الأجسام متحولة إلى نيوترونات،
ولكن النواة تكون في حالة مختلفة حيث تبدأ في دخالها ذرات الحديد
بالتشكل،
وبالتالي يمكنك أن تتخيل كرة ضخمة من الحديد محاطة بسائل كثيف من
النيوترونات، ببساطة هذا هو النجم النيوتروني.

النجم النيوتروني يبلغ وسطياً من 1،4 حتى 5 أضعاف وزن الشمس،
وإذا زاد وزنه على ذلك سوف يتحول إلى ثقب أسود.

أما نصف قطر هذا النجم فيبلغ من 10 إلى 20 كيلومتر.

فإذا كان لدينا نجم نيوتروني وزنه 1،4 وزن الشمس، ونصف قطره 15

كيلومتر، وإذا علمنا بأن وزن الشمس هو 2 وبجانبه 30 صفراً كيلوجرام،

أي ألفي بليون بليون كيلوجرام،

فإن وزن هذا النجم النيوتروني سيبلغ 2،8 ألف بليون بليون كيلو غرام،

وبحساب بسيط نستنتج أن كل سنتيمتر مكعب من هذا النجم يزن 200 ألف

مليون كيلوجرام.



رسم يمثل النجم النيوتروني، موضحاً عليه أبعاده
وكتلته. ويقول العلماء إن سطح هذا النجم أملس
جداً ويتكون من الحديد، ولذلك فإن تشبيه هذا
النجم بالمطرقة دقيق من الناحية العلمية.

المصدر: www.nrumiano.free.fr

وتصور أخي القارئ أننا لو أحضرنا إبرة صغيرة جداً من هذا النجم الثاقب،

فإن وزنها سيكون 200 مليون كيلوجرام،

هذه الإبرة النيوترونية الثاقبة لو وضعت على الأرض لثقبتها واخترقتها بالكامل!! فكيف لو أحضرنا نجماً قطره 20 كيلومتراً مثلاً، من هنا ندرك ضخامة وعظمة هذه النجوم وأهميتها في السماء، وأنها من الآيات التي تدل على عظمة الخالق وقدرته تبارك وتعالى⁽¹⁰⁾.

ساعات كونية دقيقة:

تدور هذه النجوم بسرعات عالية جداً، وتبلغ سرعة بعضها عدة مئات من الدورات في كل ثانية، وهي دقيقة جداً في دورانها، ولذلك يمكن استخدامها كساعات كونية دقيقة. ويتولد بنتيجة دوران هذه النجوم حقل مغنطيسي قوي جداً يعادل ألف مليون ضعف الحقل المغنطيسي للأرض. إن سبب سماعنا لصوت الطرقات هو دوران هذه النجوم بسرعة هائلة حول مركز دورانها،

وأثناء دوران هذا النجم فإنه يحقق نتيجتين:

الأولى أنه يعطي طرقات منتظمة،
والثانية أنه يصدر إشعاعات تستطيع ثقب أي شيء يصادفها،
أي أن دوران هذه النجوم يسبب الطرق والثقب.
إنها تنقب أي شيء تصادفه:



لقد رصد العلماء في أمريكا وأوروبا الموجات الجاذبية الصادرة عن النجوم الثاقبة،

وقالوا إذا كان الضوء يمكن أن يصطدم بالحواجر المادية فلا يستطيع اختراقها،

فإن الموجات الجاذبية الهائلة التي يصدرها النجم الثاقب تخترق أي شيء، حتى أجسامنا فإنها تُخترق في كل لحظة بهذه الأمواج ولا نحس بها. هنالك جسيمات دقيقة جداً تطلقها هذه النجوم بكميات كبيرة أثناء تشكلها بعد انفجار النجم الأصلي، وتدعى (نيوترينو)

ويعرف العلماء هذه الجسيمات أنها عديمة الشحنة وليس لها كتلة، هذه الأجسام الأولية تخترق الرصاص مسافة أميال عديدة دون أن يعرقلها أي شيء، وهي تخترق جسدك الآن وأنت تقرأ هذه المقالة!!!

تعرض الأرض ومن عليها في كل لحظة لجسيمات كونية فائقة الصغر مثل النيوتريون، وهذه الجسيمات تبث من المطارق الكونية أثناء تشكلها، وتنقب الغلاف الجوي للأرض وتنقب البحار والجبال، حتى إن العلماء وجدوا آثاراً لهذه الجسيمات في أعماق البحار وفي أخفض نقطة وصلوا إليها تحت سطح الأرض، ويخبرنا العلماء أن النيوتريونات وهي أجسام عديمة الشحنة والوزن، تستطيع ثقب واختراق طبقة من الرصاص يبلغ سمكها عدة كيلومترات، حيث تعجز جميع الأجسام الأخرى عن اختراق أكثر من أمتار محددة من الرصاص، ولذلك فإن أفضل اسم لهذا النجم علمياً هو (النجم الثاقب)⁽¹¹⁾.

مطرقة من الحديد:

يقول العلماء في تعريف هذه المخلوقات:

"إن سطحها من الحديد البلوري الصلب،

وهي تدق مثل الجرس عندما يضرب بمطرقة".

ومن العجائب أن العلماء وجدوا أن هذه النجوم تتكون من طبقات،

وأن قلب هذه النجوم يتألف من الحديد،

وأثناء تشكل هذه النجوم يحدث طرق لهذه الطبقات بالنواة الحديدية تماماً

كالمطرقة،

وجاء في دراسة حول طريقة تشكل النجوم وما يحدث داخل النجوم النيوترونية

ما نصه: -

تعمل الطبقات الخارجية في النجم مثل المطرقة،
ونواة هذا النجم مثل الكرة المطاطية.

إذن جميع العلماء يؤكدون على أن هنالك طرُقاً داخلياً يحدث داخل النجم،
وطرُقاً خارجياً نتيجة دوران النجم،

حيث يصدر طرقات منتظمة تصل إلى الأرض على شكل أمواج راديوية.
وهذا يعني أن العلماء يرون في هذه الأجسام عمليات طرق مستمرة تشبه
طرقات المطرقة على الجرس.

صوت المطرقة الكونية:

يستخدم العلماء في كشف أعماق هذه النجوم تسجيل الانفجارات التي تولدها
ثم يقومون بتحليل هذا التسجيل، ومعرفة التركيب الداخلي للنجم، تماماً كما
يستخدم علماء الأرض مقاييس الزلازل وتسجيل الاهتزازات الأرضية لمعرفة
تركيب الأرض وبنيتها الداخلية وطبقاتها.

ويقول البروفسور Richard Rothschild من جامعة كاليفورنيا،
والذي درس هذه الأجسام لفترة طويلة،
وهو يحدثنا عن أحد الانفجارات النجمية الذي خلف وراءه نجماً ثاقباً:
"إن الانفجار كان أشبه بضرب النجم النيوتروني بمطرقة كونية،
مما يسبب أن هذا النجم يرن مثل الجرس"⁽¹²⁾.

وجه الإعجاز:

مما يدل على عظمة كتاب الله تعالى أنه تناول الكثير من الحقائق الكونية المبهرة، وعندما يكون الحديث عن مخلوق عظيم يقسم الله به - والله يقسم بما يشاء من خلقه - فقد أقسم الله تعالى بنجوم عظيمة فقال: **وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ** [الطارق: 1-3].

و قد احتار المفسرون في تفسير هذه الآيات الكريمات، ولكنهم أجمعوا على أن الله أقسم بنجوم شديدة اللمعان والإضاءة، وهذا ما وصلت إليه معارفهم في ذلك العصر. و لكننا في العصر الحديث وأمام التطورات الكبيرة التي شهدتها علم الفلك، فإن أفضل تفسير علمي لهذه الآيات هو أنها تتحدث عن النجوم النيوترونية، و قد يتطور العلم فيكشف لنا أشياء جديدة لا نراها اليوم ليبقى القرآن هو المعجزة الخالدة.

وقد يقول قائل كيف علمت أن النجم الثاقب هو ذاته النجم النيوتروني؟ لذلك سوف نعدد بعض أوجه الإعجاز العلمي في هذه الآيات و نلخصها في نقاط محددة:

1- من خلال الحقائق اليقينية السابقة ندرك أن أهم صفتين للنجوم

النيوترونية كما يصرح بذلك كبار علماء الفلك هما:

* 1- الطرق المستمر و المنتظم،

* 2- وبث موجات جذب تخترق و تثقب أي شيء،

وهذا ما لخصه لنا القرآن الكريم بكلمتين فقط هما: (الطارق، والثاقب).

3-الطَّرْقُ في اللغة العربية هو الضرب بالمطرقة،

فهل تعتبر طرقات هذه النجوم حقيقية ومسموعة لنا؟،

يؤكد جميع العلماء أن ما تصدره هذه النجوم هو طرق حقيقي وليس

مجازياً، ويقول العلماء هذه النجوم تصدر صوتاً يشبه إلى حد كبير صوت

المطرقة العادية، ويبلغ تردد هذا الصوت عدة مئات من الهرتز،

ولذلك فهو مسموع للأذن البشرية،

ولكن بما أن الصوت يحتاج لوسط مادي لكي ينتشر فيه،

وبسبب عدم وجود هذا الوسط في الفضاء،

فإن هذه الأصوات لا تصلنا مباشرة إنما تصلنا على شكل موجات

راديوية،

وبعد إعادة هذه الأمواج الراديوية إلى تردداتها الحقيقية تعطي صوت الطرق

على شكل دقات منتظمة.

3- الثَّقَب في العربية هو الخَرْقُ النافذ كما مر بنا في أول البحث،

فكيف يثقب ويخترق الأشياء هذا النجم الثاقب؟.

من خصائص النيوترون أنه أثقل أجزاء الذرة وهو حيادي أي لا شحنة له،

فهو ليس موجباً وليس سالباً،

ولذلك فهو يخترق الذرة وينفذ منها بسهولة،

وبالتالي يستخدمه العلماء لتحطيم نواة الذرة بسبب ثقله وحياديته؛

ولذلك فإن أفضل وصف للنيوترون هو أنه يثقب الأشياء ويخترقها بسهولة دون أن يعيقه شيء،

وبالتالي فإن كلمة (الثاقب) مناسبة جداً من الناحية العلمية لوصف النجوم النيوترونية، والله تعالى أعلم.

هنالك أمر آخر وهو أن النجوم الطارقة تبث موجات جاذبية عنيفة جداً وهذه الموجات تستطيع اختراق أي شيء في الكون بما فيه نحن البشر، ففي كل لحظة هنالك موجات جاذبية تصدر من هذه النجوم وتخترق أجسامنا ولا نحسّ بها، ولذلك فإن اسم (الثاقب) ينطبق على الموجات التي تبثها هذه النجوم، فسيحان الذي أخبرنا عنها لنزداد إيماناً و يقيناً بهذا الخالق العظيم.

4- يعتبر العلماء هذه النجوم بالذات من عجائب الكون بل هي من أجمل النجوم في الكون، وهي تبث الأشعة الراديوية بانتظام وبشكل متقطع وتعمل مثل منارات في السماء؛

و من هنا ندرك لماذا أقسم الله بها و الله لا يقسم إلا بعظيم.

5- تعتبر النجوم النابضة من أسرع النجوم دوراناً في الكون، وتنتج موجات جاذبية هائلة تخترق الزمان و المكان،

حيث يمكن أن يدور هذا النجم بسرعة تتجاوز 600 دورة في الثانية الواحدة، أي 36 ألف دورة في الدقيقة،

وتصور أخي القارئ جسماً قطره 20 كيلو متراً ووزنه أكبر من الشمس، هذا الجسم يدور بهذه السرعة المذهلة،

ألا يستحق هذا النجم أن يُذكر في القرآن بل ويقسم الله تعالى به؟

6- إن كلمة (ثاقب) تعني في اللغة أيضاً (مضيء) أو (لامع)، وقد وجد

العلماء أن هذه النجوم تعتبر من أشد النجوم لمعاناً في الكون.

ويعجب العلماء كيف تنشأ هذه النجوم في قلب الانفجارات وتكون محاطة

بكميات هائلة من الدخان الكوني، وفجأة تظهر وتشتع بل وتضيء ما حولها،

وهذا يدل على أن اللفظة القرآنية تجمع أكثر من معنى،

فكلمة (الثاقب) تعني الذي يخترق الأشياء وتعني شديد اللمعان،

وكلا المعنيين صحيح،

وهذا يعني أن العلماء يستخدمون عدة كلمات لوصف هذه النجوم بينما القرآن

يختصر هذه المصطلحات بكلمة واحدة فقط، فسبحان الله!

7- وربما يقول قائل أيضاً: إن الصوت لا ينتشر في الفراغ ويحتاج إلى وسط

مادي مثل الهواء أو الماء لينتشر فيه،

فكيف تمكن العلماء من سماع هذا الصوت؟.

إن الترددات التي يصدرها هذا النجم هي في المجال المسموع،

أي أننا عندما نحول هذه الأشعة إلى ذبذبات فإن الترددات الخاصة بها

ستكون مسموعة بالنسبة لنا وستعطي صوت مطرقة!

وهنا نلاحظ مزيداً من الإعجاز؛ لأن القرآن الكريم حدثنا عن صوت لا يمكن

لأحد أن يسمعه بشكل مباشر، هذا الصوت لا ينتشر في الفضاء،

ولا نحس به، وسؤالي لكل من يدعي أن القرآن من تأليف محمد ﷺ:

من أين جاء هذا النبي (-وهو الأمي- بهذه المعلومة وصاغها بشكل علمي دقيق ومطابق لأحدث المكتشفات الكونية؟ ولو لم يكن رسولاً من عند الله تعالى فمن أين له بهذه الحقائق العلمية، كل هذا يشهد بأنه رسول من عند الخالق العليم.

إعداد: عادل الصعدي.

مراجعة: علي عمر بلعجم.

30 / 10 / 2007م.

-
- (1) المطارق الكونية آية من آيات الله، لعبد الدائم الكحيل، نقلاً عن موقع: [id=1182&http://www.55a.net/firas/arabic/index.php?page=show_det](http://www.55a.net/firas/arabic/index.php?page=show_det&id=1182)
 - (2) لسان العرب لابن منظور 10 / 215.
 - (3) لسان العرب لابن منظور 1 / 239-241.
 - (4) تفسير الطبري 12 / 532.
 - (5) أخرجه البخاري في صحيحه 5 / 2008، برقم: 4549، ومسلم في صحيحه 3 / 1527، برقم: 715.
 - (6) أخرجه أحمد في مسنده 3 / 419، برقم: 15498، وأبو يعلى في مسنده 12 / 237، برقم: 6844، وصححه إسناده حسين سليم أسد في تحقيقه لمسند أبي يعلى.
 - (7) تفسير ابن كثير 4 / 641.
 - (8) تفسير البضاوي 1 / 476.
 - (9) المطارق الكونية آية من آيات الله، لعبد الدائم الكحيل، نقلاً عن موقع: http://www.55a.net/firas/arabic/index.php?page=show_det&id=1182
 - (10) المطارق الكونية آية من آيات الله، لعبد الدائم الكحيل، نقلاً عن موقع: [id=1182&http://www.55a.net/firas/arabic/index.php?page=show_det](http://www.55a.net/firas/arabic/index.php?page=show_det&id=1182)
 - (11) المطارق الكونية آية من آيات الله، لعبد الدائم الكحيل، نقلاً عن موقع:

الاعجاز في (يخرج من بين الصلب و الترائب)

<http://www.eajaz.org/index.php/Scientific-Miracles/Medicine-and-Life-Sciences/191-Genesis-Atomic-scientific-evidence>

الحقيقة العلمية:

السائل المنوي أشبه ما يكون بماء عديد النطف ولا يقوم بتخصيب البويضة مجهريا إلا حيوان منوي واحد يماثل في عالم المرئيات بالعين المجردة نقطة (قطرة) من ماء،

وتجتمع الأصول الخلوية للخصية في الذكر أو المبيض في الأنثى في ظهر الأبوبين خلال نشأتهما الجنينية في عضو تناسل مشترك **Gonad** ثم يخرج كل منهما من منطقة بين بدايات العمود الفقري (الصلب) وبدايات الضلوع (الترائب) ليهاجر المبيض إلى الحوض بجانب الرحم وتهاجر الخصية إلى كيس الصفن

حيث الحرارة أقل وإلا فشلت عند البلوغ في إنتاج الحيوانات المنوية.

<http://www.ahram.org.eg/archive/2005/1/31/OPIN8.HTM>

مقالات د زغلول النجار

تتكون الغدد التناسلية في كل من الرجل والمرأة (الخصيتان والمبيضان) مما يعرف باسم الحذبة التناسلية والتي تقع بين صلب الجنين (أي عظام ظهره الفقارية أو عموده الفقاري)، وترائب (أي عظام صدره أو ضلوعه)

وتنزل الخصيتان بالتدريج حتي تصلا إلي خارج الجسم (كيس الصفن) في أواخر الشهر السابع من عمر الحمل.

وينزل المبيضان إلي حوض المرأة في نفس الفترة تقريبا ويبقيان في داخل الحوض.

وتبقي تغذية تلك الغدد التناسلية الذكرية والأنثوية بالدم والسوائل اللمفاوية والأعصاب من مركزي نشأتها من موقع الحدة التناسلية بين الصلب والترائب طيلة حياة أصحابها،

ومن هنا تأتي ومضات الإعجاز العلمي في هذه الآيات الثلاث التي يقول فيها ربنا (تبارك وتعالى):

فلينظر الإنسان مم خلق* خلق من ماء دافق* يخرج من بين الصلب
والترائب* (الطارق: 7. 5)

في التأكيد علي خلق الإنسان من مائي الرجل والمرأة،
وأن كلا من المائين يخرج دافقا مندفعاً،

وأن كليهما يخرج من بين الصلب والترائب لنشأة الغدد التناسلية في كل من الرجل والمرأة من نفس هذا الموقع، واستمرار تغذيتها طيلة حياتها بالدماء والسوائل الليمفاوية والأعصاب من الموقع ذاته، مما يجعل هذا الماء يخرج فعلا من بين الصلب والترائب.

ورحم الله فضيلة الإمام الشيخ أحمد مصطفى المراغي الذي أدرك ببصيرته هذا السبق القرآني المعجز فكتب في تفسيره الصادر من قبل سبعين سنة تعليقا

علي هذه الآيات جاء فيه ما يلي:

وإذا رجعنا إلي علم الأجنة وجدنا في منشأ خصية الرجل ومبيض المرأة ما يفسر لنا هذه الآيات التي حيرت الألباب،

وذهب فيها المفسرون مذاهب شتى علي قدر ما أوتي كل منهم من علم... ذاك أنه في الأسبوع السابع من حياة الجنين في الرحم ينشأ فيه ما يسمى جسم وولف وقناته علي كل جانب من جانبي العمود الفقري.

ومن جزء من هذا تنشأ الكلبي وبعض الجهاز البولي...

ومن جزء آخر تنشأ الخصية في الرجل والمبيض في المرأة.

فكل من الخصية والمبيض في بدء تكوينهما يجاور الكلبي ويقع بين الصلب والترائب، أي ما بين منتصف العمود الفقري تقريبا... ومقابل أسفل الضلوع.

ومما يفسر لنا صحة هذه النظرية أن الخصية والمبيض يعتمدان في نموهما علي الشريان الذي يمدهما بالدم...

وهو يتفرع من الشريان الأورطي في مكان يقابل مستوي الكلبي الذي يقع بين الصلب والترائب، ويعتمدان علي الأعصاب التي تمتد كلا منهما...

وتتصل بالضفيرة الأورطية ثم بالعصب الصدري العاشر وهو يخرج من النخاع من بين الضلع العاشر والحادي عشر...

وكل هذه الأشياء تأخذ موضعها في الجسم فيما بين الصلب والترائب.

فإذا كانت الخصية والمبيض في نشأتهما وفي إمدادهما بالدم الشرياني..

وفي ضبط شئونهما بالأعصاب،

قد اعتمدتا في ذلك كله علي مكان في الجسم يقع بين الصلب والترائب،
فقد استبان صدق ما نطق به القرآن الكريم وجاء به رب العالمين، ولم يكشفه
العلم إلا حديثا بعد ثلاثة عشر قرنا من نزول ذلك الكتاب العزيز....

الاعجاز العلمي في :-

والسماء ذات الرجع* والأرض ذات الصدع*

ورجع السماء هو قدرتها علي ارجاع النافع المفيد من مختلف صور المادة
والطاقة التي ترتفع اليها من الأرض إلي ذلك الكوكب المبارك مرة أخرى وذلك
من مثل:

صدي الصوت،

المطر،

الرجع الحراري بعد غروب الشمس،

الغبار المرتفع بواسطة الرياح..

موجات البث الإذاعي والتلفازي وغيرها،

وقدرة سماء الأرض أيضا علي ارجاع الضار المهلك من صور المادة والطاقة

التي تهبط من السماء في اتجاه الأرض إلي السماء مرة أخرى وذلك من مثل:

الزائد من حرارة الشمس الذي ترده السحب،

والأشعة فوق البنفسجية وتردها طبقة الأوزون،

والأشعة الكونية ويردها كل من النطاق المتأين

وأحزمة الإشعاع الموجودة فيه وغيرها،

وتحصي العلوم المكتسبة اليوم أكثر من عشر صور لرجع السماء بشكليه

الداخلي العائد إلي الأرض،

والخارجي المندفع بعيدا عنها جمعتها هذه السورة الكريمة في كلمة واحدة

هي (الرجع).

والقسم بـ (والأرض ذات الصدع)

يشمل انصداع التربة عن النبات

وعن أجساد الأموات يوم البعث،

كما يشمل شبكة الصدوع التي تحيط بالأرض إحاطة كاملة والتي يشبهها العلماء باللحام علي كرة التنس،

ممتدة لعشرات الآلاف من الكيلومترات في مختلف الاتجاهات،
وبأعماق تتراوح بين 60 كم، 65 كم في صخور قيعان جميع محيطات الأرض
وقيعان أعداد من بحارها،

وبين 100 كم، 150 كم في صخور اليابسة لتشكيل صمام أمن للأرض تنطلق
منه الطاقة الزائدة عن حاجتها

والناتجة من تحليل العناصر المشعة الموجودة في داخل الأرض.

ولولا تلك الشبكة الهائلة من الصدوع والمتصلة ببعضها البعض
وكأنها صدع واحد لانفجرت الأرض علي هيئة قنبلة ذرية كبيرة منذ اللحظة
الأولي لتبیس قشرتها

ومن هنا كانت أهمية ذلك الصدع لاستقامة وجود الأرض وجعلها صالحة
للعمران والحياة،

ولذلك جاء هذا القسم الإلهي المغلظ به

. والله (تعالی) غني عن القسم لعبادة . جاء القسم تنبيها لنا إلي أهمية الأمر

المقسم عليه الا وهو صدع الأرض . ويأتي جواب القسم بقول ربنا (تبارك

وتعالی): إنه لقول فصل* وما هو بالهزل* (الطارق: 13. 14) أي أن القرآن

الكريم المشتمل علي هذه السورة المباركة،

وعلي ما جاء فيها من أمور الغيب، وحقائق الكون، هو (قول فصل) يفصل بين الحق والباطل، بل هو الفصل ذاته، الذي ليست فيه شائبة من شوائب الهزل، لأنه قاطع في فصله، جاد، حازم في حكمه، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه علي خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهدده في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، وحفظه حفظا كاملا علي مدي الأربعة عشر قرنا الماضية، وتعهد بهذا الحفظ الإلهي إلي قيام الساعة،

في زمن ضياع كل أصول صور الوحي السابقة ضياعا تاما، وتعرض ما بقي منها من ذكريات إلي قدر من التحريف الذي أخرجها عن إطارها الرباني، وجعلها عاجزة كل العجز عن هداية أتباعها الذين تسببوا في أغلب الحروب والمآسي والكوارث والانهيئات الانسانية التي عانت منها البشرية كلها، ولا تزال باسم أديانهم، والدين منهم بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب

الاعجاز العلمي في :-

<http://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/84-Twenty-sixth-issue/815-Water-and-pasture>

(اخرج منها ماءها و مرعاها)

المقصود من هذا البحث هو تكوين صورة ذهنية لخروج ماء الأرض ومرعاها منها، استناداً إلى المعارف الحديثة عن الأرض، وقد تتطور هذه الصورة مع التطورات العلمية لكشف دلالات أخرى تنطوي عليها هذه الإشارة. ونبدأ باستعراض بعض المعلومات عن الأرض كخلفية لهذه الصورة الذهنية.

- كانت الأرض أول ما شغل تفكير الإنسان منذ أن خلقه الله واستخلفه فيها؛ فاهتم بدراسة هذه الأرض وما عليها والقوى المؤثرة فيها والمادة التي تكونت منها والتغيرات التي تطرأ عليها؛

فالتفكير في الأرض قديم قدم الإنسان نفسه، بل إنه يسبق التفكير في أفرع المعرفة الأخرى، وهو الأصل فيها؛ فمن الطبيعي أن يسعى الإنسان إلى معرفة هذه الأرض التي يدب عليها والبيئة التي يسكنها لكي يحصل على احتياجاته منها من طعام وشراب....الخ،

وليتقى أخطارها من ثورات بركانية وفيضانات وأعاصير ونحوها، كما شغفه السعى وراء المعرفة وسعيه وراء تفسير ظواهر الأرض والتأمل في كيفية نشأتها وتطورها وعلاقتها بالكون الذي يحيط بها.

ومن محاولة الإنسان الإجابة على هذه التساؤلات نشأت الأصول القديمة للمعرفة العلمية التي تفرعت بمرور الزمن لتصبح علوماً مستقلة على النحو الذي نشهده الآن، على الرغم من تشابكها.

- بدأت دراسة الأرض في الظهور كفرع مستقل من العلوم الطبيعية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر عندما استخدم أحد العلماء الأوروبيين لفظة **geology** ليعنى بها "دراسة الأرض".

- وكان مفهومها محصوراً في دراسة الجزء العلوى من القشرة الأرضية الذي يستطيع الإنسان أن يصل إليه ويتعرف عليه بالمشاهدة المباشرة، من الجبال والسهول والوديان،

وكذلك الأعماق التي كان يستطيع أن يسبر أغوارها في المناجم، والتي لم تكن تتعدى بضع عشرات من الأمتار،

فضلاً عن الأجزاء الشاطئية من البحار والمحيطات.

أما أغوار الأرض البعيدة وتركيبها الداخلى والمساحات الشاسعة من أعماق المحيطات التي يغطيها الماء بعمق 4 كم تقريباً،

بالإضافة إلى أبعاد الغلاف الجوي فإنها لم تكن متاحة للدراسة أو للمشاهدة المباشرة أو غير المباشرة، لذلك لم تكن كلمة جيولوجيا تحمل مضمونها

الشامل الذي تدل عليه

حالياً.

ومع تقدم الزمن وتطور مقدرة الإنسان على سبر أغوار الأرض وأجواز الفضاء،

إما بالطرق المباشرة بواسطة الحفر العميق

أو المناجم العميقة التي تصل إلى آلاف الأمتار،

أو بواسطة الأقمار الصناعية؛

أو بالطرق غير المباشرة باستخدام الوسائل التكنولوجية المتقدمة،

استطاع الإنسان أن يتعمق أكثر في دراسة الأرض وكل ما يتعلق بها،

وأصبحت الأرض من مركزها إلى نهاية أعلى طبقة في غلافها الجوى متاحة

لفحص الإنسان إما مباشرة أو بالطرق غير المباشرة،

فازدادت مجالات دراسة الأرض من جوانب متعددة لم تكن مطروقة في

الآزمنة السابقة،

وبدأت تظهر فروع متخصصة في مجالات محددة للأرض

وبدأت تأخذ مكانتها كعلوم مستقلة خاصة بالأرض،

ومن أمثلة ذلك علم الجيوكيمياء الذي يختص بدراسة كيمياء الأرض،

وعلم الجيوفيزياء الذي يختص بدراسة الخصائص الفيزيائية للأرض ومكوناتها،

وعلم الحياة القديمة الذي يختص بدراسة تطور الأحياء منذ نشأتها وحتى

الآن، لذلك. مع بداية القرن العشرين،

بدأت دراسة الأرض تخرج عن مفهوم الجيولوجيا القديم وظهر مفهوم جديد

لها يشمل كل هذه الفروع،

وأصبحت كلمة جيولوجيا تعنى دراسة كل ما يتعلق بالأرض من جميع الزوايا. ومع تقدم القرن العشرين تشابكت أفرع الجيولوجيا المختلفة مع باقى أفرع المعرفة في العلوم الأخرى إلى الحد الذي استلزم ظهور اصطلاح جديد للتعبير عن دراسة الأرض من كل الزوايا وهو "علوم الأرض Earth Sciences"، والذي يعرف بأنه كل أفرع العلم التي تختص بدراسة الأرض بكل مكوناتها وما فيها من ثروات وما يجرى في داخلها وعلى سطحها من عمليات إلى علاقتها بالأجرام السماوية الأخرى،

وبدأت المعاهد والجامعات التي تدرس فيها الجيولوجيا تتوسع في دراستها وتدرسيها، بل بدأت بعض الجامعات تخصص لدراسة الجيولوجيا، بمفهومها الحديث، كلية كاملة لعلوم الأرض، مثل كلية علوم الأرض بجامعة الملك عبد العزيز بجدة بالمملكة العربية السعودية.

– وكان من الطبيعي أن يلزم هذا التطور العلمى تطور في المفاهيم العلمية عن الأرض ومكوناتها،

وعن تفسير الظواهر والعمليات الجيولوجية،

وبمعنى آخر تطور في الصور الذهنية عن العمليات الجيولوجية التي يراها الإنسان في الجزء العلوى من القشرة الأرضية التي يعيش على سطحها ويحصل منها على كل احتياجاته.

وقد ذكرت الأرض في القرآن الكريم في عدد كبير من الآيات والإشارات العلمية، التي تعطي الإنسان صورة ذهنية عن كل ما يخص الأرض، ومن الطبيعي أيضاً أن تتطور هذه الصور الذهنية مع التطور العلمي الحديث، ومن أمثلة هذ التطور في الصور الذهنية صورة خروج الماء والمرعى من الأرض في مراحل نشأتها.

الماء والمرعى في القرآن الكريم:

- أشار القرآن الكريم إلى الأرض التي نعيش عليها ونحصل منها على كل ما يقيم حياتنا في عدد كبير من الآيات تتناول الكثير من جوانبها (النجار 1994)،

وفي ظل علم بدائي ومعلومات بدائية عن الأرض فسر القدماء بعض هذه الإشارات الكريمة تفسيرات اعتمدت على المعارف التي كانت سائدة في ذلك الوقت،

ولكن التقدم العلمى خلال القرن العشرين أدى إلى تراكم الكثير من المعلومات، لذا نؤكد أننا لا نقصد التفسير أو الإعجاز، ولكن تكوين الصورة الذهنية العلمية عن ظاهرة ماء الأرض ومرعاها التي وردت في الآية من سورة النازعات.

(أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا) {31}».

- نزلت هذه الآية على قوم يسكنون الصحراء، حيث كان الرعى من أهم

أنشطتهم الاقتصادية، والآبار والعشب الذي ترعاه أنعامهم من أهم مقومات حياتهم، ومن هذا المنطلق وفي ظل علم بدائي بالنسبة لمعارفنا الحالية كان التفسير الطبيعي والمنطقي بالنسبة لهم هو أن خروج الماء من الينابيع والآبار هو خروج من الأرض، وأن نمو العشب من التربة الصحراوية هو أيضاً خروج من الأرض، إذن "أخرج منها ماءها ومرعاها"

هو وصف بليغ لظاهرة طبيعية تحدث أمام أعينهم.

– قد يكون ذلك التفسير مقنعاً لقوم يعيشون في بقعة محدودة من الأرض يحصلون فيها على الماء من الينابيع والآبار،

ولا يهتمون بغير هذا الماء العذب الذي يقيمون عليه حياتهم، إلا ما ندر في حالة العواصف الرعدية والسيول.

ولكن بتقدم العلم واستكشاف أقاصى الأرض وأعماق المحيطات

تبين لنا أن الماء الذي يخرج من الينابيع والآبار ما هو إلا جزء يسير من ماء الأرض الذي يدور في دورة الماء الطبيعية (شكل 1)؛

فهو يتصاعد بخاراً من البحار والمحيطات

ثم يهطل أمطاراً وثلوجاً ليعود إلى المحيط مرة أخرى،

أما الجزء الأكبر من ماء الأرض ككل فهو الموجود في البحار والمحيطات

التي تغطي حوالى 362 مليون كيلومتر مربع

(إميلاني طبعة 1992 1995 ص 287)،

أى حوالى 71% من سطح الكرة الأرضية، ويبلغ حجم الماء الموجود في هذه البحار والمحيطات حوالى 1350 مليون كيلومتر مكعب؛
أى قدر حجم اليابسة الظاهر فوق سطح البحر بحوالى 18 مرة
(إميليانى السابق ص 287)!!!

وبالإضافة إلى ذلك نجد أن الماء العذب الذي يخرج من الينابيع والآبار هو
أيضا جزء يسير من الماء العذب في المصادر الأخرى،
مثل الجليد والماء الجوفي ورطوبة الجو.
- وبعد معرفة هذه المعلومات عن ماء الأرض يشور سؤال:
هل تقصد الآية الكريمة ماء الأرض ككل؟

أم تقتصر على الماء الذي يخرج من الينابيع والآبار فقط؟
من وجهة نظرنا سنضع الفرضية التفسيرية بأن الآية الكريمة تقصد ماء الأرض
ككل، ماء البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات
وكل ما هو على سطحها من الماء وكل ما هو في باطنها،
أو بمعنى آخر كل ماء الأرض الذي يدور في دورته الطبيعية؛ من البحر وإلى
البحر. فإذا كان الأمر كذلك؛

فإننا نرى عدم قصر هذه الإشارة على ماء الينابيع والآبار فقط،
بل يجب أن نفكر: كيف خرج ماء الأرض كله منها؟
- من ناحية أخرى هناك بلدان لا ترى الماء يخرج من الينابيع والآبار؛
بل تراه ينزل من السماء،

ففي البلدان التي تقع على خط الاستواء مثلاً يرى الناس الماء ينزل من السماء بصورة مستمرة، ولا تشكل لهؤلاء الناس ظاهرة الينابيع والآبار ما يثير الاهتمام، فالماء لديهم متوافر ولا تتأثر الحياة بغياب الينابيع والآبار، نفس الشيء يمكن أن يقال عن المناطق التي يغطيها الجليد لفترات طويلة كل عام؛ فالينابيع والآبار لا تشكل ظاهرة ذات بال إذا وجدت.

كذلك أشار القرآن الكريم في آيات متعددة إلى نزول الماء من السماء؛ بل إن الأمطار التي تنزل في المناطق الصحراوية قد تأتي في عواصف رعدية تبعث الرهبة في النفوس

وقد تشكل ظاهرة أكبر تأثيراً من خروج الماء من الينابيع والآبار. إذن وصف خروج الماء العذب من الأرض لا يأخذ أهميته إلا في المناطق الصحراوية فقط،

ولكن القرآن الكريم نزل لكل زمان ومكان ولكافة البشر؛ فأصبح لازماً على المشتغلين بالعلم أن يساهموا في تطوير الصورة الذهنية عن خروج الماء من الأرض، ليس لقاطني الصحارى فقط، ولكن لكل من يقرأ القرآن في كل زمان ومكان، ولا يقتصر هذا على زمن معين أو بيئة معينة فقط،

ولكن لا بد من أن تكون الصورة الذهنية متطورة مع التقدم العلمي، ولا يجب أن نعتبر أن تفسيرنا الحالي لخروج ماء الأرض منها هو نهاية المطاف، وخاصة من يشتغل بالعلم منا،

نحن إذن ننظر لهذه الإشارة القرآنية الكريمة من زاوية شمول المعنى بما يخص الأرض كلها، وليس منطقة دون أخرى؛

وهذا يؤكد مغزى سؤالنا السابق: كيف خرج ماء الأرض منها؟

- وإذا كان أجدادنا قد تناولوا هذه الإشارة بالتفسير بناء على قدر معارفهم العلمية وعلى ما كانوا يرونه حولهم، فلا شك أننا أجدد بتفسيرها منهم لأن معارفنا أكثر من معارفهم وما نراه أكثر مما كانوا يرونه مما يحقق شمولية وعمومية القرآن لكل زمان ولكل مكان، وبنفس المنطق فإن أحفادنا سيكونون أجدد منا بتفسيرها أيضا لأن معارفهم ستكون أكثر من معارفنا.

ولقد توصلت معارفنا الحالية عن معانٍ أكثر عمقا مما قال به السابقون؛ وما نظرتنا الحالية إلا صورة ذهنية عن خروج الماء والمرعى من الأرض، وننتظر تعديل هذه الصورة مع التقدم العلمي والاكتشافات المستقبلية، ونعتقد أن ذلك جانب من جوانب الإعجاز العلمي

" سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم..... " الآية

التصور العلمي لخروج الماء من الأرض:

- تتفق جميع النظريات الجيولوجية الحديثة عن أصل الأرض في أنها قد مرت بمرحلة كانت فيها كتلة من المواد الصخرية المنصهرة منذ حوالي 4500 مليون سنة، وأثناء تبريدها كانت تتصاعد منها المواد الطيارة من غازات وأبخرة،

وكان من أهمها بخار الماء، الذي كان يتكشف في طبقات الجو العليا ثم يتساقط على الكرة الملتهبة ليتبخر مرة أخرى ويتصاعد بخاراً مرة أخرى ثم يتساقط ثانية، وهكذا ظل الماء يتبخر ويتكشف مع المواد الطيارة الأخرى حتى بردت الأرض إلى درجة تسمح ببقاء الماء سائلاً على سطحها؛ فتكونت البحار والمحيطات وبدأت دورة الماء الجيولوجية التي نعرفها جميعاً. وهكذا نجد أن ماء الأرض قد خرج منها في البداية قبل أن تتكون لها قشرتها الصلبة الباردة التي مكنت الماء أن يسيل عليها (تاربوك ولوتجنز 1989).

— وإذا ما عدنا إلى الإشارة الكريمة بعد هذا التصور،

نجد أن فهمنا لخروج الماء من الأرض قد تطور وتعمق، وأن التعبير القرآني قد صاغ هذا الفهم في بلاغة شملت تصور السابقين والمحدثين.

وهكذا نجد أن التعبير القرآني قد انطوى على معانٍ متعددة اكتشف منها السابقون ما دخل في إدراكهم وأضاف إليه المحدثون بحد ما وصل إليه علمهم،

ولا يدرى أحد ما سيكتشفه اللاحقون من معانٍ أخرى بقدر زيادة علمهم، وستظل الإشارة العلمية القرآنية مصدراً لمعانٍ أخرى يكشف عنها واحدة بعد أخرى إلى يوم الساعة.

- من ناحية أخرى، لا يمكن التصور بعد تقدم العلم أن المقصود من ماءها يتوقف فقط على ماء الينابيع والآبار لأنه من الواضح أن منطوق الآية يتحدث عن خلق الأرض، وأيضاً يتحدث الآيات السابقة عن خلق السماء، كما يتحدث الآيات اللاحقة عن رسو الجبال.

وهكذا نجد أن التفسير واكتشاف وجوه الإعجاز منهج متطور ومتغير، أما النص القرآني فهو لا يتأثر بطريقة فهم المفسرين كل حسب علمه. هذا عن الماء،

فماذا عن المرعى؟

- إذا فهمنا خروج ماء الأرض منها بهذه الصورة، فلا يمكن إذن أن يكون المرعى هو العشب الذي ترعاه الأنعام، بل يجب أن يكون شيئاً يمكن أن ينطبق عليه ما انطبق على الماء؛ شيء خرج مع الماء بنفس الطريقة وفي نفس الزمن، أما العشب فلم يظهر على سطح الأرض إلا بعد أن بردت تماماً وأصبحت مهيأة لظهور الحياة،

وقد استغرق ذلك ما لا يقل عن بليونين (ألفي مليون) من السنين بحسابنا. فما هو هذا الشيء الذي خرج مع الماء من الأرض في بداية تكوينها ويمكن أن يقال عنه مرعى؟

- بالرجوع إلى نشأة الأرض، نجد أن هناك غازات ومواد متطايرة أخرى
خرجت من الأرض الملتهبة
مع بخار الماء،

منها غاز ثانى أكسيد الكربون

الذي يمكن النظر إليه على أنه مرعى؛

وبدونه لم يكن من الممكن ظهور النباتات الخضراء التي تقوم بالتمثيل

الضوئى الذي هو منشأ الغذاء للنبات والحيوان على حد سواء،

فمن الممكن إذن النظر إلى العشب على أنه لم يتواجد إلا

لوجود ثانى أكسيد الكربون سابقاً عليه؛

فإن كان العشب هو مرعى الأنعام

فإن ثانى أكسيد الكربون هو مرعى العشب، تتغذى الأنعام على العشب،

ويتغذى العشب على ثانى أكسيد الكربون.

ليس هذا فحسب؛ بل هناك مواد أخرى لا تقل أهمية عن ثانى أكسيد الكربون

في تكوين المواد العضوية التي هى مصدر المرعى بمعنى الغذاء، مثل

النتروجين والفوسفور والنشادر،

ولم تكن هذه المعلومات معروفة في زمن نزول القرآن لكي يدرجها المفسرون

القداء في تفاسيرهم؛

لكن الخالق سبحانه أشار إليها لكي يكتشفها خليفته في الأرض، وها نحن

نكتشفها واحدة تلو الأخرى.

دلالات أخرى:

– إذا أخذنا الصورة الذهنية الحديثة عن الماء والمرعى في ظل إشارات قرآنية أخرى نجد الآتي:

1- نرى أن الماء قد ذكر بمفرده ثم قرن به المرعى دلالة للإشارة إلى المشرب والمأكل بصفة عامة،

وهذا التصور يرجحه ما جاء في سورة عبس في وصف طعام الإنسان والأنعام الآيات 24-32 "

فليُنظر الإنسان إلى طعامه* أنا صببنا الماء صبا* ثم شققنا الأرض شقا* فأنبتنا فيها حبا* وعنبا وقضبا* وزيتونا ونخلا* وحدائق غلبا* وفاكهة وأبا* متاعا لكم ولأنعامكم*

2- ذكر الماء أولا وبمفرده لأنه: مميز عن كل ما خرج من الأرض إلى سطحها، وأول ما تحتاجه الأحياء قبل الغذاء و"جعلنا من الماء كل شئ حى" ،

وليس له بديل. أما الغذاء فهو متنوع وفيه البدائل الكثيرة؛ فهو نباتي، وحيواني آكل اللحوم أو الجيف، ومتنوع كالإنسان، كذلك تنوعه في مكوناته.

– وتجدد الإشارة إلى أنه في أواخر القرن العشرين تم كشف جديد عن باطن الأرض يشير إلى وجود كميات هائلة من المياه على أعماق تتراوح ما بين 400 و700 كم تحت سطح الأرض (Bergeron 1997) (شكل 4)،

ولا زالت النتائج تتوالى عن هذا الكشف لتحديد كيفية وجود هذا الماء في الصخور في هذه الأعماق السحيقة، ومدى علاقته بالمياه السطحية، وقد قدر بعض الباحثين كمية هذا الماء بحوالى عشرة أضعاف مجموع المياه في المحيطات والبحار. فهل يا ترى سيؤدى هذا الكشف إلى تطور الصورة الذهنية التي عرضناها هنا عن ماء الأرض؟ وماذا عن المرعى؟ إن شغف الإنسان إلى المعرفة سيدفعه إلى البحث والقراءة ، وقد يكون ذلك في دلالات أول كلمة من الوحي "اقرأ".

المراجع:

1. القرآن الكريم.
2. معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، دار الشروق، القاهرة 1981.
3. المنتخب في تفسير القرآن الكريم، الطبعة الثامنة 1981: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة القرآن والسنة، القاهرة.
4. تفسير ابن كثير.
5. زغلول النجار وعبد الله الدفاعة 1988. إسهام علماء المسلمين الأوائل في تطور علوم الأرض: مكتب التربية العربى لدول الخليج.
6. تار بوك ولوتجنزن ترجمة عمر سليمان حمودة والبهلول على اليعقوبى ومصطفى جمعة سالم 1989. الأرض، مقدمة للجغولوجيا الطبيعية: منشورات مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا 633ص.
- Bergeron, M. 1997. Deep Waters: New Scientist, Aug. 1997, pp 22–26 – Emiliani, C.1997. Planet Earth, Cosmology, Geology and the – Life and Environment: Cambridge low-price Edition, Evolution of Press Syndicate of the University of Cambridge, New York, USA and Melbourne, Australia, 718p

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾

إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

88- سورة الغاشية- و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَلَسِيَّةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾

تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُشْقَى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ﴿٦﴾

لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾

لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَفِيفَةٌ ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾

فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَارٌ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزُرَّاقِي مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ

كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾

لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾

فَعَذَابُ اللَّهِ الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ ﴿٢٤﴾

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾

إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

(بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)

أي: تقدمونها على الآخرة،

و تختارون نعيمها المنغص المكدر الزائل على الآخرة.

(وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ)

و للآخرة خير من الدنيا في كل وصف مطلوب،

(وَأَبْقَى) لكونها دار خلد و بقاء و صفاء، و الدنيا دار فناء،

فالمؤمن العاقل لا يختار الأردأ على الأجود، و لا يبيع لذة ساعة، بترحة الأبد،

○ فحب الدنيا و إيثارها على الآخرة رأس كل خطيئة.

(إِنَّ هَذَا)

المذكور لكم في هذه السورة المباركة،

من الأوامر الحسنة، و الأخبار المستحسنة

(لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى)

اللذين هما أشرف المرسلين، سوى النبي محمد ﷺ

فهذه أوامر في كل شريعة، لكونها عائدة إلى مصالح الدارين،

و هي مصالح في كل زمان و مكان.

*الميسر: إن ما أخبرتم به في هذه السورة

هو مما ثبت معناه في الصحف التي أنزلت قبل القرآن،

و هي صُحُف إبراهيم و موسى عليهما السلام.

*** عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} قَالَ: كُلُّهَا فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى،

فَلَمَّا نَزَلَتْ: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى} [النَّجْم: 37]

قَالَ: وَفَّى {أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [النَّجْم: 38] .

يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ كَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ "النَّجْم"

: {أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى

وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى وَأَنَّ

إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى} [النَّجْم: 36-42] الْآيَاتِ إِلَى آخِرِهَا.

و هَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ-فِيَمَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ- فِي قَوْلِهِ:

{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} يَقُولُ:

الْآيَاتِ الَّتِي فِي سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى.

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: قِصَّةُ هَذِهِ السُّورَةِ فِي الصُّحُفِ الْأُولَى.

وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: {إِنَّ هَذَا} إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ:

{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ

وَأَبْقَى} ثُمَّ قَالَ: {إِنَّ هَذَا} أَي:

مَضْمُونُ هَذَا الْكَلَامِ {لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} .

و هَذَا اخْتِيَارٌ حَسَنٌ قَوِيٌّ

88- تفسير سورة الغاشية- و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ① وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ② عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ③
 تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ④ تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ عَائِنَةٍ ⑤ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ⑥
 لَا يَسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ⑦ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ⑧
 لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ⑨ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ⑩
 لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ⑪ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ⑫ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ⑬ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ⑭
 وَمَنَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ⑮ وَزَرَائِبُ مَبْنُوتَةٌ ⑯

*** صحيح مسلم

(878) عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ،

وَفِي الْجُمُعَةِ بِ— (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ)

قَالَ:

«وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِيدُ وَالْجُمُعَةُ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، يَقْرَأُ بِهِمَا أَيْضًا فِي الصَّلَاتَيْنِ».

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ)

يذكر تعالى أحوال يوم القيامة و ما فيها من الأحوال الطامة،

و أنها تغشى الخلائق بشدائدها، فيجازون بأعمالهم،

و يتميزون إلى فريقين:—

فريقًا في الجنة، و فريقًا في السعير .
فأخبر عن وصف كلا الفريقين، فقال في وصف أهل النار:

(وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ)

أي: يوم القيامة

(خَاشِعَةٌ)

من الذل، و الفضيحة و الخزي.

(عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ)

أي:

1- تاعبة في العذاب، تجر على وجوها، و تغشى وجوههم النار.

2- و يحتمل أن المراد بقوله:

(وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ)

في الدنيا لكونهم في الدنيا أهل عبادات وعمل،

و لكنه لما عدم شرطه و هو الإيمان، صار يوم القيامة هباء منثورا،

و هذا الاحتمال و إن كان صحيحًا من حيث المعنى،

فلا يدل عليه سياق الكلام،

بل الصواب المقطوع به هو الاحتمال الأول،

لأنه قيده بالظرف،

و هو يوم القيامة، و لأن المقصود هنا بيان وصف أهل النار عمومًا،

و ذلك الاحتمال جزء قليل من أهل النار بالنسبة إلى أهلها ؛
و لأن الكلام في بيان حال الناس عند غشيان العاشية،
فليس فيه تعرض لأحوالهم في الدنيا.
* الجزائري: ذات نصب و تعب بالسلاسل و الأغلال و تكليف شاق
الأعمال.

و قوله: (تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً)

أي: شديداً حرها، تحيط بهم من كل مكان،

(تَشْقَى مِنْ عَيْنٍ آيَةٍ)

أي: حارة شديدة الحرارة

أما شرابهم:—

{وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا}

[الكهف: 29]

و أما طعامهم ف—:—

(لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۖ لَا يَمْسُهُمْ وَلَا يَنْفِي مِنْ جُوعٍ)

* الميسر: ليس لأصحاب النار طعام إلا من نبت ذي شوك لاصق

بالأرض، و هو من شر الطعام و أخبثه

*** عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: شَجَرٌ مِنْ نَارٍ.

و قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: هُوَ الزَّقُّومُ.

و قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الشَّبْرَقُ.

قَالَ قَتَادَةُ: قُرَيْشٌ تُسَمِّيهِ فِي الرَّبِيعِ الشُّبْرُقُ،
 وَ فِي الصَّيْفِ الضَّرِيعُ.
 قَالَ عِكْرَمَةُ: وَ هُوَ شَجَرَةٌ ذَاتُ شَوْكٍ لَاطِنَةٌ بِالْأَرْضِ.
 وَ قَالَ الْبَخَارِيُّ: قَالَ مُجَاهِدٌ: الضَّرِيعُ نَبْتُ يُقَالُ لَهُ: الشُّبْرُقُ،
 يُسَمِّيهِ أَهْلُ الْحِجَازِ: الضَّرِيعَ إِذَا يَبَسَ، وَ هُوَ سُمٌّ.
 وَ قَالَ مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ:
 {إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ} هُوَ الشُّبْرُقُ، إِذَا يَبَسَ سُمِّيَ الضَّرِيعَ.



—و ذلك أن المقصود من الطعام أحد أمرين:

1- إما أن يسد جوع صاحبه و يزيل عنه ألمه،

2- و إما أن يسمن بدنه من الهزال،

و هذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين،

بل هو طعام في غاية المرارة و التنت و الخسة نسأل الله العافية.

و أما أهل الخير، فوجوههم يوم القيامة

(وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمٌ)

أي: قد جرت عليهم نضرة النعيم،

ففضرت أبدانهم، واستنارت وجوههم، و سروا غاية السرور.

(لَسَعِيهَا)

الذي قدمته في الدنيا من الأعمال الصالحة، و الإحسان إلى عباد الله،

(رَاضِيَةً)

إذ وجدت ثوابه مدخرًا مضاعفًا، فحمدت عقباه، و حصل لها كل ما تتمناه،
و ذلك أنها

(فِي جَنَّةٍ)

جامعة لأنواع النعيم كلها،

(عَالِيَةً)

في محلها و منازلها، فمحلها في أعلى عليين، و منازلها مساكن عالية،
لها غرف و من فوق الغرف غرف مبنية يشرفون منها على ما أعد الله لهم من
الكرامة.

(قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ)

أي: كثيرة الفواكه اللذيذة، المثمرة بالثمار الحسنة،
السهلة التناول، بحيث ينالونها على أي: حال كانوا،
لا يحتاجون أن يصعدوا شجرة،

أو يستعصي عليهم منها ثمرة.

(لَا تَسْمَعُ فِيهَا)

أي: الجنة

(لَغِيَّةٌ)

أي: كلمة لغو و باطل، فضلا عن الكلام المحرم،
بل كلامهم كلام حسن نافع مشتمل على ذكر الله تعالى،
و ذكر نعمه المتواترة عليهم،
و على الآداب المستحسنة بين المتعاشرين،
الذي يسر القلوب، ويشرح الصدور.

*** لَا يُسْمَعُ فِي الْجَنَّةِ الَّتِي هُمْ فِيهَا كَلِمَةً لَغْوٍ. كَمَا قَالَ:

{ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا } [مَرْيَمَ: 62] وَقَالَ:

{ لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ } [الطُّورِ: 23] وَقَالَ:

{ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا } [الْوَاقِعَةِ: 25، 26]

(فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ)

و هذا اسم جنس أي: فيها العيون الجارية التي يفجرونها
و يصرفونها كيف شاءوا، و أنى أرادوا.

(فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ)

و « السُرر » جمع « سرير » و هي المجالس المرتفعة في ذاتها،

و بما عليها من الفرش اللينة الوطيئة.

(وَأَكْوَابُ مَوْضُوعَةٌ)

أي: أوان ممتلئة من أنواع الأشربة اللذيذة، قد وضعت بين أيديهم،
و أعدت لهم، و صارت تحت طلبهم و اختيارهم،
يطوف بها عليهم الولدان المخلدون.

(وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ)

أي: وسائد من الحرير و الاستبرق و غيرها مما لا يعلمه إلا الله،
قد صفت للجلوس والالتكاء عليها،
و قد أريحوا عن أن يضعوها، و يصفوها بأنفسهم.

(وَزَرَائِي)

و الزرابي هي: البسط الحسان،

(مَبْنُوتَةٌ)

أي: مملوءة بها مجالسهم من كل جانب.

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ
كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾
لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾
فَعَذَابُ اللَّهِ الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ ﴿٢٤﴾

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿١٦﴾

يقول تعالى حثًا للذين لا يصدقون الرسول ﷺ و لغيرهم من الناس،
أن يتفكروا في مخلوقات الله الدالة على توحيده:

(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)

أي: ألا ينظرون إلى خلقها البديع، وكيف سخرها الله للعباد،
وذللها لمنافعهم الكثيرة التي يضطرون إليها.

*و يتراوح وزن الجمل ما بين (450 650) كيلو جراماً،

ويصل ارتفاعه إلى نحو المترين أو أكثر بقليل،

وسنام الجمل هو أكثر ما يميز شكله عن باقي الحيوانات،

وهو عبارة عن مخزن كبير للدهون يتكون فوق ظهره على شكل
هرمي، وهو مفيد جداً له؛

فعندما يتعرض الجمل للجوع أو العطش الشديد يقوم بتحويل ما
يحتاج إليه من هذا الدهن إلى غذاء وماء،

وللجمل قدرة عجيبة على تحمل العطش

بل إنه يضرب به المثل في ذلك !!

ففي فصلى الشتاء والربيع يمكن للجمل أن يعيش مدة طويلة

تتراوح ما بين شهرين إلى أربعة أشهر دون أن يشرب الماء،

ويكتفي بما يأكله من نباتات خضراء غنية بالماء،

أما في فصل الصيف الحار فيمكنه أن يتحمل العطش مدة تتراوح

ما بين ستة أيام إلى عشرة،

وقد تزيد على ذلك فتصل إلى أسبوعين أو أكثر

ويرجع ذلك إلى عدة أشياء يتمتع بها الجمل دون سائر الحيوانات، فهو يستطيع أن يحافظ على ماء جسمه بكفاءة عالية فلا يفقد منه إلا القليل،

إذ إنه لا يتنفس من فمه، ولا يلهث أبداً مهما اشتد الحر، وهو بذلك يتجنب تبخر كميات كبيرة من ماء جسمه عن طريق الفم، كما تقوم الكليتان بدور كبير في اقتصاد الماء الموجود داخل الجسم بصورة مذهلة،

ولا تخرجان إلا كمية بول قليلة جداً إلى حد ما، ولكن أعجب ما في الجمل هو قلة عرقه إلى أدنى حد ممكن؛ إذ إنه لا يعرق إلا إذا تجاوزت درجة حرارة جسمه نحو 41°م تقريباً، وهذه ميزة عظيمة تمكن الجمل من الاحتفاظ بالماء داخل جسمه أطول فترة ممكنة

الجمل حيوان عظيم النفع للإنسان فهو يستخدمه في أداء كثير من الأعمال الشاقة، فهو يقوم بحمل الركاب، ونقل الأمتعة من مكان إلى آخر،

ويمكن للإبل التي تستخدم للركوب أن تقطع مسافة قدرها نحو 10 كيلومترات في الساعة تقريباً،

وأن تمشى في اليوم الواحد نحو 100 كيلومتر دون تعب أو كلل،

أما الإبل المستخدمة في حمل الأمتعة فيمكنها حمل نحو 150 إلى 300 كيلوجرام،

وما زالت الإبل تستخدم في بعض فرق الجيش والشرطة، وهو ما يعرف باسم فرق الهجانة، كما تستخدم بعض أنواع الإبل

المعروفة بسرعتها وخفة حركتها في مسابقات الجري والتي تعرف باسم سباق "الهجن" .

وتعتبر الجمال من أهم الحيوانات التي يستفيد الإنسان من لحمها ولبنها ووبرها وجلودها،

ويتميز لبن الإبل بجودته العالية، وحلاوة طعمه، وسهولة هضمه فهو قليل الدهون، خفيف على المعدة، غنى بالفيتامينات

والبروتينات والمعادن خاصة الكالسيوم،

كما يحتوى على مواد تقاوم السموم والبكتيريا، وبه مواد تقوى جهاز المناعة، ويستخدم في علاج كثير من الأمراض خاصة

أمراض البطن والكبد وغيرها،

وقد اشتكى بعض الناس إلى النبي ﷺ - من مرض أصاب بطونهم،

فأمرهم النبي - ﷺ أن يشربوا من ألبان الإبل وأبوالها ففعلوا،

فشفوا بإذن الله .

أما وبر الإبل فيستخدم في صنع الثياب والأغطية والفرش والخيام،

ويصنع من جلود الإبل الملابس الجلدية والأحذية والحقائب،

ويتميز جلد الجمل بقوته وسماكته وجودته العالية

معلومات وطرائف حول الجمل:-

الناقة: هي الأنثى من الإبل ، والجمع نوق ،ويقال للذكر : جمل-

الإبل: لفظ يطلق على الجمال و النوق معاً،

و هو اسم جمع لا واحد له من لفظه.

البعير: ما صلح للركوب والحمل من الإبل، ويقال للجمل والناقة

-السليل : هو ولد الناقة لحظة ولادته .

-الحوار : هو ولد الناقة قبل أن يفطم .

- الفصيل : هو ولد الناقة إذا فُطم وأبعد عن أمه .

- ورد لفظ الإبل في القرآن الكريم مرتين،

و الناقة (7) مرات،

و العير (3) مرات،

و البعير مرتين،

و الجمل مرة واحدة .

- يسير الجمل بطريقة تختلف عن طريقة سير الحيوانات الأخرى ،

إذ إنه يحرك رجلي الجانب الأيمن معاً،

ويتبعهما برجلي الجانب الأيسر معاً، وينتج عن هذه المشية تأرجح

كل من يعتلى ظهره بصورة كبيرة .

- يستطيع الجمل العطشان أن يشرب أكثر من 100 لتر من الماء

دفعه واحدة دون أن يحدث له أي ضرر، ولا تبقى هذه المياه في

أمعائه، ولكنها تنساب داخل أنسجة جسمه فوراً .

- الجمل شديد الاقتصاد جداً في الماء، ولا يفقد منه إلا أقل من لتر

واحد في اليوم أو يزيد، وذلك عن طريق البول .

- حين يكون الجمل بحالة صحية جيدة نجد سنامه قائماً ومكتظاً،

و حين يكون مريضاً أو تعرض لفترة جوع طويلة نجد سنامه

ضامراً، وقد يتلاشى .

- الجهاز الهضمي للجمل يخلو من المرارة .

*** فَإِنَّهَا خَلَقَ عَجِيبٌ، وَتَرَكِيئُهَا غَرِيبٌ، فَإِنَّهَا فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ وَالشَّدَّةِ،

وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تَلِينُ لِلْحَمْلِ الثَّقِيلِ،

وَتَنْقَادُ لِلْقَائِدِ الضَّعِيفِ،

وَتُؤَكِّي،

وَيَنْتَفِعْ بِوَبَرِّهَا،
وَيُشْرَبْ لَبْنُهَا.
وَنُبْهُوا بِذَلِكَ لِأَنَّ الْعَرَبَ غَالِبُ دَوَابِّهِمْ كَانَتْ الْإِبِلُ،
وَكَانَ شَرِيحُ الْقَاضِي يَقُولُ:
اخْرُجُوا بِنَا حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ؟
أَيُّ: كَيْفَ رَفَعَهَا اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، عَنِ الْأَرْضِ هَذَا الرَّفْعَ الْعَظِيمَ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ}

[ق:6]

(وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ)

* الميسر: و إلى السماء كيف رُفِعَتْ هذا الرفع البديعُ

(وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ)

بهيئة باهرة، حصل بها استقرار الأرض و ثباتها عن الاضطراب،
و أودع فيها من المنافع الجليلة ما أودع.

(وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)

أي: مدت مدداً واسعاً، و سهلت غاية التسهيل، ليستقر الخلائق على ظهرها،
و يتمكنوا من حرثها و غراسها، و البنيان فيها،
و سلوك الطرق الموصلة إلى أنواع المقاصد فيها.
و اعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة،

قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها
كما دل على ذلك النقل و العقل و الحس و المشاهدة،
كما هو مذكور معروف عند أكثر الناس، خصوصاً في هذه الأزمنة،
التي وقف الناس على أكثر أرجائها بما أعطاهم الله من الأسباب المقربة
للبعيد،

فإن التسطيح إنما ينافي كروية الجسم الصغير جداً،
الذي لو سطح لم يبق له استدارة تذكر.
○ و أما جسم الأرض الذي هو في غاية الكبر و السعة ،
فيكون كروياً مسطحاً،
و لا يتنافى الأمران، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة.

(فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ)

أي: ذكر الناس و عِظْهُمْ، و أنذرهم و بشرهم،

(لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ)

فإنك مبعوث لدعوة الخلق إلى الله و تذكيرهم،
و لم تبعث مسيطراً عليهم، مسلطاً موكلاً بأعمالهم،
فإذا قمت بما عليك، فلا عليك بعد ذلك لوم،

كقوله تعالى: **{وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ}**

[ق: 45]

***لست عليهم بجبار-لست بالذي تكرههم علي الايمان

*** صحيح مسلم عن جابر -20

أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ:
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَ نَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ "

و قوله: (**إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكُفِرَ**)

أي: لكن من تولى عن الطاعة و كفر بالله
***وَلَّى عَنِ الْعَمَلِ بِأَرْكَانِهِ، وَ كَفَرَ بِالْحَقِّ بِجَنَانِهِ وَ لِسَانِهِ. وَ هَذِهِ كَقَوْلِهِ:

{ **فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى** } [الْقِيَامَةُ: 31، 32]

وَ لِهَذَا قَالَ:

(**فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ**)

أي: الشديد الدائم،

(**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ**)

أي: رجوع الخليفة و جمعهم في يوم القيامة.

(**ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**)

فنحاسيهم على ما عملوا من خير وشر.

89- تفسير سورة الفجر - و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ ② وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ③ وَآيَاتِ إِذَا يَسِر ④

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ⑤

*** سنن أبي داود

2438 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ» يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»

الظاهر أن المقسم به، هو المقسم عليه، و ذلك جائزٌ مُستعمل، إذا كان أمراً ظاهراً مهماً، و هو كذلك في هذا الموضع.

(وَالْفَجْرِ)

فأقسم تعالى بالفجر، الذي هو آخر الليل و مقدمة النهار،

لما في إدبار الليل و إقبال النهار، من الآيات الدالة على كمال قدرة الله تعالى، و أنه وحده المدبر لجميع الأمور، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، و يقع في الفجر صلاة فاضلة معظمة، يُحسُن أن يقسم الله بها،

(وَلَيَالٍ عَشْرٍ)

و لهذا أقسم بعده بالليالي العشر،

فإنها ليال مشتملة على أيام فاضلة، و يقع فيها من العبادات و القربات ما لا يقع في غيرها.

و هي على الصحيح:-

1- ليالي عشر رمضان:-

○ و في ليالي عشر رمضان ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، و في نهارها، صيام آخر رمضان الذي هو ركن من أركان الإسلام.

2- أو عشر ذي الحجة:-

○ و في أيام عشر ذي الحجة، الوقوف بعرفة، الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرة يَحْزَنُ لها الشيطان، فما رئي الشيطان أحقر و لا أدحر منه في يوم عرفة، لما يرى من تنزل الأملاك و الرحمة من الله لعباده، و يقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة، و هذه أشياء معظمة، مستحقة لأن يقسم الله بها.

(وَالشَّفْعِ)

*** وَ أَنَّ الشَّفْعَ يَوْمُ النَّحْرِ لِكَوْنِهِ الْعَاشِرِ

*** أَوْ سَطَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ

*** وَ يَقَالُ:- الشَّفْعُ صَلَاةُ الْغَدَاةِ،

*** وَ خَلَقَ اللهُ :- الشَّفْعُ، الذَّكْرُ وَ الْأُنْثَى.

(وَالْوَتْرِ)

***الْوَتْرُ يَوْمُ عَرَفَةَ، لِكَوْنِهِ التَّاسِعَ

***ليلة الاضحى

***آخر أيام التشريق

***اللهُ وَتَرٌ وَاحِدٌ

وَ الْوَتْرُ: صَلَاةُ الْمَغْرِبِ.

***اللهُ الْوَتْرُ

*** صحيح البخاري

6410 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَوَايَةً، قَالَ:

«لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا،

لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وَتَرٌ يُحِبُّ الْوَتْرَ» ()

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ)

أي: وقت سريانه و إرخائه ظلامه على العباد،

فيسكنون و يستريحون و يطمئنون، رحمة منه تعالى و حكمة.

(هَلْ فِي ذَلِكَ) المذكور

(فَسَمِّ لِيذِي حَجَرٍ)

أي: لذي عقل؟

(لا يحفظها) عن ظهر قلب وهذا يستلزم تكرارها وهو المقصود.

وقيل حفظها الخضوع لمعانيها والعمل بما تقتضيه.

(وتر) واحد لا شريك له.

(يحب الوتر) أكثر قبولا لما كان وترا ولذلك جعله في كثير من العبادات والمخلوقات كالصلوات الخمس

والطواف سبعا والسموات وغير ذلك

ونذب التثليث في كثير من الأعمال كالوضوء والغسل]

نعم، بعض ذلك يكفي، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

*** لِيَذِي عَقْلٍ وَ لُبٍّ وَ حِجِّي وَ دِينٍ
وَ إِنَّمَا سَمِّيَ الْعَقْلُ حَجْرًا لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الْإِنْسَانَ مِنْ تَعَاطِي مَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ
الْأَفْعَالِ وَ الْأَقْوَالِ،
وَ مِنْهُ حَجَرُ الْبَيْتِ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الطَّائِفَ مِنَ اللُّصُوقِ بِجِدَارِهِ الشَّامِيِّ.
وَ مِنْهُ حَجَرُ الْيَمَامَةِ،
وَ حَجَرَ الْحَاكِمِ عَلَى فُلَانٍ: إِذَا مَنَعَهُ التَّصَرُّفَ،

{وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا} [الفرقان: 22] ،

كُلُّ هَذَا مِنْ قَبِيلِ وَاحِدٍ، وَمَعْنَى مُتَقَارِبٍ،
وَهَذَا الْقِسْمُ هُوَ بِأَوْقَاتِ الْعِبَادَةِ، وَ بِنَفْسِ الْعِبَادَةِ مِنْ حَجٍّ وَصَلَاةٍ
وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْقُرْبِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَيْهِ عِبَادُهُ الْمُتَّقُونَ الْمُطِيعُونَ
لَهُ، الْخَائِفُونَ مِنْهُ، الْمُتَوَاضِعُونَ لَدَيْهِ، الْخَاشِعُونَ لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ

﴿٨﴾ وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾

الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَكَثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾

فَصَبَّ عَلَيْهِمُ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

يقول تعالى:

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ)

*** وَ هَؤُلَاءِ عَادُ الْأَوَّلَى،

وَهُمْ أَوْلَادُ عَادِ بْنِ إِرَمَ بْنِ عَوْصِ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ
قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَ هُمْ الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ رَسُولَهُ هُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَكَذَّبُوهُ وَ خَالَفُوهُ، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ
وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنْهُمْ، وَ أَهْلَكَهُمْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ،

{ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ

أَعْجَازٌ مُخْلِ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ } [الْحَاقَّةُ: 7، 8]

○ بقلبك و بصيرتك كيف فعل بهذه الأمم الطاغية، و هي

(إِرَمَ)

القبيلة المعروفة في اليمن

(ذَاتُ الْعِمَادِ)

أي: القوة الشديدة، و العتو و التجبر.

*** لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْكُنُونَ بُيُوتَ الشَّعْرِ الَّتِي تُرْفَعُ بِالْأَعْمَدَةِ
*** وَ قَدْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ فِي زَمَانِهِمْ خَلْقَةً وَ أَقْوَاهُمْ بَطْشًا،

(الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا)

أي: مثل عاد

(فِي الْبَلَدِ)

أي: في جميع البلدان في القوة و الشدة،

كما قال لهم نبيهم هود عليه السلام:

{ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً
فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [الأعراف: 69]

(وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ)

أي: وادي القرى، نحتوا بقوتهم الصخور، فاتخذوها مساكن،

***يَقْطَعُونَ الصَّخْرَ بِالْوَادِي

***{ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ } [الشعراء: 149]

(وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ)

أي: ذي الجنود الذين ثبتوا ملكه، كما تثبت الأوتاد ما يراد إمساكه بها،

***كَانَ فِرْعَوْنُ يُوتِدُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ فِي أَوْتَادٍ مِنْ حَدِيدٍ يُعَلِّقُهُمْ بِهَا.

(الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ)

هذا الوصف عائد إلى عاد و ثمود و فرعون و من تبعهم،

فإنهم طغوا في بلاد الله، و آذوا عباد الله، في دينهم و دنياهم، ولهذا قال:

(فَاكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ)

و هو العمل بالكفر و شُعبه، من جميع أجناس المعاصي،

و سعوا في محاربة الرسل

و صد الناس عن سبيل الله،

(فَصَبَّ عَلَيْهِمُ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ)

فلما بلغوا من العتو ما هو موجب لهلاكهم،

أرسل الله عليهم من عذابه ذنوبًا و سوط عذاب،
***رجزا من السماء

(إِنْ رَبَّكَ لَبِاْلْمُرْصَادِ) (I)

لمن عصاه يمهله قليلا ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.
***يَرِضُدْ خَلْقُهُ فِيمَا يَعْمَلُونَ، وَيُجَازِي كُلًّا بِسَعْيِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَى،
وَسَيَعْرِضُ الْخَلَائِقُ كُلَّهُمْ عَلَيْهِ، فَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِعَدْلِهِ،
وَيُقَابِلُ كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ. وَهُوَ الْمُنَزَّهُ عَنِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ

فَإِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾

وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾

كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾

وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾

وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

(فَإِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ)

***يَقُولُ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَى الْإِنْسَانِ فِي اعْتِقَادِهِ:-

- إِذَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ لِيُخْتَبِرَهُ فِي ذَلِكَ،
فَيَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ إِكْرَامٌ لَهُ وَلَيْسَ كَذَلِكَ،
بَلْ هُوَ ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ. كَمَا قَالَ تَعَالَى:

*معجم اللغة العربية المعاصرة: مراقبك فلا يخفى عليه شيء من أفعالك".

{ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا

يَشْعُرُونَ } [الْمُؤْمِنُونَ: 55، 56]

- يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه جاهل ظالم، لا علم له بالعواقب، يظن الحالة التي تقع فيه تستمر و لا تزول، و يظن أن إكرام الله في الدنيا و إنعامه عليه يدل على كرامته عنده و قربه منه،

(وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ)

وَ كَذَلِكَ فِي الْجَانِبِ الْآخِرِ إِذَا ابْتَلَاهُ وَ امْتَحَنَهُ.

(فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ)

أي: ضيقه، فصار بقدر قوته لا يفضل منه،

(فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ)

أن هذا إهانة من الله له، فرد الله عليه هذا الحسبان: بقوله

(كَلَّا)

أي: ليس كل من نَعَمْتُهُ في الدنيا فهو كريم عليّ،

و لا كل من قدرت عليه رزقه فهو مهان لدي،

*** فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ،

وَ يُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يُحِبُّ وَ مَنْ لَا يُحِبُّ،

و إنما الغنى و الفقر، و السعة و الضيق، ابتلاء من الله، و امتحان يمتحن به

العباد، ليرى من يقوم له بالشكر والصبر، فيثيبه على ذلك الثواب الجزيل،

ممن ليس كذلك فينقله إلى العذاب الويل.
و أيضاً، فإن وقوف همة العبد عند مراد نفسه فقط، من ضعف الهمة،
و لهذا لامهم الله على عدم اهتمامهم بأحوال الخلق المحتاجين، فقال:

(بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ)

*** صحيح البخاري

5304 - سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: رَسُوْلُ اللهِ ﷺ:
«وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَ الْوُسْطَى،
وَ فَرَجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ()

الذي فقد أباه و كاسبه، و احتاج إلى جبر خاطره و الإحسان إليه.
فأنتم لا تكرمونه بل تهينونه،

و هذا يدل على عدم الرحمة في قلوبكم، و عدم الرغبة في الخير.

(وَلَا تَخْضَوْنَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ)

*يحث بعضكم بعضا في ذلك

أي: لا يحض بعضكم بعضًا على إطعام المحاويج من المساكين و الفقراء
و ذلك لأجل الشح على الدنيا و محبتها الشديدة المتمكنة من القلوب،

(كافل اليتيم)

القائم بأمره ومصالحه والحافظ لأمواله واليتيم من مات أبوه ولم يبلغ.

(وأشار) لبيان شدة قرب كافل اليتيم منه ﷺ.

(السبابة) هي المسبحة وفي نسخة [بالسباحة].

(فرج) فرق قليلا لبيان التفاوت بين الأنبياء وغيرهم

و لهذا قال:

(وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ)

***الميراث

أي: المال المخلف

(أَكْثَلًا لَمَّا)

*** مِنْ أَيِّ جِهَةٍ حَصَلَ لَهُمْ، مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ
أي: ذريعاً، لا تبقون على شيء منه.

(وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا)

أي: كثيراً شديداً، وهذا كقوله تعالى:

{ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى } [الأعلى: 16، 17]

{ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ } [القيامة: 20، 21]

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ لهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾

(كَلَّا)

أي: ليس كل ما أحببتم من الأموال، و تنافستم فيه من اللذات، بياق لكم،

(إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا)

بل أمامكم يوم عظيم، و هول جسيم، تدك فيه الأرض و الجبال و ما عليها

حتى تجعل قاعاً صفصفاً لا عوج فيه ولا أمت .
 ***وُطِئَتْ وَ مُهَّدَتْ وَ سُوِّيتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ، وَ قَامَ الْخَلَائِقُ مِنْ قُبُورِهِمْ
 لِرَبِّهِمْ

(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ)

و يجيء الله تعالى لفصل القضاء بين عباده في ظلل من الغمام،
 و تجيء الملائكة الكرام، أهل السماوات كلهم،

(صَفًّا صَفًّا)

أي: صفًا بعد صف، كل سماء يجيء ملائكتها صفا،
 يحيطون بمن دونهم من الخلق،
 و هذه الصفوف صفوف خضوع و ذل للملك الجبار.

(وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ)

*** صحيح مسلم

(2842) - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ،
 مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»

((4900 مليون ملك))

-تقودها الملائكة بالسلاسل.

فإذا وقعت هذه الأمور

ف—(يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانُ)

ما قدمه من خير و شر .

(وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى)

*** وَ كَيْفَ تَنْفَعُهُ الذِّكْرَى؟

—فقد فات أوانها، و ذهب زمانها،

يقول متحسراً على ما فرط في جنب الله:

(يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي)

*** يَنْدَمُ عَلَى مَا كَانَ سَلَفَ مِنْهُ مِنَ الْمَعَاصِي -إِنْ كَانَ عَاصِيًا-

وَ يَوَدُّ لَوْ كَانَ أَزْدَادَ مِنَ الطَّاعَاتِ -إِنْ كَانَ طَائِعًا

الدائمة الباقية، عملاً صالحاً، كما قال تعالى:

{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا

وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي

وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا } [الفرقان: 27 - 29]

و في الآية دليل على أن :-

الحياة التي ينبغي السعي في أصلها و كمالها و في تتميم لذاتها:-

هي الحياة في دار القرار، فإنها دار الخلد و البقاء.

يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدِمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وِثْقُهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجَعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾
فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

90- سورة البلد-مكية- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾
يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا ﴿٦﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾
وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾
فَلَا اقْنَحْ عَنِ الْعَقَبَةِ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾
أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾
ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمُنَنَّى ﴿١٨﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَائِبُنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾
عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَاهُ أَحَدٌ

﴿٢٦﴾ يَتَأَنَّى النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجَيْتُ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾

فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَاَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

(يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي)

يَقُولُ

{ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ

حَذُولًا } [الفرقان: 27 - 29]

و في الآية دليل على أن الحياة التي ينبغي السعي في أصلها و كمالها ،
و في تسميم لذاتها: -

هي الحياة في دار القرار، فإنها دار الخلد والبقاء.

(فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ)

لمن أهمل ذلك اليوم ونسي العمل له.

***لَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ عَذَابًا مِنْ تَعَذِّبِ اللَّهِ مَنْ عَصَاهُ،

(وَلَا يُوثِقُ وِثْقَاهُ أَحَدٌ)

***و لَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ قَبْضًا وَ وِثْقًا مِنَ الزَّبَانِيَةِ لِمَنْ كَفَرَ بِرَبِّهِمْ، عَزَّ وَجَلَّ،

فإنهم يقرنون بسلاسل من نار،

و يسحبون على وجوههم في الحميم،

ثم في النار يسجرون، فهذا جزاء المجرمين،
و أما من اطمأن إلى الله وآمن به و صدق رسله، فيقال له:

(يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ)

***فَأَمَّا النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ الْمُطْمَئِنَّةُ وَ هِيَ السَّائِكَةُ الثَّابِتَةُ الدَّائِرَةُ مَعَ الْحَقِّ
- إلى ذكر الله، الساكنة إلى حبه، التي قرت عينها بالله.

(أَرْجِعْنِي إِلَى رَبِّكَ)

الذي رباك بنعمته، و أسدى عليك من إحسانه ما صرت به من أوليائه وأحبابه

(رَاضِيَةٌ)

***فِي نَفْسِهَا

(مَرْضِيَّةُ)

أي: راضية عن الله، و عن ما أكرمها به من الثواب، و الله قد رضي عنها.

(فَادْخُلِي فِي عِبَادِي)

***فِي جُمْلَتِهِمْ

(وَادْخُلِي جَنَّتِي)

و هذا تخاطب به الروح يوم القيامة، و تخاطب به في حال الموت

90-تفسير سورة" لا أقسم بهذا البلد"-و هي مكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ① وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ② وَاللَّيْلِ وَمَا وَلَدَ ③
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ④ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ⑤
يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ ⑥ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ⑦ أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ⑧
وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ⑨ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ⑩
فَلَا اقْنَحُمُ الْعَاقِبَةَ ⑪ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَاقِبَةُ ⑫ فَكُ رَقَبَةً ⑬
أَوْ اطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ⑭ يَلِيَمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ⑮ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ⑯
ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ⑰
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ⑱
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَابِعُنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ⑲ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ⑳

يقسم تعالى

(لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ)

الأمين، الذي هو مكة المكرمة، أفضل البلدان على الإطلاق،

(وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ)

خصوصًا وقت حلول الرسول ﷺ فيها،

*** أَنْتَ - يَا مُحَمَّدٌ- يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُقَاتِلَ
*** أَحَلَّهَا اللَّهُ لَهُ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ.

*** صحيح البخاري

1834 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ افْتَتَحَ مَكَّةَ:

«لَا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتَنْفِرْتُمْ، فَاَنْفِرُوا،

فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ،

وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي،

وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ،

فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ،

وَلَا يُنْقَرُ صَيْدُهُ،

وَلَا يُلْتَقِطُ لُقْطَتُهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا،

وَلَا يُخْتَلَى خِلَاهَا»

قَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا الْإِذْخَرَ فَإِنَّهُ لَقَيْنِهِمْ وَ لَبِئْتِهِمْ،

قَالَ: قَالَ: «إِلَّا الْإِذْخَرَ»

(وَالِدِ)

أي: آدم

(وَمَوْلَا)

و ذريته.

و المقسم عليه قوله:

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ)

1-يحتمل أن المراد بذلك ما يكابده ويقاسيه من الشدائد :-

في الدنيا

[*** وَ الْكَبْدُ: الْإِسْتِوَاءُ وَالْإِسْتِقَامَةُ. وَمَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ:
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ سَوِيًّا مُسْتَقِيمًا كَقَوْلِهِ:

{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ}
[الْإِنْفِطَار: 6، 7]

{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التَّيْن:4] .،

*** عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: فِي كَبَدٍ، قَالَ:

فِي شِدَّةِ خُلُقٍ، أَلَمْ تَرَ إِلَيْهِ ... وَذَكَرَ مَوْلِدَهُ وَنَبَاتَ أَسْنَانِهِ.
قَالَ مُجَاهِدٌ: {فِي كَبَدٍ} نُطْفَةٌ، ثُمَّ عَلَقَةٌ، ثُمَّ مُضْغَةٌ يَتَكَبَّدُ فِي الْخَلْقِ -قَالَ
مُجَاهِدٌ: وَهُوَ كَقَوْلِهِ: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا}
وَ أَرْضَعَتْهُ كُرْهًا، وَ مَعِيشَتُهُ كُرْهًا، فَهُوَ يَكَابِدُ ذَلِكَ.]

و في البرزخ،

و يوم يقوم الأشهاد،

و أنه ينبغي له أن يسعى في عمل :-

يربحه من هذه الشدائد، و يوجب له الفرح و السرور الدائم.

و إن لم يفعل، فإنه لا يزال يكابد العذاب الشديد أبد الآباد.

2-و يحتمل أن المعنى :

{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين:4]

و أقوم خلقة، مقدر على التصرف والأعمال الشديدة،
و مع ذلك، فإنه لم يشكر الله على هذه النعمة العظيمة
بل بطر بالعافية و تجبر على خالقه،
فحسب بجهله و ظلمه أن هذه الحال ستدوم له،
و أن سلطان تصرفه لا ينزل،
و لهذا قال تعالى:

(أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ)

***أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَأْخُذُ مَالَهُ
***إِبْنُ آدَمَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يُسْأَلَ عَنْ هَذَا الْمَالِ:
مَنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَ أَيْنَ أَنْفَقَهُ؟

-و يطغى و يفتخر بما أنفق من الأموال على شهوات نفسه.

ف—(يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا)

أي: كثيرًا، بعضه فوق بعض.
و سمى الله تعالى الإنفاق في الشهوات و المعاصي إهلاكًا،
لأنه لا ينتفع المنفق بما أنفق،
و لا يعود عليه من إنفاقه إلا الندم و الخسار و التعب و القلة،
لا كمن أنفق في مرضاة الله في سبيل الخير،

فإن هذا قد تاجر مع الله، و ربح أضعاف أضعاف ما أنفق.
قال الله متوعدًا هذا الذي يفتخر بما أنفق في الشهوات:

(أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ)

أي: أيحسب في فعله هذا، أن الله لا يراه و يحاسبه على الصغير و الكبير؟
بل قد رآه الله، و حفظ عليه أعماله، و وكل به الكرام الكاتبين،
لكل ما عمله من خير و شر.
ثم قرره بنعمه، فقال:

(أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ)

للجمال و البصر و النطق، و غير ذلك من المنافع الضرورية فيها،
فهذه نعم الدنيا، ثم قال في نعم الدين:

(وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)

أي: طريقي الخير و الشر،
بيننا له الهدى من الضلال،
و الرشده من الغي.

فهذه المنن الجزيلة، تقتضي من العبد أن:-

1- يقوم بحقوق الله،

2- و يشكر الله على نعمه

3- و أن لا يستعين بها على معاصيه

ولكن هذا الإنسان لم يفعل ذلك.

***{إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا
إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [سُورَةُ الْإِنْسَانِ: 2، 3] .

(فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةُ)

أي: لم يقتحمها و يعبر عليها، لأنه متبع لشهواته .
و هذه العقبة شديدة عليه،

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ)

ثم فسر هذه العقبة بقوله:

(فَكَ رَقَبَةٍ)

أي: فكها من الرق، بعثتها أو مساعدتها على أداء كتابتها،

و من باب أولى فكاك الأسير المسلم عند الكفار.

***صحيح مسلم

1509 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ مِنَ النَّارِ،
حَتَّى فَرَجَهُ بِفَرْجِهِ»

(أَوْ إِطْعَمَهُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ)

أي: مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة.

(يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ)

أي: جامعًا بين كونه يتيمًا، فقيرًا ذا قرابة.

***مسند أحمد مخرجا

16227 - عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ،
وَهِيَ عَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ: صَلَّةٌ، وَ صَدَقَةٌ

(أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ)

أي: قد لزق بالتراب من الحاجة و الضرورة.

(ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا)

أي: آمنوا بقلوبهم بما يجب الإيمان به، و عملوا الصالحات بجوارحهم.

من كل قول وفعل واجب أو مستحب.

***مؤمنٌ بقلبه، مُحْتَسِبٌ ثَوَابَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

*** { وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا }

[الإسراء: 19]

*** { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ

بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [النحل: 97]

(وَتَوَّاصُوا بِالصَّبْرِ)

1- على طاعة الله

2- و عن معصيته

3- و على أقدار الله المؤلمة

بأن يحث بعضهم بعضًا على الانقياد لذلك،
و الإتيان به كاملا منشرحًا به الصدر، مطمئنة به النفس.

(وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ) للخلق من:-

- إعطاء محتاجهم،

- و تعليم جاهلهم،

- و القيام بما يحتاجون إليه من جميع الوجوه،

- و مساعدتهم على المصالح الدينية و الدنيوية،

- و أن يحب لهم ما يحب لنفسه،

- و يكره لهم ما يكره لنفسه،

أولئك الذين قاموا بهذه الأوصاف، الذين وفقهم الله لاقتحام هذه العقبة

***صحيح البخاري

6013 - عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ» ()

مسند أحمد مخرجا

6494 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ:

«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ أَهْلُ السَّمَاءِ،

(لا يَرْحَمُ) المخلوقات.

(لا يَرْحَمُ) من قبل الخالق جل وعلا

وَالرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، مَنْ وَصَلَهَا، وَصَلَتْهُ، وَ مَنْ قَطَعَهَا، بَتَّتَهُ»

(أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ)

***اليمين

لأنهم أدوا ما أمر الله به من حقوقه و حقوق عباده،

و تركوا ما نُهِوا عنه،

و هذا عنوان السعادة و علامتها.

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَائِبِينَ)

بأن نبذوا هذه الأمور وراء ظهورهم:-

- فلم يصدقوا بالله

- و لا آمنوا به

- و لا عملوا صالحاً

- و لا رحموا عباد الله

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَائِبِينَ هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ)

***الشمال

(عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ)

أي: مغلقة، في عمد ممددة، قد مدت من ورائها، لئلا تنفتح أبوابها،

حتى يكونوا في ضيق وهم و شدة والحمد لله .

91-سورة الشمس-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم-595

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾
وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾
إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾
فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾
وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

92-سورة الليل-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣﴾
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَشَى ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾
فَسَيِّئِرُهُ لَلْإِسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾
فَسَيِّئِرُهُ لَلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ وَمَا يَفْنَى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾
إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿١٣﴾
فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾

91- تفسير سورة الشمس وضحاها - و هي مكية

*** صحيح مسلم

(465) عَنْ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ مُعَاذٌ، يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ
ثُمَّ يَأْتِي فَيَوْمُ قَوْمِهِ، فَصَلَّى لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْعِشَاءَ
ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَأَمَّهُمْ فَأَفْتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ
فَانْحَرَفَ رَجُلٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ صَلَّى وَحْدَهُ وَانْصَرَفَ فَقَالُوا لَهُ: أَنَا فَقُتْ؟
يَا فُلَانُ، قَالَ: لَا. وَاللَّهِ وَ لَاَتَيْنِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَا خَيْرَ لَهُ.
فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
إِنَّا أَصْحَابُ نَوَاضِحٍ نَعْمَلُ بِالنَّهَارِ
وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى مَعَكَ الْعِشَاءَ،
ثُمَّ أَتَى فَأَفْتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ
فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ مُعَاذٍ
فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ أَفْتَانُ أَنْتَ؟
افْرَأْ بِكَذَا وَافْرَأْ بِكَذَا»
قَالَ سُفْيَانُ: فَقُلْتُ لِعَمْرُو،
إِنَّ أَبَا الزُّبَيْرِ، حَدَّثَنَا عَنْ جَابِرٍ، أَنَّهُ قَالَ:
افْرَأْ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا

وَالضُّحَى

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى

وَسَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى

فَقَالَ عَمْرُو نَحْوَ هَذَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ② وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ④
وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦
فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ⑩
كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ⑪ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ⑫
فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ⑬
فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَحَسَّوْنَهَا ⑭
وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ⑮

أقسم تعالى بهذه الآيات العظيمة، على النفس المفلحة، و غيرها من النفوس
الفاجرة، فقال:

(وَالشَّمْسِ) الاعجاز العلمي من هنا

(وَضُحَاهَا)

* الميسر: و نهارها و إشراقها ضحى

أي: نورها، ونفعها الصادر منها.

(وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا)

أي: تبعها في المنازل و النور .

(وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا)

أي: جلى ما على وجه الأرض و أوضحه .
***أضاء

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا)

أي: يغشى وجه الأرض، فيكون ما عليها مظلمًا .
فتعاقب الظلمة و الضياء ،
و الشمس و القمر، على هذا العالم، بانتظام و إتقان،
و قيام لمصالح العباد،
أكبر دليل على أن الله بكل شيء عليم، و على كل شيء قدير،
و أنه المعبود وحده، الذي كل معبود سواه فباطل .

(وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا)

***كقوله {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} أي: بِقُوَّةٍ
{وَأَنَّا لَمُوسِعُونَ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ} [الذَّارِيَاتِ: 47، 48] .
١ - يحتمل أن « ما » موصولة، فيكون الإقسام بالسماء و بانيها،
الذي هو الله تبارك و تعالى،

٢ - و يحتمل أنها مصدرية، فيكون الإقسام بالسماء و بنيانها،
الذي هو غاية ما يقدر من الأحكام و الإتقان و الإحسان،

و نحو ذلك قوله:

(وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّهَا)

أي: مدّها و وسعها،

فتمكن الخلق حينئذ من الانتفاع بها، بجميع وجوه الانتفاع.

***دحاها و قيل خلق فيها

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا)

1-يحتمل أن المراد نفس سائر المخلوقات الحيوانية،

كما يؤيد هذا العموم،

2-و يحتمل أن المراد بالإقسام بنفس الإنسان المكلف،

بدليل ما يأتي بعده.

و على كل، فالنفس آية كبيرة من آياته التي حقيقة بالإقسام بها

فإنها في غاية اللطف و الخفة، سريعة التنقل و الحركة و التغير و التأثير

و الانفعالات النفسية، من الهم، و الإرادة، و القصد، و الحب، و البغض،

و هي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه،

و تسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة.

***خَلَقَهَا سَوِيَّةً مُسْتَقِيمَةً عَلَى الْفِطْرَةِ الْقَوِيَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ

اللَّهِ } [الرُّوم: 30]

صحيح البخاري

1358 - ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَانَ يُحَدِّثُ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :
 «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ
 يُمَجِّسَانِهِ ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ» ،
 ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا }
 [الروم: 30] (الآيَة)
 و قوله:

فَالْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا
 ***فَأَرْشَدَهَا إِلَى فُجُورِهَا وَتَقْوَاهَا،
 أَي: بَيَّنَّ لَهَا ذَلِكَ، وَ هَدَاهَا إِلَى مَا قُدِّرَ لَهَا.
 مسند أحمد مخرجا 19936 -

(لغية) من الغواية وهي الضلالة أي كل مولود يصى عليه إذا كان أحد أبويه مسلما ظاهرا
 وإن كان مولودا من كافرة أو زانية أو نحوهما.
 (فطرة الإسلام) ملته وطريقته.
 (استهل صارخا) علمت حياته عند الولادة بصراخ أو غيره.
 (سقط) جنين سقط قبل تمامه.
 (يهودانه أو ينصرانه أو مجسانه) يجعلانه يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا حسب ملتهم
 بترغيبهما له في ذلك أو بتبعيته لهما.
 (تنتج البهيمة) تلد الدابة العجماء.
 (بهيمة جمعاء) تامة الأعضاء مستوية الخلق.
 (تحسون) تبصرون.
 (جدعاء) مقطوعة الأذن أو الأنف أو غير ذلك أي إن الناس يفعلون بها ذلك فكذاك يفعلون
 بالولود الذي يولد على الفطرة السليمة.
 (اقرؤوا إن شئتم) أن تتألدوا هذا المعنى.
 (فطرة الله) ملة الإيمان والتوحيد ومعرفة الخالق سبحانه.
 (فطر الناس) خلقهم. (الآية) الروم 30]

عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدِّيَلِيِّ قَالَ: غَدَوْتُ عَلَى عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فَقَالَ: يَا أَبَا الْأَسْوَدِ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ،

أَنَّ رَجُلًا مِنْ جُهَيْنَةَ أَوْ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ؟
شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ فِي قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ.
أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ،
وَأَخَذْتُ عَلَيْهِمْ بِهِ الْحُجَّةَ.
قَالَ: «بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى عَلَيْهِمْ» .
قَالَ: فَلِمَ يَعْمَلُونَ إِذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ: " مَنْ كَانَ اللَّهُ خَلَقَهُ لَوَاحِدَةٍ مِنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ يَهَيِّئُهُ لِعَمَلِهَا،
وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ،

{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} [الشمس: 8] "

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)

أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، و رقاها بطاعة الله،
وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح.

*** يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ،
أي: بِطَاعَةِ اللَّهِ -وَطَهَّرَهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الدَّنِيَّةِ وَ الرَّذَائِلِ.
وَ كَهْوَلِهِ: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} [الأعلى: 14، 15] .

(وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)

أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها و إخفائها،
بالتدنس بالردائل، و الدنو من العيوب، و الاقتراف للذنوب،

و ترك ما يكملها و ينميها، و استعمال ما يشينها و يدسيها.
 ***دَسَّسَهَا، أَي: أَخْمَلَهَا وَ وَضَعَ مِنْهَا بِخِذْلَانِهِ إِيَّاهَا عَنِ الْهَدْيِ،
 حَتَّى رَكِبَ الْمَعَاصِيَ وَ تَرَكَ طَاعَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
 وَ قَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى:
 قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى اللَّهُ نَفْسَهُ، وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّى اللَّهُ نَفْسَهُ،
 ***صحيح مسلم

(2722) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ:
 «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ
 الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا،
 أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا،
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ،
 وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا» ()
(كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَنِهَا)

أي: بسبب طغيانها و ترفعها عن الحق، و عتوها على رسل الله .

(إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا)

(زكها) أي طهرها

(خير) لفظة خير ليست للتفضيل بل معناها لا مزكي لها إلا أنت كما قال أنت وليها (ومن)
 نفس لا تشبع) معناها استعاذة من الحرص والطمع والشره وتعلق النفس بالآمال البعيدة هذا
 الحديث وغيره من الأدعية المسجوعة دليل لما قاله العلماء إن السجع المذموم في الدعاء هو
 المتكلف فإنه يذهب الخشوع والخضوع والإخلاص ويلهي عن الضراعة والافتقار وفراغ القلب
 فأما ما حصل بلا تكلف ولا إعمال فكر لكمال الفصاحة ونحو ذلك أو كان محفوظا فلا بأس به
 بل هو حسن]

أي: أشقى القبيلة،

و هو « **قدار بن سالف** » لعقرها حين اتفقوا على ذلك، وأمره فأتهم لهم.

*** وَ هُوَ الَّذِي قَالَ تَعَالَى: { **فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ** } [القَمَرِ: 29] .

وَ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ عَزِيزًا فِيهِمْ، شَرِيفًا فِي قَوْمِهِ، نَسِيبًا رَئِيسًا مُطَاعًا،

***صحيح البخاري

4942- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ، وَذَكَرَ النَّاقَةَ

وَالَّذِي عَقَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

{ **إِذَا انْبَعَثَ أَشْقَاهَا** } [الشمس: 12]

انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ، مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ "

(**فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ**)

صالح ﷺ محذرًا:

(**نَاقَةَ اللَّهِ**)

أي: احذروا عقر ناقة الله، التي جعلها لكم آية عظيمة،

ولا تقابلوا نعمة الله عليكم بسقي لبنها أن تعقروها، فكذبوا نبيهم صالحًا.

(**وَسُقَيْنَهَا**)

*** لَا تَعْتَدُوا عَلَيْهَا فِي سُقْيَاهَا، فَإِنَّ لَهَا شَرْبُ يَوْمٍ وَلَكُمْ شَرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ.

(**فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا**)

(**فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ**)

* الجزائري: اطبق عليهم العذاب فأهلكهم.

أي: دمر عليهم و عمهم بعقابه،
و أرسل عليهم الصيحة من فوقهم،
و الرجفة من تحتهم،
فأصبحوا جاثمين على ركبهم، لا تجد منهم داعيًا و لا مجيبًا.

(فَسَوَّيْنَاهَا)

عليهم أي: سوى بينهم بالعقوبة .

(وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا)

أي: تبعثها.

و كيف يخاف من هو قاهر، لا يخرج عن قهره و تصرفه مخلوق،
الحكيم في كل ما قضاه و شرعه؟

92- تفسير سورة و الليل- و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ① وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③

إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ④ فَمَا مِّنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ⑤ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى ⑥ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ⑦

وَمَا مِّنْ يُّجَلِّ وَاسْتَفْعَى ⑧ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ⑨ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ⑩

وَمَا يَنْفَعِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ⑪

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَلِإِنَّا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾

هذا قسم من الله بالزمان الذي تقع فيه أفعال العباد على تفاوت أحوالهم،

فقال: **(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ)**

أي: يعم الخلق بظلامه، فيسكن كل إلى مأواه و مسكنه،
و يستريح العباد من الكد و التعب.

(وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ)

للخلق، فاستضاءوا بنوره، و انتشروا في مصالحهم.

(وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ)

1- إن كانت « ما » موصولة، كان إقسامًا بنفسه الكريمة الموصوفة،

بأنه خالق الذكور و الإناث،

2- و إن كانت مصدرية، كان قسمًا بخلقه للذكر والأنثى،

و كمال حكمته في ذلك أن خلق من كل صنف من الحيوانات التي يريد

بقاءها ذكرًا و أنثى، ليبقى النوع و لا يضمحل،

و قاد كلا منهما إلى الآخر بسلسلة الشهوة،

و جعل كلا منهما مناسبًا للآخر، فتبارك الله أحسن الخالقين.

*** كَقَوْلِهِ: {وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا} [النَّبَأ: 8] ،

وَ كَقَوْلِهِ: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ} [الذَّارِيَات: 49] .

و لَمَّا كَانَ الْقَسَمُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَضَادَّةِ كَانَ الْقَسَمُ عَلَيْهِ أَيْضًا مُتَضَادًّا؛

وَلِهَذَا قَالَ: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} أَيُّ: أَعْمَالُ الْعِبَادِ الَّتِي اكْتَسَبُوهَا مُتَضَادَّةٌ أَيْضًا وَمُتَخَالِفَةٌ، فَمِنْ فَاعِلٍ خَيْرًا وَمِنْ فَاعِلٍ شَرًّا.

و قوله: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى}

هذا هو المقسم عليه أي:

إن سعيكم أيها المكلفون لمتفاوت متفاوتا كثيرا،

و ذلك بحسب تفاوت نفس الأعمال ومقدارها والنشاط فيها،

و بحسب الغاية المقصودة بتلك الأعمال،

هل هو وجه الله الأعلى الباقي؟

فيبقى السعي له ببقائه، و ينتفع به صاحبه،

أم هي غاية مضمحلة فانية، فيبطل السعي ببطانها، و يضمحل باضمحالها؟

و هذا كل عمل يقصد به غير وجه الله تعالى، بهذا الوصف،

و لهذا فصل الله تعالى العاملين، و وصف أعمالهم، فقال:

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى)

أي ما أمر به من العبادات المالية: -

كالزكوات، والكفارات و النفقات، و الصدقات، و الإنفاق في وجوه الخير،

و العبادات البدنية: -

كالصلاة، و الصوم و نحوهما

و المركبة منهما: -

كالحج و العمرة و نحوهما

(وَأَتَّقِ)

ما نهى عنه، من المحرمات و المعاصي، على اختلاف أجناسها.

(وَصَدَقَ بِالْحَسَنِ)

أي: صدق بـ « لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » و ما دلت عليه،

من جميع العقائد الدينية، و ما ترتب عليها من الجزاء الأخروي.

(فَسَيِّسِرُهُ لِلْيَسْرِ)

أي: نسهل عليه أمره، و نجعله يسيراً له كل خير، يسيراً له ترك كل شر،
لأنه أتى بأسباب التيسير، فيسر الله له ذلك.

(وَأَمَّا مَنْ يَخُلْ)

بما أمر به، فترك الإنفاق الواجب و المستحب،

و لم تسمح نفسه بأداء ما وجب لله،

(وَأَسْتَفِنَ)

عن الله، فترك عبوديته جانباً،

و لم ير نفسه مفتقرة غاية الافتقار إلى ربها،

الذي لا نجاة لها و لا فوز و لا فلاح، إلا بأن يكون هو محبوبها و معبودها،

الذي تقصده و تتوجه إليه.

(وَكَذَبَ بِالْحَسَنَى)

أي: بما أوجب الله على العباد التصديق به من العقائد الحسنة.

(فَسَنِيَسِرُهُ لِلْعَسْرَى)

أي: للحالة العسرة، و الخصال الذميمة،

بأن يكون ميسراً للشر أينما كان،

ومقيضاً له أفعال المعاصي، نسأل الله العافية.

*** لطريق الشر كما قَالَ تَعَالَى:

{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ

يَعْمَهُونَ} [الأنعام: 11]

وَ الْآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ دَالَّةٌ :

عَلَى أَنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، يُجَازِي مَنْ قَصَدَ الْخَيْرَ بِالتَّوْفِيقِ لَهُ،

وَمَنْ قَصَدَ الشَّرَّ بِالْخِذْلَانِ.

وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدَرٍ مُقَدَّرٍ، وَالْأَحَادِيثُ الدَّالَّةُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ:

*** صحيح البخاري

4945 - عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فِي جَنَازَةٍ، فَقَالَ:

«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ،

وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ»،

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟

فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيَسَّرٍ» ثُمَّ قرأ:

{قَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} [الليل: 6] إِلَى قَوْلِهِ

{لِلْعُسْرَى} [الليل: 10]،

وتتمة الآيات {فسنيسره ليسرى} وهي العمل الذي يرضاه الله تعالى
{وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى. فسنيسره للعسرى}
أي والذي أمسك عن الإنفاق واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة ولم يصدق
بجزيل الأجر والعطاء عند الله عز وجل فإننا نهد له الطريق الموصول إلى الشقاوة
حسبما اختار لنفسه.

(وَمَا يَفْنَى عَنْهُ مَالُهُ)

الذي أطغاه واستغنى به، وبخل به

(إِذَا تَرَدَّى)

إذا هلك و مات، فإنه لا يصحبه إلا عمله الصالح .
و أما ماله الذي لم يخرج منه الواجب فإنه يكون وبالا عليه،
إذ لم يقدم منه لآخرته شيئاً.
*** إِذَا تَرَدَّى فِي النَّارِ.

(إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَى)

أي: إن الهدى المستقيم طريقه، يوصل إلى الله، و يدني من رضاه،
و أما الضلال، فطرق مسدودة عن الله،
لا توصل صاحبها إلا للعذاب الشديد.
*** نُبَيِّنُ الْحَلَالَ وَ الْحَرَامَ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ الْهُدَى وَصَلَ إِلَى اللَّهِ. وَ جَعَلَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} [التَّحْلِ: 9] .

(وَلَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى)

ملكاً و تصرفاً، ليس له فيهما مشارك،
فليرغب الراغبون إليه في الطلب، و لينقطع رجائهم عن المخلوقين.

(فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى)

أي: تستعر و تتوقد.

***سنن الدارمي

2854 - عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ:
«أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ»
فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى لَوْ كَانَ فِي مَقَامِي هَذَا، لَسَمِعَهُ أَهْلُ السُّوقِ،
حَتَّى سَقَطَتْ خَمِيصَةٌ كَانَتْ عَلَيْهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ
***صحيح البخاري

6561 - عَنْ النُّعْمَانِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:
«إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ، تَوَضَّعَ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ
جَمْرَةً، يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ» ()

(أخمص قدميه) المتجافي عن الأرض من الرجل عند المشي.
[جمرة] قطعة من النار ملتهبة]

تأملات إيمانية في سورة الشمس

د. سلامه عبد الهادي

أستاذ في علوم إدارة الطاقة وعميد سابق للمعهد العالي للطاقة بأسوان

ونقف اليوم أمام أول آيات من سورة الشمس ... وفيها توجيه من الخالق أن ينظر الإنسان إلى آيات الله في الآفاق وفي نفسه .. آيات حددها الخالق في تسلسل إلهي حكيم من تدبير رب العالمين .. حيث جاء يقول الحق: والشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها، والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها، والسماء وما بناها، والأرض وما طحاها، ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، و قد خاب من دسها ...

هكذا تبدأ السورة الكريمة بكلمة الشمس وسميت كذلك بالشمس، فالشمس هي النجم الذي تدور حوله وتتعلق به أرضنا في الفضاء، بخيوط تجذبها إليها، خيوط لا نراها ولكن نؤمن بوجودها، أطلق عليها العلماء خيوط الجاذبية ، وحاولوا أن يجدوا لها القوانين التي تحدد قيمتها على هذا الأساس، ولكن من الذي سن هذه القوانين وأخضع لها الأرض والشمس ... لا سبيل للأرض أن تظل سابحة هكذا في الفضاء وتدور حول الشمس بهذه الدقة والاستقرار سوى التسليم بأن لها خالقا قدر مقاديرها ودبر أمرها وأخضعها لطاعته وقوانين رحمته ... ويطلق العلماء على الشمس ومجموعة الكواكب التي تدور حولها ومنها الأرض ككوكب من كواكبها اسم "المجموعة الشمسية" ... وتملك الشمس وحدها كتلة تعادل 99.86% من كتلة المجموعة الشمسية .. ولا تتعدى أرضنا أكثر من 0.00003 من كتلة هذه المجموعة ..

لهذا يأتي أول قسم بها في هذه السورة الكريمة .. وكذلك لترتيبها في الخلق

، حيث يعتقد العلماء أن الكواكب التي تدور حول الشمس كانت جزئياً منها ثم انفصلت عنها ..

أي أن خلق الشمس جاء قبل خلق كل الكواكب بما فيها القمر و الأرض .. وبهذا يمكن أن نعتبر الشمس هي الأم لكل هذه الكواكب، فمنها جاء خلقهم عندما انفصوا عنها، ثم هي الحاضنة لهم، يدور الجميع في كنفها ولا تستقر حركتهم في هذا الكون الفسيح إلا من حولها ..

كما أثبت العلم أن هناك انطلاقة مستمرة للطاقة من الشمس نتيجة لتفاعلات نووية تجري بداخلها بصورة مستمرة ومستديمة ويتم من خلالها دمج نواتي ذرتين من الهيدروجين لتكوين ذرة واحدة من غاز الهيليوم الأقل وزناً من ذرتي الهيدروجين ..

ويتحول فرق هذه الكتلة إلى طاقة حرارية تصدرها الشمس .. فتبعث إلى من حولها الدفء والقدرة على الحركة .. ونجد أنه في كل ثانية تتحول ملايين الأطنان من كتلة الشمس إلى طاقة تبعثها الشمس باستقرار وثبات واستدامة إلى كواكبها ومنهم الأرض .. والضح هو البذل أو العطاء كما يعرفه علماء اللغة ..

بذل تهبه وتعطيه الشمس في فترات الضحى في كل بقعة تديرها من بقاع الأرض على مدار اليوم الكامل .. كل بقعة لها حينها وتوقيتها ونهارها .. وبالقطع فإن ضحى الشمس أو تضحيتها تنقص من عمرها، وقد قدر العلماء أن عمر الشمس حوالي 4.57 مليار عام .. وأنها قضت نصف هذا العمر تقريباً وباقي النصف الآخر ..

هكذا نجد شمسنا في ضحاها أو تضحيتها تمنح ما لديها من كتلتها
ومحتواها من أجل استمرار حياة و دفع لمن تحضنهم من حولها، طاعة
وامثالاً لأمر خالقها ومدير أمرها ..
وما أوقات الضحى التي ننعيم بها على الأرض سوى استنزافاً من كتلة
الشمس وتكوينها وتعجيلاً بنهايتها وانتهاء عمرها ..
هكذا جاء استكمال قسم الخالق في أول هذه السورة الكريمة بالشمس أولاً
ثم بضحاها ..
إنها إشارة تثير في العقل تدبر لا ينتهي في أسرار هذا الكون ..
من أوجد هذه الشمس لتحضن أرضنا وتضحى من أجلها بهذا الثبات
والاستقرار؟
ثم ما الذي علقها في هذا الكون رغم هول حجمها وضخامة كتلتها ..
ثم كيف استقرت التفاعلات داخلها بالرغم من هولها بهذا الكمال وهذه
الدقة ..
من حدد لها هذه الكتلة وهذا الحجم وهذه المعدلات وهذه الدرجات
بحيث لا تتغير ولا تتبدل على مدى الملايين من السنين والقرون والدهور ...
إن في مجرتنا أكثر من بليون نجم مثل الشمس،
ولكن ليس لأي منها هذا الثبات والاستقرار مثل ما للشمس من ثبات
واستقرار ..
فأي نجم يزيد حجمه أو كتلته عما للشمس من حجم وكتلة وكثافة، يقصر
عمره ولا يسمح للكواكب أن تستقر حركتها من حوله ،
ولكن يضمها إليه وتذوب في أحشائه ..
وإذا قلت هذه المقادير تتكاسل معدلاته وتتوه الكواكب من حوله ..
ولكن الله خص نجماً أو شمسنا بالمعدلات التي تستقر بها معدلاتها
وحركات الكواكب من حولها ..

إنها إرادة خالقها الذي ينبهنا إلى أن نتدبر هذا القسم الإلهي الذي يستفتح به هذه السورة المسماة باسمها.

ثم نأتي إلى الآية التالية ..

توجيه آخر صادر من الخالق كي نتدبر آيات أخرى جاءت في كتابه كي نقرأ بها آيات الكون من حولنا ..

فنحن أمة اقرأ الذي كانت أول كلمة أوحى بها إلى رسول الله

و بها بدأ الوحي ينزل من السماء على خاتم المرسلين ..

نأتي إلى قسم الحق بظاهرة كونية أخرى تلت الشمس وتبعتها، حيث يقول الحق "والقمر إذا تلاها" ..

من الثابت علمياً أن صخور القمر أقدم من صخور الأرض،

لهذا فمن المحتمل أن خلق القمر قد جاء تالياً لخلق الشمس، وقبل خلق الأرض ..

ولهذا جاء ترتيبه بعد الشمس وقبل الأرض في الآيات ..

ثم أن القمر كرة من الصخور المعتمدة غير القادرة على أن تشع نوراً من تلقاء نفسها ..

ولكنه يستمد نوره من ضياء الشمس الساقط عليه،

ولهذا يعد هذا الكوكب تابعا أو تالياً للشمس فيما يرسله إلى الأرض من نور .. وهذا ما تنص عليه الآية في حكمة وعلم ربانيين ..

والقمر في ترتيب أفلاكه وتحوله من المحاق إلى الهلال ثم إلى البدر ثم رجوعه إلى هذه الدورات مرة كل شهر يعتمد على تداخل حركته حول الأرض مع حركتهما معاً حول الشمس ..

فهو تالياً أيضاً للشمس في حركته مع الأرض من حولها ..

ثم إن القمر بالرغم من حركته المركبة حول الأرض ومع الأرض حول الشمس إلا أنه تبعيته للشمس تبعية كاملة فهو يواجه الشمس بوجهه الثابت الذى لا يتغير على مر الأيام و الشهور و الأعوام ..

لهذا فهو تابع أو تال مطيع للشمس فى نوره وحركاته واستقراره .. وهذا الوجود والظهور والنور للقمر مشروط بالتزامه فى تبعيته للشمس إتباعاً كاملاً عبرت عنه الآية الكريمة بهذا اللفظ المشروط "إذا تلاها" .. هذا الشرط ندرك كنهه

إذا ما علمنا أن القمر كتلة هائلة من الصخر يبلغ قطرها حوالي 3250 كيلومتراً أى بلايين حجم أى قمر صناعي و يبعد عن الأرض مسافة 384000 كيلومتراً .. أى آلاف المرات مثل بعد أى قمر صناعي ..

ويعجز البشر حتى عصرنا هذا عن الاحتفاظ باستقرار حركة هذه الضالات التي يطلقون عليها الاسم أقماراً سوى فترات قصيرة لا تزيد عن العام الواحد ... بالرغم من متابعتها بأجهزة التحكم وتصحيح المسارات وبما فيها من أجهزة إمداد للطاقة وأجهزة تصحيح المسارات،

وبالرغم من سهولة حركة هذه السفن إذا قيست بحركة القمر .. حيث نرى القمر مانحاً لضياءه ويتغير شكله أو تتبدل منازل كل يوم عن اليوم السابق له فى حركة منتظمة و ثابتة تتكرر كل شهر على مدى القرون و الدهور ...

كيف استقرت الشمس ثم كيف استقر القمر فى مداراتهما وضيائهما ونورهما ... هكذا جاء هذا الإعجاز بهذا القسم لرب العالمين لعرض ظاهرتين كونيتين تدلان على حكمة خالقهما وعلم وقدرة مدبر أمرهما .. وهذا بأدق الكلمات وأحكم العبارات لكل ما يمكن أن تدركه عقولنا

وتستوعبه علومنا .. فتوقظ هذه العقول وتتنبه أن لها ربا دبر كل شيء
وقدر كل شيء بكل هذه الحكمة وهذه القدرة وهذا العلم .. رباً عزيزاً
قديراً حكيماً رحيماً أنزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين نذيراً.

ثم تتوالى الآيات والمعجزات فيوجهنا القسم التالى لرب العالمين عن النهار
الذي يجلى ضياء الشمس وعطائها ..
والنهار في أي بقعة من بقاع الأرض هو تلك الفترة التى تستمتع فيه تلك
البقعة بدفء الشمس وسطوعها ..
والتجلي هو التعاضم حيث يجعل الخالق للشمس شأنًا عظيمًا في ساعات
النهار عند كل بقعة سطعت عليها بما تفيضه الشمس من ضياء يبدد
الظلمات كي يمارس الناس نشاطهم و عملهم وحياتهم ..
وهذا التجلي للشمس مشروط بما هيأه الخالق للشمس من أسباب حتى
يكون لها هذا التجلي في ساعات النهار، ..
فلو جاء خلق الأرض من مواد تمتص أشعة الشمس كلها لما تجلت الشمس
عند سطوعها .. فعندما نرى الرمال صفراء،
يجب أن ندرك أن هذه الرمال امتصت جميع أشعة الشمس وألوان الطيف
فيها كي تعطي الأرض هذا الدفء بما اختزنته داخلها من هذه الطاقة ..
ولكنها تعكس لأعيننا موجات الشمس التي نراها باللون الأصفر ..
وبانعكاس هذه الموجات نرى كل شيء من حولنا .. وكذلك ..
عندما ننظر إلى البحار و تراها زرقاء، بالرغم من شفافية مياهها،
فهذا لأن هذه البحار أيضا امتصت من الشمس جميع الألوان وجميع
الإشعاعات الحرارية التي سقطت عليها من الشمس لتعطي الدفء
لمخلوقاتها البحرية و نباتاتها المائية،

ثم تعكس لنا قدراً بسيطاً من هذه الأشعة كي نرى البحار ونميز المخلوقات بداخلها، وهذا القدر تراه أعيننا التي صمم الخالق خلايا شبكيته باللون الأزرق، فنرى البحار ونرى كل شيء حول البحار بما عكسته من أشعة وضيء للشمس ..

وإذا رأيت السماء زرقاء أيضاً بالرغم من شفافية الهواء، فهذا لأن هناك ذرات بعض الغازات في الهواء لها القدرة على امتصاص الأشعة قصيرة الطول مما ترسله الشمس خلالها من أشعة، وهي الأشعة التي تسبب اللون الأزرق في أعيننا ..

ثم تعاود هذه الذرات إشعاعها مرة أخرى فنرى بها السماء زرقاء أو حمراء بحسب ما تمتصه ثم تشعه هذه الذرات ...

ولو شاء الخالق أن تمتص هذه الرمال والبحار والسماء كل أشعة الشمس ولا تعكس منها شيئاً لرأينا صحراء قائمة وبحار سوداء و سماءً مظلمة .. أي كوناً معتماً طوال ساعات النهار ..

أي نهاراً لا يعطى قيمة أو قدراً للشمس ..

فلا تظهر هذه المنظومة من ألوان الطيف من حولك ساعات السحر و الضحى .. لن تكون هناك هذه العظمة أو التجلي لساعات الشمس في نهارها ..

و هناك نعمة أخرى .. فلو لم يخلق الله أعيننا بحيث ترى في المجال الذي تبعث الشمس ضياؤها من خلاله، أي الموجات الكهرومغناطيسية التي ينحصر طولها من 0.3 ميكرون و حتى 0.7 ميكرون،

لأشرقت الشمس وغربت دون أن نشعر بها أو يكون لنا نهار يختلف عن الليل ..

وهذا ما يحدث للعقارب والخفافيش التي قدر لها الله ألا ترى شيئاً بنور الشمس .. فالنهار الذي يجلى الشمس و يجعل لها قدرا في عيوننا جاء بتدبير إله قدير ،

حدد الأطوال و خصص الصفات و صمم الأعين و دبر الانعكاسات و قدر الامتصاصات و هيا القوانين و دبر الساعات و أحاط بالظلمات .. و لهذا أتى الحرف "إذا" قبل كلمة "جلاها" ..
فهذا التجلي مرتبط بإرادته و حكمته و رحمته و قدرته هو لا أحد سواه الذي أتاح لهذا النهار أن يجلى الشمس و يعظم من شأنها و يرفع قدر ضحاها و توضيحيتها ... شمس تشع ما تراه الأعين و أسطح تعكس ما تدركه الأعين و عقل يترجم ما يصل إلى الأعين .. عبرت عنه كلمتين "إذا جلاها".

ثم نأتي إلى الآية التالية و يأتي فيها ذكر الليل أو ظلام الكون الذي يغشى شمسنا و كل شيء من حولنا ..
و كما نعلم أن في السماء عددا هائلا من النجوم يزيد عن عدد الرمال في الصحراء .. منها ما يزيد في حجمه عن الشمس ملايين المرات ..
و لو اقتربت هذه النجوم من شمسنا لابتلعته و كدرت سكون ليلها ..
ولكن الخالق أبعد كل هذه النجوم عنا أبعداً تصل إلى ملايين السنين،
و احتفظ لسمائنا بظلامها .. ظلام يغلف شمسنا و أرضنا،
وهذا رحمة منه و فضلاً، فلا شمس غير شمسنا في سمائنا القريبة منا ..
وقد جاء الحرف "إذا" أيضاً في هذه الآية مشروطاً بما قدره الله للشمس من مواقع أقصا بها عنا باقي النجوم ..
و قدر لأفلاكها أن تبتعد عنا بهذه المسارات القاصية الأبعاد ..

فنحن نسبح في ليل وظلام ممتد في أبعاد سحيقة قدره لها رب العالمين ..
وهذا الظلام استطاع أن يراه الآن رواد الفضاء عندما يخرجون بسفنهم
خارج مجال الأرض ..
حيث يرون الظلام يغلف كل شيء في هذا الكون من حولنا ...
فهو يغلف الشمس و يغلف الأرض و يغلف القمر ..
وكل ما يرونه مضيئاً هو قرص الشمس سابحاً في الظلام ..
ثم وجه الأرض الذي يسطع عليه ضياء الشمس و يتجلى فيه نهارها ..
وهذا الظلام الذي يغشى شمسنا مرتبط بأشعة الشمس لا يحيط بها
هواء يعكس أشعتها ، وإلا لتبدد هذا الإشعاع قبل أن يصل إلينا عبر
ملايين الكيلومترات التي تقطعها أشعة الشمس قبل الوصول إلى الأرض ..
إنها خصائص المادة التي تفصل بين الأرض و الشمس ..
ويطلق عليها العلماء إسم الأثير .. ما هو هذا الأثير ..
وكيف تنتقل من خلاله إشعة الشمس دون أن تتأثر بها وتبخر الفضاء من
حولها فلا تغشاها هذه الظلمة الموحشة لمن يرتاد السماء وينظر إليها ..
هل هناك مادة اسمها الأثير حقاً أم هي من صنع خيال العلماء ..
ولو كان لا وجود لهذه المادة .. فخلال أى شيء يمكن أن تنتقل أشعة
الشمس .. وكيف يفصل بين الأرض و السماء فراغاً ضغطه صفر ..
أى فراغ كامل .. وهل يستقيم مع هذا الفراغ الكامل استقرار الأرض
والشمس في الكون دون أن ينضمان إلى بعضهما البعض ..
هكذا نصل إلى أننا كلما اقتربنا من حقيقة يمكن أن تدركها عقولنا آمناً أن
هناك الكثير لا نستطيع أن ندركه .. عقولنا محدودة وعلومنا محدودة ..
فهذا الأثير الذي يفترض العلماء وجوده لا يستطيع أحد أن يتخيله ..
ولهذا جاء قسم الحق بهذا الظلام الذي يغشى الشمس وسمائها ..

ظلام أو ليل ارتبط بقدرته و قوانينه وعلمه وحكمته وأسراره التي لا ولن
نعلم عنها شيئاً .. هكذا جاء قسم الحق المرتبط بإرادته لأنه أرادها هكذا
في الحرف "إذا" و في هذا القسم .. "والليل إذا يغشاها" ...

إن من ينظر إلى الآيات السابقة وينظر كيف وضعت كل هذه الحقائق عن
ظلمة الكون التي تغطي كل شيء بما فيها الشمس
ثم كيف خص الله الأرض بأن تتجلى الشمس في الجزء الذي تضح عليه
أشعتها في ساعات النهار، حقائق لم نعلم عنها شيئاً إلا بعد أن ذهب
رواد الفضاء و صوروا لنا الشمس سابحة في بحر الظلام و لا يبدد هذا
الظلام إلا وجه الأرض المضيء ..
لقد جاء ذكرها بكل البساطة والإعجاز العلمي والبلاغي والجمالي .. إنه
إعجاز خالقها ومدبر أمرها .. لا أحد سواه.

و بعد أن أقسم الحق بالشمس وضحاها وقمرها والظلمة من حولها،
يقسم الحق بالسماء التي تعلقت فيها هذه الشمس بكواكبها وأرضها
وقمرها، وتعلقت فيها هذه الأبراج بشموخها واستقرارها ...

ثم يقسم باستفسار رباني: ما بناها ؟ ..
كيف استطاعت أن تحمل كل هذه الأوزان والأثقال ..
كيف تم بناؤها لتحمل وزن الشمس بداخلها والذي يصل إلى ملايين و
ملايين وزن الأرض ..

ثم هذه الأبراج التي تحتل داخلها أبعادا تصل إلى ملايين ملايين السنين
الضوئية .. ما هي القوة وراء بنائها بهذا الإبداع والكمال والجمال ..
ما هي الحكمة وراء حسابات تماسكها بهذا الجمود والإتقان ...

ما هي القدرة وراء بقائها كل هذه البلايين من السنين دون أن تنهار كما تنهار المباني بعد مئة أو ألف عام ..

كيف بنيت وكيف استقرت و كيف أبدعت وكيف توافقت ...
أسئلة يثيرها الحق بهذا الاستفسار المعجز عن أسرار لا يعلمها أحد إلا هو .. وبالرغم من ادعاؤنا أننا في عصر العلم ..
إلا إنه لا أحد يعلم منا حقاً "ما بناها" سوى أنها من أسرار الخالق الذي يعلم كيف بناها وما بناها .. لهذا يقسم الحق بهذا القسم عن حكمة و قدرة و علم و يقين بمدى عظمة هذا البناء الذي لا يعلم سره إلا هو ..

.. هذا ما كان من أمر القسم بالسماء و ما بناها ...
ثم يأتي إلى قسم تالي .. قسم بالأرض ..

هذا الكوكب الذي اختصه الرحمن باحتضان حياة الإنسان عليه ..
كوكب لم يتيسر لسواه كل الأسباب والمقومات التي تقيم الحياة عليه ...
وزنه وحجمه وطبيعته وكثافته وعناصره ورماله وجباله وهواؤه وماؤه
وبحاره وسحبه ومحيطاته وشمسه وقمره وأفلاكه وأفلاك ما حوله وزواياه
وأبعاده ودوراته ومساراته

ولقد قال العلماء كي نجد الحياة على كوكب آخر في الكون كله يجب أن
تكون له نفس هذه المحددات التي ذكرتها ومحددات أخرى غفلت عن
ذكرها .. لهذا يأتي قسم الحق بهذه الأرض ..

ثم بهذا الاستفسار الإلهي الذي لا نعرف له سبباً .. ما طحاها ؟ ..
و الطحو هو الدحو أو الإنتشار والانطلاق في هذا الكون حيث تدور الأرض
حول نفسها مرة واحدة كل أربع وعشرون ساعة وحول شمسها مرة كل
365.25 في دائرة يصل مسارها إلى ملايين الكيلومترات دون توقف أو
انقطاع .. وكلمة أطاح بالشيء أي أطلقه

ومن كلمة طحاها اشتقت آلة الطاحون التي تدور وتدور بانتظام واستقرار .. فتتوزع الأعلاف بالتساوى بين رحاها دون اختلاف .. وهكذا في الأرض في طحاها وانطلاقها ودورانها حول نفسها يتوزع الدفء بين جنباتها

ويتمثل ضغط الهواء في غلافها والرياح على أطرافها والمياه والمجالات في جوفها ..

ولكن ما هي القوة التي تدفعها بحيث تستمر طوال عمرها في هذا الطحو أو الدحو ..

من أين جاء العلم الذي قدر هذه الأبعاد وما هو مبعث الحكمة التي قدرت هذه السرعات و الزويا و المعدلات حتى تستقر الحياة على وجه الأرض بدرجات حرارة و ضغوط و اتزان و انسجام و التزام و كمال و جمال ..

كل هذا عبرت عنه الآية في استفسار بكلمتين "ما طحاها" .. وفي الآية السابقة عن السماء "ما بناها" ..

لا رد أمامنا سوى إنها حكمتك أيها الخالق العظيم وقدرتك أيها الرب الرحيم .. لهذا جاء قسمك بشيء لا نعلم أسرارهِ وأنت وحدك العليم به .. ومهما حاولت النظريات وافترضت الفرضيات ،

فما زال العلم عاجزاً عن أن يتناول إلى حدودنا التي حددتها لعقولنا ومداركنا .. حقاً ما بناها وما طحاها .. إنها مقابلة و انسجام و تسلسل منطقي .. فبدون السماء وبنائها وامتدادها .. ما كان للأرض انطلقها و طحوها ..

ثم نأتى إلى القسم الأخير في سلسلة هذه الاستفسارات..

" و نفس و ما سواها" .. إنه قسم بالنفس البشرية.. لغز الألغاز..
ولن أخوض في النفس البشرية وأعماقها ..
فحديثي ينصب على آيات الحق في الآفاق .. أما في أنفسهم ..
فلها رجالها .. ولكن أحاول أن أقف أمام استفسار الحق "و ما سواها" ..
أنه استفسار عن أسرار حار العلماء في معرفتها ..
هل جبلت النفس البشرية على الشر ...
و ما هي النفس و كيف استوت .. الجواب واضح في الآية التالية
لقسم الحق .. "ونفس وما سواها، فآلهمها فجورها وتقواها"..
أن الله خلق الأنفس جميعا على الفطرة .. نفساً سوية ..
فالنفس البشرية جسد له رغباته ونزعاته وشهواته ..
ثم نفخة روحانية لا ندري كنهها
لأنها من روح الله في جميع البشر منذ أن خلق الله سبحانه و تعالى آدم أبو
البشر ..
تتكرر في خلق الأجنة كما أرشدنا رسول الحق ..
هكذا يضعنا الحق أيضا بهذا القسم
و الآية التالية له أمام سر من الأسرار الذي لا تصل إليه علومنا ..
لكن ما هي الروح التي تسيطر على الجسد و الرغبات و الشهوات ..
إنها من أمر ربى و لم نؤت حقا من العلم إلا قليلا ..
وعرف الحق أن الفجور في ترك النفس نهبا للجسد وشهواته ومادياته ..
والتقوى في تحكم هذه الروح والفكر والعقل في ردع الشهوات والرغبات
وتسييرها كما شرع الخالق لها ..
ولهذا لدى كل نفس الإلهام والمقدرة على الفجور طاعة لرغبات الجسد
وعلى التقوى استجابة لصوت الروح والعقل ..

إنها الأمانة التي حملها الخالق للبشر وترك لهم حرية الاختيار والقرار ..
فلديه النجدين ..

هكذا جاء تعريف النفس وخلقها كما تنص عليه الآية الكريمة في إعجاز
وسهولة ويسر، و لا يقدر على هذا الوصف والسرد والتسلسل سوى خالق
النفس ومدبر وجودها وحياتها واستمرارها على أرضه وتحت شمس
وداخل بنائه وسمائه ..

أشياء لا يعلم الإنسان من أسرارها شيئاً بل لا يدري من أمر نفسه أو
روحه شيئاً سوى ما قدر الله له ..
آيات جاءت في تسلسل رباني حكيم لا يقدر على سرده بهذه الحكمة إلا
رب العالمين ، لنعلم أنا لا نعلم شيئاً من أسرار أنفسنا وما حولنا.

ثم نأتى إلى جواب قسم كل الآيات السابقة ..
القسم بحق الشمس ومعجزاتها والسماء وبنائها والأرض وانطلاقها
وفي النهاية بالنفس وتسويتها ..
يأتى الجواب محددًا و موضحًا و مبينًا أين طريق الفلاح وأين طريق
الخبية ..

يأتى هذا النص الرباني الواضح أنه أفلح و فاز بالخير وظفر بالهداية ونجا
من الشقاء كل إنسان طهر نفسه من السوء و سما بها عن الشر واتبع
الحق وبعد عن الباطل وأخلص لمن دبر له أمر الشمس و الأرض والسماء
والقمر ومنحه هذه النفخة الروحانية
فاستجاب لصوت العقل و سار في طريق الطاعة و الرحمة ..
وأنه قد خاب وخسر نفسه وأوقعها في المهالك و أوردتها غضب الخالق كل
من انتقص من أمر روحه وأخفاها أو دسها ودسها في رغبات جسده

أو ألغى عقله وراء شطحاته و سخر نفسه للشر و ارتكاب المعاصي
ومخالفة أوامر الله أو ترك الخير في طاعة الخالق.
.. إنه جواب محدد وصريح وكامل ...

والدليل أن هذا النص الرباني هو جواب هذا القسم أنه أعطى المثال على
تنفيذ هذا الجواب والسنة والدستور والوعد والوعيد في قصة ثمود ...
قتقص الآيات التالية كيف جاءت سنته في عقاب ثمود التي حادت عن أمر
ربها وكيف كانت الخيبة لمن أخضعوا أنفسهم للشهوات والحيود عن أمر
ربهم ...

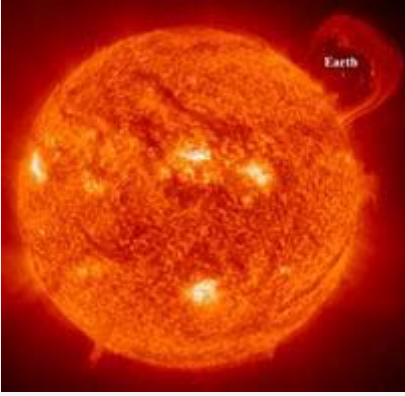
وهذا عندما انزعج ثمود أشقيائها وطغاتها وتركت نداء العقل من نبيها ..
فكان العقاب أن استأصلهم الله من الأرض و دمدمها عليهم
وأزالهم من الوجود انتظارا لسوء العاقبة في الآخرة وعذابها ..
قصة قوم عرفهم العرب وأهل الكتاب يرون على مساكنهم ..
قصة حية بينهم كدليل واضح على سنن الله التي لا تتبدل ولا تتغير ..
يمكن المراسلة على البريد التالي:

salama_abdelhady@hotmail.com



من الثابت علمياً أن صخور القمر أقدم
من صخور الأرض، لهذا فمن المحتمل

أن خلق القمر قد جاء تالياً لخلق
الشمس



تملك الشمس وحدها كتلة تعادل
99.86% من كتلة المجموعة الشمسية

لَا يَصْلَحْنَ إِلَّا الْأَشْقَى ⑮ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ⑯ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ⑰
 الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ⑱ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ⑲
 إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ⑳ ⑳ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ㉑

93- سورة الضحى - مكية - بسم الله الرحمن الرحيم

وَالضُّحَى ①
 وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ③
 وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ④ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ⑤
 أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ⑥ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ⑦
 وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ⑧ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ⑨
 وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ⑩ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ⑪

94- سورة الشرح - مكية - بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ① وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ② الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ③
 وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤
 إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑥ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ⑦
 وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب ⑧

لَا يَصْلَحْنَ إِلَّا الْأَشْقَى ⑮ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ⑯ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ⑰

الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾

(لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا الْإِشْفَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ)

بالخبر

(وَتَوَلَّى)

عن الأمر.

*** صحيح البخاري

7280 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي»،

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يُأْبَى؟

قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي» ()

(وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى)

بأن يكون قصده به تركية نفسه، وتطهيرها من الذنوب و العيوب ،

قاصداً به وجه الله تعالى،

فدل هذا على أنه إذا تضمن الإنفاق المستحب ترك واجب،

كدين و نفقة و نحوهما، فإنه غير مشروع،

بل تكون عطيته مردودة عند كثير من العلماء،

(أبي) امتنع عن قبول الدعوة أو عن امتثال الأمر]

لأنه لا يتركى بفعل مستحب يفوت عليه الواجب.

(وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ)

أي: ليس لأحد من الخلق على هذا الأتقى نعمة تجزى إلا و قد كافأه بها،
و ربما بقي له الفضل والمنة على الناس،
فتمحض عبداً لله، لأنه رقيق إحسانه وحده،
و أما من بقي عليه نعمة للناس لم يجزها ويكافئها،
فإنه لا بد أن يترك للناس، و يفعل لهم ما ينقص إخلاصه .
و هذه الآية، و إن كانت متناولة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه
بل قد قيل إنها نزلت في سببه،

فإنه - رضي الله عنه - ما لأحد عنده من نعمة تجزى،
حتى ولا رسول الله ﷺ، إلا نعمة الرسول التي لا يمكن جزاؤها،
و هي نعمة الدعوة إلى دين الإسلام، و تعليم الهدى و دين الحق،
فإن لله و رسوله المنة على كل أحد، منة لا يمكن لها جزاء و لا مقابلة،
فإنها متناولة لكل من اتصف بهذا الوصف الفاضل،
فلم يبق لأحد عليه من الخلق نعمة تجزى،
فبقيت أعماله خالصة لوجه الله تعالى .

و لهذا قال: **(إِلَّا ابْنِئَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ) ٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ)**

هذا الأتقى بما يعطيه الله من أنواع الكرامات و المشوبات،

و الحمد لله رب العالمين.

*** وَ قَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ

الصَّدِيقِ رضي الله عنه

حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ حَكَى الْإِجْمَاعَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى ذَلِكَ.
وَلَا شَكَّ أَنََّّهُ دَاخِلٌ فِيهَا، وَأَوَّلَى الْأُمَّةِ بِعُمُومِهَا،
فَإِنَّ لَفْظَهَا لَفْظُ الْعُمُومِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَسَيَجَنَّبُهَا الْأَتَقِيُّ الَّذِي يُوْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى}

وَ لَكِنَّهُ مُقَدَّمُ الْأُمَّةِ وَسَابِقُهُمْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ وَسَائِرِ الْأَوْصَافِ
الْحَمِيدَةِ؛

فَإِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا تَقِيًّا كَرِيمًا جَوَادًا بَذَالًا لِأَمْوَالِهِ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ،
وَ نُصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ،

فَكَمَ مِنْ دَرَاهِمٍ وَدَنَانِيرَ بَذَلَهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ،
وَ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُ مِنْهُ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُكَافِئَهُ بِهَا،
وَ لَكِنْ كَانَ فَضْلُهُ وَ إِحْسَانُهُ عَلَى السَّادَاتِ وَ الرُّوسَاءِ مِنْ سَائِرِ الْقَبَائِلِ؛
وَ لِهَذَا قَالَ لَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ - وَ هُوَ سَيِّدُ ثَقِيفٍ، يَوْمَ صَلَحِ الْحَدِيثِ -:
أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ لَا يَدُ لَكَ كَانَتْ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْبَتُكَ.
وَكَانَ الصَّدِيقُ قَدْ أَعْلَظَ لَهُ فِي الْمَقَالَةِ،

فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُهُ مَعَ سَادَاتِ الْعَرَبِ وَرُوسَاءِ الْقَبَائِلِ،
فَكَيْفَ يَمُنَّ عَدَاهُمْ؟ وَلِهَذَا قَالَ:

{وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى}

وَ فِي الصَّحِيحَيْنِ

صحيح البخاري

2841 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

" مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، دَعَاهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ،
 كُلُّ خَزَنَةٍ بَابٍ: أَيُّ قُلٍّ هَلُمَّ "،
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَاكَ الَّذِي لَا تَوَى عَلَيْهِ،
 فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» ()

93 تفسري سورة والضحي - و هي مكية

* جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

4950 - عن جُنْدُبَ بْنِ سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:
 «اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ - أَوْ ثَلَاثًا -»،
 فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ:
 يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ
 لَمْ أَرَهُ قَرِيبَكَ مِنْذُ لَيْلَتَيْنِ - أَوْ ثَلَاثَةٍ -
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

{وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}

[الضحى: 2] قَوْلُهُ: { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى } [الضحى: 3]:

(زوجين) شيءين من أي نوع ينفق.
 (أي قل) يا فلان.
 (هلم) تعال.

(لا توى عليه) لا ضياع عليه ولا هلاك

«تُقْرَأُ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ، مَا تَرَكَكَ رَبُّكَ»
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «مَا تَرَكَكَ وَمَا أَبْغَضَكَ» (□)

***صحيح البخاري

1125 - عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

«اِحْتَبَسَ جَبْرِيلُ   عَلَى النَّبِيِّ  »،

فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ: أَبْطَأَ عَلَيْهِ شَيْطَانُهُ، فَنَزَلَتْ:

{وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} [الضحى: 2] ()

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ③

وَلَا آخِرَةَ خَيْرٍ لَكَ مِنَ الْأُولَى ④ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ⑤

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ⑥ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ⑦

وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ⑧ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ⑨

(الضحى) وقت ارتفاع الشمس واعتدال حرارة النهار من الحر والبرد. (وددعك) من التوديع وهو المبالغة في الترك.

(قلى) أبغضك]

(احتبس) تأخر.

(امرأة من قريش) هي حمالة الحطب امرأة أبي لهب

واسمها أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان رضي الله عنه.

(سجى) أقبل بظلامه.

(ما وددعك) ما قطع قطع مودع.

(ما قلى) وما أبغضك]

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

(وَالضُّحَىٰ)

أقسم تعالى بالنهار إذا انتشر ضياؤه بالضحى،

(وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَىٰ)

وبالليل إذا سجدى وادلهمت ظلمته، على اعتناء الله برسوله ﷺ
*** وَذَلِكَ دَلِيلٌ ظَاهِرٌ عَلَى قُدْرَةِ خَالِقِ هَذَا وَهَذَا. كَمَا قَالَ:
{وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّىٰ} [اللَّيْلَ: 1، 2] ،

وَقَالَ: {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [الْأَنْعَام: 96] .

(مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ)

أي: ما تركك منذ اعتنى بك، و لا أهملك منذ رباك و رعاك،
بل لم يزل يربيك أحسن تربية، و يعليك درجة بعد درجة.

(وَمَا قَلَىٰ) — ك الله

أي: ما أبغضك منذ أحبك، فإن نفي الضد دليل على ثبوت ضده،
و النفي المحض لا يكون مدحًا، إلا إذا تضمن ثبوت كمال،
فهذه حال الرسول ﷺ الماضية و الحاضرة، أكمل حال و أتمها،
محبة الله له و استمرارها، و ترقيته في درج الكمال، و دوام اعتناء الله به.
و أما حاله المستقبل، فقال:

(وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى)

أي: كل حالة متأخرة من أحوالك،
فإن لها الفضل على الحالة السابقة.
فلم يزل ﷺ يصعد في درج المعالي
ويمكن له الله دينه، وينصره على أعدائه، ويسدد له أحواله، حتى مات،
وقد وصل إلى حال لا يصل إليها الأولون والآخرون،
من الفضائل والنعم، وقرة العين، و سرور القلب.
ثم بعد ذلك، لا تسأل عن حاله في الآخرة،
من تفاصيل الإكرام، وأنواع الإنعام،

****جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

أخرج الطبراني في الكبير والأوسط،
قال الهيثمي ورواية الأوسط قال رسول الله ﷺ:
عرض علي ما هو مفتوح لأمتي من بعدي فسرني
فأنزل الله {وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى}

ولهذا قال:

(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)

وهذا أمر لا يمكن التعبير عنه بغير هذه العبارة الجامعة الشاملة.
*** الصحيح المسند من أسباب النزول**
تفسير ابن كثير ج 4 ص 52 قال:

عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال :
عُرِضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا هُوَ مَفْتُوحٌ عَلَى أُمَّتِهِ كُنْزًا كُنْزًا،

فَسَرَّ بِذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}

فَأَعْطَاهُ فِي الْجَنَّةِ أَلْفَ أَلْفِ قَصْرٍ فِي كُلِّ قَصْرٍ مَا يَنْبَغِي لَهُ مِنَ
الْأَزْوَاجِ وَالْخُدَمِ.

رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريقه

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس

ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف.

الحديث رواه ابن جرير كما قال الحافظ ابن كثير 30/232
من طريقين عن الأوزاعي في أحدهما عمرو بن هشام البيريوني
الراوي عن الأوزاعي وهو ضعيف وفي الأخرى رواد بن الجراح
مختلف فيه. فأظن من وثقه لصدقه وديانته ومن جرحه فلأنه
اختلف.

وأخرجه الحاكم وصححه 2/526،

*** صحيح البخاري

6581 - ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:

"بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ،

حَافَتَاهُ قَبَابُ الدَّرِّ الْمُجَوَّفِ،

قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟

قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ،

فَإِذَا طَيَّبَهُ - أَوْ طَيَّبَهُ - مِنْكَ أَذْقَرُ " شَكَّ هُدْبَةً ()

(أذفر) شديد الرائحة الذكية]

ثم امتن عليه بما يعلمه من أحواله الخاصة فقال:

(أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى)

أي: وجدك لا أم لك، ولا أب،

بل قد مات أبوه و أمه و هو لا يدبر نفسه،

فآواه الله، و كفله جده عبد المطلب،

ثم لما مات جده كفله الله عمه أبا طالب، حتى أيده بنصره وبالمؤمنين.

*** وَ ذَلِكْ أَنْ أَبَاهُ تُوفِّيَ وَ هُوَ حَمْلٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ،

وَ قِيلَ: بَعْدَ أَنْ وُلِدَ ﷺ

ثُمَّ تُوفِّيَتْ أُمُّهُ أَمِنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ سِتُّ سِنِينَ.

ثُمَّ كَانَ فِي كِفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،

إِلَى أَنْ تُوفِّيَ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَمَانِ سِنِينَ، فَكَفَلَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ.

ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَحُوطُهُ وَيَنْصُرُهُ وَيَرْفَعُ مِنْ قَدَرِهِ وَ يُوقِّرُهُ،

وَ يَكْفُ عَنْهُ أَدَى قَوْمِهِ بَعْدَ أَنْ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عُمُرِهِ،

هَذَا وَ أَبُو طَالِبٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ،

وَ كُلُّ ذَلِكَ بِقَدْرِ اللَّهِ وَ حُسْنِ تَدْبِيرِهِ، إِلَى أَنْ تُوفِّيَ أَبُو طَالِبٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ

بَقَلِيلٍ، فَأَقْدَمَ عَلَيْهِ سَفَهَاءُ قُرَيْشٍ وَ جُهَالِهِمْ،

○ فَأَخْتَارَ اللَّهُ لَهُ الْهِجْرَةَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ إِلَى بَلَدِ الْأَنْصَارِ مِنَ الْأَوْسِ

وَ الْخَزَرَجِ، كَمَا أَجْرَى اللَّهُ سُنَّتَهُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ وَ الْأَكْمَلِ.

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ آوَاهُ وَ نَصَرُوهُ وَ حَاطُوهُ وَ قَاتَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

أَجْمَعِينَ،

وَ كُلُّ هَذَا مِنْ حِفْظِ اللَّهِ لَهُ وَ كَلَاءَتِهِ وَ عِنَايَتِهِ بِهِ.

(وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ)

أي: وجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم،
و وفقك لأحسن الأعمال والأخلاق.

*** قَوْلِهِ {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا
الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشُّورَى: 52]

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا أَنَّهُ ﷺ ضَلَّ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ صَغِيرٌ،
ثُمَّ رَجَعَ.

(وَوَجَدَكَ عَائِلًا) أي: فقيرًا

(فَأَغْنَىٰ) بما فتح الله عليك من البلدان، التي جبيت لك أموالها وخراجها.

فالذي أزال عنك هذه النقائص، سيزيل عنك كل نقص،

والذي أوصلك إلى الغنى، وآواك ونصرك وهداك، قابل نعمته بالشكران.

*** كُنْتَ فَقِيرًا ذَا عِيَالٍ، فَأَغْنَاكَ اللَّهُ عَمَّنْ سِوَاهُ، فَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ مَقَامِي،

الْفَقِيرِ الصَّابِرِ وَالْغَنِيِّ الشَّاكِرِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ

*** صحيح البخاري

6446 - أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَ لَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ» ()

(الغنى) الحقيقي الذي يملأ نفس الإنسان ويكفه عن حاجة غيره.

(كثرة العرض) حطام الدنيا من الأمتعة ونحوها أو ما يصيبه الإنسان من حظوظ الدنيا[.

***صحيح مسلم

(1054) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ» ()
و لهذا قال:

(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَنْهَرْ)

أي: لا تسيء معاملة اليتيم،

و لا يضق صدرك عليه،

و لا تنهره، بل أكرمه،

و أعطه ما تيسر،

و اصنع به كما تحب أن يصنع بولدك من بعدك.

(وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ)

*الميسر: و أما السائل فلا تزجره،

أي: لا يصدر منك إلى السائل كلام يقتضي رده عن مطلوبه،

بنهر و شراسة خلق،

بل أعطه ما تيسر عندك أو رده بمعروف و إحسان .

و هذا يدخل فيه السائل للمال، و السائل للعلم،

(كفافا) قال في النهاية الكفاف هو الذي لا يفضل عن الشيء
ويكون بقدر الحاجة إليه وهو نصب على الحال

و لهذا كان المعلم مأمورًا بحسن الخلق مع المتعلم،
و مباشرته بالإكرام و التحنن عليه،
فإن في ذلك معونة له على مقصده،

و إكرامًا لمن كان يسعى في نفع العباد و البلاد.
*** فَلَا تَكُنْ جَبَّارًا، وَ لَا مَتَكَبِّرًا، وَ لَا فَحَّاشًا، وَ لَا فَظًّا
عَلَى الضُّعَفَاءِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ.

(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ)

و هذا يشمل النعم الدينية و الدنيوية

(فَحَدِّثْ)

أي: أثن على الله بها، و خصصها بالذكر إن كان هناك مصلحة.
و إلا فحدث بنعم الله على الإطلاق،
فإن التحدث بنعمة الله، داع لشكرها،
و موجب لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها،
فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن.

94-تفسير سورة [ألم نشرح لك صدرك] -و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۖ ۝٢ أَلَمْ يَذَرِكْ أَنْفَضَ ظَهْرَكَ ۖ ۝٣

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾

يقول تعالى - ممتنًا على رسوله - :

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)

أي: نوسع له لشرائع الدين و الدعوة إلى الله، و الاتصاف بمكارم الأخلاق،

و الإقبال على الآخرة، و تسهيل الخيرات

فلم يكن ضيقًا حرجًا، لا يكاد ينقاد لخير، و لا تكاد تجده منبسطًا.

***نَوَّرْنَاهُ وَ جَعَلْنَاهُ فَسِيحًا رَّحِيبًا وَاسِعًا كَقَوْلِهِ:

{فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ} [الأنعام: 125] ،

وَ كَمَا شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ كَذَلِكَ جَعَلَ شَرْعَهُ فَسِيحًا وَاسِعًا سَمَحًا سَهْلًا لَا حَرَجَ

فِيهِ وَ لَا إِضْرَ وَ لَا ضِيقَ.

***شَرَحُ صَدْرِهِ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ،

(وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ)

أي: ذنبك،

(الَّذِي أَثْقَلَ)

أي: أثقل

(ظَهْرَكَ)

كما قال تعالى: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح: 2]

(وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)

أي: أعلينا قدرك، و جعلنا لك الشئ الحسن العالي،
الذي لم يصل إليه أحد من الخلق،
فلا يذكر الله إلا ذكر معه رسوله ﷺ،
كما في الدخول في الإسلام،
و في الأذان،
و الإقامة،
و الخطب،

و غير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله محمد ﷺ
- و له في قلوب أمته من المحبة و الإجلال و التعظيم ما ليس لأحد غيره،
بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جرى نبياً عن أمته.

***المعجم الكبير للطبراني

12289 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

" سَأَلْتُ رَبِّي مَسْأَلَةً وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ،

قُلْتُ: يَا رَبِّ كَأَنْتَ قَبْلِي رُسُلٌ،

مِنْهُمْ مَنْ سَخَرْتَ لَهُمُ الرِّيَّاحَ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى،

قَالَ: أَلَمْ أَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَيْتُكَ؟

أَلَمْ أَجِدْكَ ضَالًّا فَهَدَيْتُكَ؟

أَلَمْ أَجِدْكَ عَائِلًا فَأَغْنَيْتُكَ؟

أَلَمْ أَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ، وَوَضَعْتُ عَنْكَ وِزْرَكَ؟

قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَبِّ "

وقوله: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)

بشارة عظيمة، أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر، فأخرجه كما قال تعالى:

{سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} [الطلاق: 7]

وكما قال النبي ﷺ:

« وَإِنْ الْفَرْجُ مَعَ الْكَرْبِ، وَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » .

و تعريف « العسر » في الآيتين، يدل على أنه واحد،

و تنكير « اليسر » يدل على تكراره، فلن يغلب عسر يسرين.

و في تعريفه بالألف و اللام، الدالة على الاستغراق و العموم يدل على:-

أن كل عسر - وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ- فإنه في آخره التيسير ملازم له.

ثم أمر الله رسوله أصلاً و المؤمنين تبعاً، بشكره و القيام بواجب نعمه، فقال:

(فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ)

أي: إذا تفرغت من أشغالك، ولم يبق في قلبك ما يعوقه،

فاجتهد في العبادة والدعاء.

*** إِذَا فَرَغْتَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَأَشْغَالِهَا وَقَطَعْتَ عِلَاقَهَا،

فَانصَبْ فِي الْعِبَادَةِ، وَقُمْ إِلَيْهَا نَشِيطًا فَارِغَ الْبَالِ،

وَ أَخْلِصْ لِرَبِّكَ النِّيَّةَ وَ الرِّغْبَةَ.

وَمِنْ هَذَا الْقِيلِ قَوْلُهُ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ:

صحيح مسلم

(560) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ» ()

*** صحيح البخاري

5463 - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إِذَا وُضِعَ الْعِشَاءُ وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَأَبْدَءُوا بِالْعِشَاءِ»

(وَالِى رَبِّكَ)

وحده

(فَارْغَبْ)

أي: أعظم الرغبة في إجابة دعائك وقبول عباداتك .

و لا تكن ممن إذا فرغوا و تفرغوا لعبوا و أعرضوا عن ربهم و عن ذكره،
فتكون من الخاسرين.

و قد قيل: إن معنى قوله:

فإذا فرغت من الصلاة وأكملتها، فانصب في الدعاء،

و إلى ربك فارغب في سؤال مطالبك.

واستدل من قال بهذا القول، على مشروعية الدعاء و الذكر عقب الصلوات

المكتوبات، و الله أعلم بذلك تمت والله الحمد

95- تفسير سورة التين- وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾
إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

96- تفسير سورة اقرأ- وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾
الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴿٦﴾ أَن رَّاهُ اسْتَفْتَى ﴿٧﴾
إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ
الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَّمْ
يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فليَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ﴿١٨﴾
كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾

95- تفسير سورة التين- وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونِ ① وَطُورِ سَيْنِينَ ② وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ③

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ⑤

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ⑥

فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ⑦ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ⑧

(وَالَّذِينَ)

هو التين المعروف، وكذلك

(وَالزَّيْتُونِ)

أقسم بهاتين الشجرتين، لكثرة منافع شجرهما وثمرهما،
و لأن سلطانهما في أرض الشام، محل نبوة عيسى ابن مريم عليه السلام

(وَطُورِ سَيْنِينَ)

أي: طور سيناء، محل نبوة موسى عليه السلام.

(وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ)

و هي: مكة المكرمة، محل نبوة محمد عليه السلام.

فأقسم تعالى بهذه المواضع المقدسة، التي اختارها

و ابتعث منها أفضل النبوات وأشرفها.

*** وَ قَالَ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ: هَذِهِ مَحَالٌ ثَلَاثَةٌ، بَعَثَ اللَّهُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا نَبِيًّا
مُرْسَلًا مِنْ أُولِي الْعِزِّمِ أَصْحَابِ الشَّرَائِعِ الْكِبَارِ،

فَالْأَوَّلُ:

مَحَلَّةُ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ،
وَ هِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ فِيهَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ.

وَالثَّانِي:

طُورُ سَيْنِينَ، وَهُوَ طُورُ سَيْنَاءَ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ.

وَالثَّالِثُ:

مَكَّةَ، وَهُوَ الْبَلَدُ الْأَمِينُ الَّذِي مَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ فِيهِ
مُحَمَّدًا ﷺ.

و المقسم عليه قوله:

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

أي: تام الخلق، متناسب الأعضاء، منتصب القامة،

لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهرًا أو باطنًا شيئًا،

و مع هذه النعم العظيمة، التي ينبغي منه القيام بشكرها،

فأكثر الخلق منحرفون عن شكر المنعم، مشغولون باللهو و اللعب،

قد رضوا لأنفسهم بأسافل الأمور، و سفساف الأخلاق،

(ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)

فردهم الله في أسفل سافلين، أي:

أسفل النار، موضع العصاة المتمردين على ربهم،

*** إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ.

رُوي هَذَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةَ -حَتَّى قَالَ عِكْرِمَةُ:

مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ لَمْ يُرَدْ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ. وَاخْتَارَ ذَلِكَ ابْنُ جَرِيرٍ.
وَلَوْ كَانَ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ لَمَا حَسُنَ اسْتِثْنَاءُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ؛
لَأَنَّ الْهَرَمَ قَدْ يَصِيبُ بَعْضَهُمْ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مَا ذَكَرْنَاهُ، كَقَوْلِهِ:
{وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}
[العصر: 1-3] .

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

إِلَّا مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ الْعَالِيَةِ،
(فَلَهُمْ)

بذلك المنازل العالية،

و (أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)

أي: غير مقطوع،

بل لذات متوافرة، و أفراح متواترة، و نعم متكاثرة،
في أبد لا يزول، ونعيم لا يحول، أكلها دائم وظلها،

(فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدُ بِالَّذِينَ)

أي: أي شيء يكذبك أيها الإنسان بيوم الجزاء على الأعمال،
وقد رأيت من آيات الله الكثيرة ما به يحصل لك اليقين،
ومن نعمه ما يوجب عليك أن لا تكفر بشيء مما أخبرك به،

*** بِالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ وَقَدْ عَلِمْتَ الْبِدْأَةَ،
وَعَرَفْتَ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْبِدْأَةِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الرَّجْعَةِ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى،

فَأَيُّ شَيْءٍ يَحْمِلُكَ عَلَى التَّكْذِيبِ بِالْمَعَادِ وَقَدْ عَرَفْتَ هَذَا؟
(أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ الْخَاصِمِينَ)

فهل تقتضي حكمته أن يترك الخلق سدى لا يؤمرون و لا ينهاون،
و لا يثابون و لا يعاقبون؟

أم الذي خلق الإنسان أطوارًا بعد أطوار،
و أوصل إليهم من النعم والخير والبر ما لا يحصونه، ورباهم التربية الحسنة،
لا بد أن يعيدهم إلى دار هي مستقرهم و غايتهم،
التي إليها يقصدون، و نحوها يؤمون.

*** أَمَّا هُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، الَّذِي لَا يَجُورُ وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا،
وَمِنْ عَدْلِهِ أَنْ يُقِيمَ الْقِيَامَةَ فَيُنْصِفَ الْمَظْلُومَ فِي الدُّنْيَا مِمَّنْ ظَلَمَهُ.
وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا:

"فَإِذَا قَرَأَ أَحَدُكُمْ {وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ}
فَأَتَى عَلَى آخِرِهَا:

{أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}

فَلْيَقُلْ: بَلَى، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ"

96- تفسير سورة اقرأ- و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ (٣)

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْهَ لَنُفَعِّنَ بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِلَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾

كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾

*** صحيح البخاري

3 - عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْوَحْيُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بَغَارٍ حَرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لَذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّىٰ جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارٍ حَرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ

فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّلَاثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي،

فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} [العلق: 2]

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ،
فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،
فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ،
فَقَالَ لِحَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»
فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ
الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ،
وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ،
فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى
ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ
وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ،
وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ،
فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ،
وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ،
فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ،
فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟
فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ:
هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا،
لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ»،
قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ مِثْلَ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي،
وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا.

ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةً أَنْ تُؤْفَى، وَ فَتَرَ الْوَحْيَ ()

- (الصالحة) الصادقة وهي التي يجري في القطة ما يوافقها.
(فلق الصبح) ضياؤه ونوره ويقال هذا في الشيء الواضح البين.
(الخلا) الانفراد.
(بغار حراء) الغار هو النقب في الجبل وحراء اسم لجبل معروف في مكة.
(ينزع) يرجع.
(ما أنا بقارىء) لا أعرف القراءة ولا أحسنها.
(فغطني) ضمنني وعصريني حتى حبس نفسي ومثله غطني.
(الجهد) غاية وسعي.
(أرسلني) أطلقني.
(علق) جمع علقه وهي المنى بعد أن يتحول إلى دم غليظ متجمد والآيات المذكورة أول ما نزل من القرآن الكريم وهي أوائل سورة العلق.
(يرجف فؤاده) يخفق قلبه ويتحرك بشدة.
(زملوني) لفوني وغطوني.
(الروع) الفزع.
(ما يخزيك) لا يذلّك ولا يضيعك.
(لتصل الرحم) تكرم القرابة وتواسيهم.
(تحمل الكل) تقو بشأن من لا يستقل بأمره ليتم وغيره وتتوسع بمن فيه ثقل وغلاظة.
(تكسب المعودم) تتبرع بالمال لمن عدمه وتعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك.
(تقري الضيف) تهيء له القرى وهو ما يقدم للضيف من طعام وشراب.
(نواب الحق) النواب جمع نأبة وهي ما ينزل بالإنسان من المهمات وأضيفت إلى الحق لأنها تكون في الحق والباطل.
(تنصر) ترك عبادة الأوثان واعتنق النصرانية.
(الناموس) هو صاحب السر والمراد جبريل عليه السلام سمي بذلك لاختصاصه بالوحي.
(فيها) في حين ظهور نبوتك.
(جذع) شاب والجذع في الأصل الصغير من البهائم ثم استعير للشاب من الإنسان. (يومك)
يوم إخراجك أو يوم ظهور نبوتك وانتشار دينك.
(مؤزرا) قويا من الأزرق وهو القوة.
(ينشب) يلبث.

[.....وَفَتَرَ الْوَحْيَ فِتْرَةً حَتَّى حَزَنَ النَّبِيُّ ﷺ، فِيمَا بَلَغْنَا، حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لَكِي يُلْقِي مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيْلٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِدَلِكْ جَأْشُهُ، وَتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيْلٌ فَقَالَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: { فَالِقُ الْإِصْبَاحِ } [الأنعام: 96]:

«صَوُّ الشَّمْسِ بِالنَّهَارِ، وَصَوُّ الْقَمَرِ بِاللَّيْلِ» (I) *** فَأَوَّلُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ الْمُبَارَكَاتُ وَ هُنَّ أَوَّلُ رَحْمَةٍ رَحِمَ اللَّهُ بِهَا الْعِبَادَ، وَ أَوَّلُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِمْ. وَ فِيهَا التَّنْبِيْهُ عَلَى ابْتِدَاءِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ عَلَقَةٍ، وَ أَنَّ مِنْ كَرَمِهِ تَعَالَى أَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ،

(فتر الوحي) تأخر عن النزول مدة من الزمن]

(فترة حتى. .) ذكر في الفتح أن الكلام من هنا إلى آخر الحديث من كلام الزهري. (غدا منه مرارا) ذهب بسبب ذلك الحزن عدة مرات. (يتردى) يسقط نفسه.

(شواهيق الجبال) مرتفعاتها العالية.

(تبدى) ظهر. (جأشه) اضطرابه.

(تقر) تطمئن وتهدأ.

(فالق) من الفلق وهو شق الشيء. وقيل خلق وفطر وفلق بمعنى واحد.

(الإصباح) هو في الأصل مصدر أصبح إذا دخل في الصبح وسمي به الصبح.

وأتى بهذا التعليق هنا لمناسبة ذكر (فلق الصبح) في الحديث]

فَشَرَّفَهُ وَكَرَّمَهُ بِالْعِلْمِ،
 وَهُوَ الْقَدْرُ الَّذِي اِمْتَارَ بِهِ اَبُو الْبَرِيَّةِ اَدَمُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ،
 وَالْعِلْمُ تَارَةً يَكُونُ فِي الْأَذْهَانِ،
 وَتَارَةً يَكُونُ فِي اللِّسَانِ،
 وَتَارَةً يَكُونُ فِي الْكِتَابَةِ بِالْبَنَانِ، ذِهْنِيَّ وَلَفْظِيَّ وَرَسْمِيَّ،
 وَالرَّسْمِيَّ يَسْتَلْزِمُهُمَا مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ،
 فَلِهَذَا قَالَ: {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}
 وَ فِي الْأَثَرِ: قَيَّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابَةِ
 . وَفِيهِ أَيْضًا: "مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلَّمَ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَكُنْ [يَعْلَمُ] .

-----هذه السورة أول السور القرآنية نزولا على رسول الله ﷺ
 فإنها نزلت عليه في مبادئ النبوة، إذ كان لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان،
 فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام بالرسالة، وأمره أن يقرأ، فامتنع، وقال:
 (ما أنا بقارئ) فلم يزل به حتى قرأ، فأُنزل الله عليه:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

عموم الخلق، ثم خص الإنسان، وذكر ابتداء خلقه

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)

فالذي خلق الإنسان واعتنى بتدبيره،

لا بد أن يدبره بالأمر والنهي، وذلك بإرسال الرسول إليهم ،
 وإنزال الكتب عليهم، ولهذا ذكر بعد الأمر بالقراءة، خلقه للإنسان.

*الجزائري : قطعة من الدم الغليظ

ثم قال:

(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ)

أي: كثير الصفات واسعها، كثير الكرم و الإحسان،
واسع الجود،

(الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)

الذي من كرمه أن علم بالعلم .

فإنه تعالى أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً،

و جعل له السمع و البصر و الفؤاد، و يسر له أسباب العلم.

فعلمه القرآن، و علمه الحكمة، و علمه بالقلم،

الذي به تحفظ العلوم،

و تضبط الحقوق،

و تكون رسلا للناس تنوب مناب خطابهم،

فلله الحمد و المنة، الذي أنعم على عباده بهذه النعم التي لا يقدرון لها على

جزاء و لا شكور،

ثم من عليهم بالغنى و سعة الرزق،

(كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى)

و لكن الإنسان - لجهله و ظلمه- إذا رأى نفسه غنياً، طغى و بغى

و تجبر عن الهدى،

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح مسلم

2797) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ:

هَلْ يُعْضِرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟

قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ،

فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لئن رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأُطَانَّ عَلَى رَقَبَتِهِ،

أَوْ لَأُعْضِرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ،

قَالَ: فَاتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ،

قَالَ: فَمَا فَجَّئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبِهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ،

قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟

فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنَحَةً،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«لَوْ دَنَا مِنِّي لَخَتَّطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عَضُوءًا عَضُوءًا»

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا - لَأَا نَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ شَيْءٌ

بَلَّغَهُ -: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى • أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرَّجْعَى • أَرَأَيْتَ

الَّذِي يَنْهَى • عَبْدًا إِذَا صَلَّى • أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى • أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى •

أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى • } [العلق: 7]-

يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ -

{أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى • كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ • نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ

خَاطِئَةٍ • فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ • كَلَّا لَا تُطِعْهُ

[العلق:14]، زَادَ عُبَيْدُ اللَّهِ فِي حَدِيثِهِ
 قَالَ: وَأَمْرُهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ. وَزَادَ ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى
 {فَلَيْدَعُ نَادِيَهُ} [العلق:17]، يَعْنِي قَوْمَهُ(□)

(هل يعفر محمد وجهه) أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب (فجنهم) بكسر الجيم
 ويقال أيضا فجأهم بفتحها لغتان أي بغتهم
 (ينكص على عقبيه) أي رجع يمشي ورائه قال ابن فارس النكوص الإحجام عن الشيء
 (أن رآه استغنى) أي رأى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لأنه بمعنى علم
 (إن إلى ربك الرجعى) أي المرجع أي إن المرجع إلى الله وحده دون غيره (أرأيت) كلمة أرأيت
 صارت تستعمل في معنى أخبرني على أنها لا يقصد بها في مثل هذه الآية الاستخبار الحقيقي
 ولكن يقصد بها إنكار الحالة المستخر عنها وتقبيحها
 (كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية) كلمة كلا صعد بالجر جديد أي لا يستمر به غروره وجهله
 وطغيانه فإن أقسم لئن لم ينته عن هذا الطغيان وإن لم يكف عن نهى المصلي عن صلاته
 لنسفعا بناصرته أي لنأخذن بها والناصية شعر الجبهة أو الجبهة نفسها قال المبرد السفح
 الجذب بشدة والأخذ بالناصية هنا مثل في القهر والإذلال والتعذيب والنكال
 (ناصية كاذبة خاطئة) أعاد الناصية على طريق البدل مع وصفها بالوصفين التابعين لها لزيادة
 التشنيع بها
 (فليدع ناديه) النادي المجلس الذي يجتمع فيه القوم ويطلق على القوم أنفسهم أي فليجمع
 أمثاله ممن ينتدي معهم ليمنع المصلين المخلصين ويؤذي أهل الحق الصادقين فإن فعل تعرض
 لقهرنا وتنكيلنا
 (سندع الزبانية) الزبانية في أصل اللغة الشرط وأعوان الولاة
 قيل إنه جمع لا واحد له
 وقال أبو عبيدة واحده زبانية كعفرية أي سندعو له من جنودنا القوي المتين الذي لا قبل له
 بمغالبتة فيهلكه في الدنيا أو يرديه في النار
 في الآخرة وهو صاغر

(إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى)

و نسي أن إلى ربه الرجعى، و لم يخف الجزاء،
بل ربما وصلت به الحال أنه يترك الهدى بنفسه، و يدعو غيره إلى تركه،
فينهى عن الصلاة التي هي أفضل أعمال الإيمان.
يقول الله لهذا المتمرّد العاتي:

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى)

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

مسند أحمد ط الرسالة

232* عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:

مَرَّ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكَ، فَاَنْتَهَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ

فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: لِمَ تَنْتَهَرُنِي يَا مُحَمَّدٌ؟

فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا بَهَا رَجُلٌ أَكْثَرُ نَادِيًا مِنِّي،

قَالَ: فَقَالَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ} [العلق: 17] ، قَالَ:

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " وَاللَّهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ، لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ الْعَذَابِ "

*الصحيح المسند من أسباب النزول

وأخرج ابن جرير بسند صحيح عن ابن عباس نحوه وفيه فأنزل

الله {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى *عَبْدًا إِذَا صَلَّى} إلى قوله {كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ} فقال:

لقد علم أني أكثر هذا الوادي ناديا.

فغضب النبي ﷺ فتكلم بشيء قال داود يعني أحد رجال السند:

ولم أحفظه فأنزل الله {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَدَّغُ الزَّبَانِيَةِ}

فقال ابن عباس فوالله لو فعل لأخذته الملائكة من مكانه

(أَرَيْتَ)

أيها الناهي للعبد إذا صلى

(إِنْ كَانَ)

العبد المصلي

(عَلَى الْهَدَى)

العلم بالحق و العمل به،

(أَوْ أَمَرَ)

غيره

(بِالتَّقْوَى) .

فهل يحسن أن ينهى، من هذا وصفه؟

أليس نهييه، من أعظم المحادة لله، و المحاربة للحق؟

فإن النهي، لا يتوجه إلا لمن هو في نفسه على غير الهدى،

أو كان يأمر غيره بخلاف التقوى.

(أَرَيْتَ إِنْ كَذَبَ)

الناهى بالحق

(وَتَوَلَّى)

عن الأمر، أما يخاف الله و يخشى عقابه؟

(أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى)

ما يعمل و يفعل؟.

ثم توعده إن استمر على حاله، فقال:

(كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ)

عما يقول و يفعل

(لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ)

أي: لناخذن بناصيته، أخذًا عنيفًا، و هي حقيقة بذلك، فإنها

(نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ)

أي: كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها.

(فَلْيَدْعُ)

هذا الذي حق عليه العقاب

(نَادِيَهُ)

أي: أهل مجلسه وأصحابه و من حوله، ليعينوه على ما نزل به،

(سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ)

أي: خزنة جهنم، لأخذه و عقوبته،

فليُنظر أي: الفريقين أقوى و أقدر؟

فهذه حالة الناهي و ما توعده به من العقوبة،

و أما حالة المنهي،

فأمره الله أن لا يصغى إلى هذا الناهي و لا ينقاد لنهيه فقال:

(**كَلَّا لَا تُطِعْهُ**)

أي: فإنه لا يأمر إلا بما فيه خسارة الدارين،

***يَا مُحَمَّدُ، لَا تُطِعْهُ فِيمَا يَنْهَاكَ عَنْهُ مِنَ الْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَ كُرِّهَتِهَا،
و صَلَّ حَيْثُ شِئْتَ وَلَا تُبَالِهْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ حَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ،
وَ هُوَ يَعِصِمُكَ مِنَ النَّاسِ

(**وَأَسْجُدْ**)

لربك

(**وَأَقْتَرِبْ**)

منه في السجود و غيره من أنواع الطاعات و القربات،

فإنها كلها تدني من رضاه وتقرب منه.

○ و هذا عام لكل ناه عن الخير و منهي عنه،

و إن كانت نازلة في شأن أبي جهل حين نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة،

و عبث به وآذاه.

***صحيح مسلم

(482) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

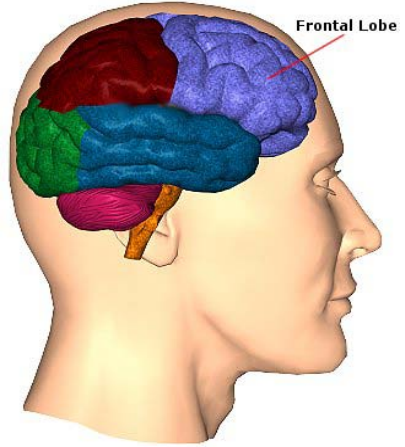
«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثَرُوا الدُّعَاءَ» ()
***صحيح مسلم
(578) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:
«سَجَدْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ) وَ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)»

(أقرب) مبتدأ حذف خبره وجوبا لسد الحال مسده وهي قوله وهو ساجد فهو مثل قولهم
أخطب ما يكون الأمير قائما إلا أن الحال هناك مفردة وههنا جملة مقرونة بالواو أي أقرب ما
يكون الإنسان من رحمة ربه حاصل في حال كونه ساجدا]

الاعجاز العلمي في :- ناصية كاذبة خاطئة

<http://quran-m.com/container.php?fun=artview&id=790>

إعداد الشيخ عبد المجيد الزنداني
رئيس جامعة الإيمان - صنعاء - اليمن
مؤسس الهيئة العالمية لإعجاز في مكة المكرمة



وصف القرآن الناصية بأنها كاذبة خاطئة كما قال تعالى: ؟

نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16)؟ (العلق:16).

و الناصية لا تنطق فكيف يسند إليها الكذب ؟

ولا تجترح الخطايا فكيف تسند إليها الخطيئة؟

لقد أزال البروفيسور محمد يوسف سكر عني هذه الحيرة

عندما كان يحدثني عن وظائف المخ فقال:

إن وظيفة الجزء من المخ الذي يقع في ناصية الإنسان هي توجيه سلوك

الإنسان فقلت له: وجدتها !

قال: ماذا وجدت ؟

قلت: وجدت تفسير قوله تعالى: ؟ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ؟

فقال: دعني أراجع كتبتي ومراجعي.

وبعد مراجعته لتلك الكتب والمراجع، أكد الأمر

وقال: إن الإنسان إذا أراد أن يكذب فإن القرار يتخذ في الفص الجبهي

للمخ الذي هو جبهة الإنسان وناصيته، وإذا أراد الخطيئة فإن القرار كذلك يتخذ في الناصية.

ثم عرضت الموضوع على عددٍ من العلماء المتخصصين، منهم البرفسور كيث إل مور الذي أكد أن الناصية هي المسئولة عن المقاييسات العليا وتوجيه سلوك الإنسان،

وما الجوارح إلا جنود تنفذ هذه القرارات التي تتخذ في الناصية؛

لذلك فالقانون في بعض الولايات الأمريكية يجعل عقوبة كبار المجرمين الذي يرهقون أجهزة الشرطة هي استئصال الجزء الأمامي من المخ (الناصية)،

(لأنه مركز القيادة والتوجيه)

ليصبح المجرم بعد ذلك كطفلٍ وديعٍ يستقبل الأوامر من أي شخص.

وبدراسة التركيب التشريحي لمنطقة أعلى الجبهة وجد أنها تتكون من أحد

عظام الجمجمة المسمى العظم الجبهي،

ويقوم هذا العظم بحماية أحد فصوص المخ

والمسمى الفص الأمامي أو الفص الجبهي،

وهو يحتوي على عدة مراكز عصبية تختلف فيما بينها من حيث الموقع والوظيفة.

وتمثل القشرة الأمامية الجبهية الجزء الأكبر من الفص الجبهي للمخ، وترتبط وظيفة القشرة الأمامية الجبهية بتكوين شخصية الفرد، وتعتبر مركزاً علوياً من مراكز التركيز والتفكير والذاكرة، وتؤدي دوراً منتظماً لعمق إحساس الفرد بالمشاعر، ولها تأثير في تحديد المبادأة والتمييز.

وتقع القشرة مباشرة خلف الجبهة أي أنها تختفي في عمق الناصية، وبذلك تكون القشرة الأمامية الجبهية هي الموجه لبعض تصرفات الإنسان التي تنم عن شخصيته مثل الصدق والكذب والصواب والخطأ... الخ، وهي التي تميز بين هذه الصفات وبعضها البعض وهي التي تحث الإنسان على المبادأة سواءً بالخير أو بالشر.

وعندما قدم البرفسور كيث إل مور البحث المشترك بيني وبينه حول الإعجاز العلمي في الناصية، في مؤتمر دولي عقد في القاهرة، لم يكتف بالحديث عن وظيفة الفص الجبهي في المخ (الناصية) عند الإنسان، بل تطرق إلى بيان وظيفة الناصية في مخاخ الحيوانات المختلفة، وقدم صوراً للفصوص الجبهية في عدد من الحيوانات قائلًا:
إن دراسة التشريح المقارن لمخاخ الإنسان والحيوان تدل على تشابه في وظيفة الناصية، فالناصية هي مركز القيادة والتوجيه عند الإنسان وكذلك عند كل الحيوانات ذوات المخ، فلفت قوله ذلك انتباهي إلى قوله تعالى: ...
مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56) (هود: 56)

وتذكرت أيضاً بعض أحاديث النبي ﷺ في الناصية كقوله:

(اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ...)

وكقوله: (أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ)

وكقوله: (الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)

فإذا جمعنا معاني هذه النصوص نستنتج أن الناصية هي مركز القيادة والتوجيه لسلوك الإنسان، وكذا سلوك الحيوان.

المعاني اللغوية للآية وأقوال المفسرين:

قال تعالى؟ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعْ بِالنَّاصِيَةِ (15) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16)؟ (العلق: 15-16).

السفع: هو القبض والجذب، وقيل هو مأخوذ من سفع النار، والشمس إذا غيرت وجهه إلى السواد.

الناصية: هي مقدم الرأس.

أقوال المفسرين: ذهب جمهور المفسرين إلى تأويل الآية بأن وصف الناصية بالكذب والخطيئة ليس وصفاً لها بل هو وصف لصاحبها، وأمرها الباقون كما هي بدون تأويل مثل الحافظ ابن كثير.

ويتضح من أقوال المفسرين رحمهم الله عدم علمهم بأن الناصية هي مركز اتخاذ القرار بالكذب أو الخطيئة، فحملهم ذلك على تأويلها بعيداً عن ظاهر النص، فالنص يصفها بالكذب والخطيئة، وهم أولوا وصفها بذلك، فجعلوه وصفاً لصاحبها، فأولوا الصفة والموصوف في قوله تعالى: ؟ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ؟ كما لو كانت مضافاً ومضاف إليه، والفرق واضح في اللغة بين الصفة والموصوف والمضاف والمضاف إليه.

وأمر آخرون من المفسرين الآية كما هي، دون أن يقحموا أنفسهم فيما لا تطبيقه معارفهم وعلومهم في ذلك الزمان.

أوجه الإعجاز العلمي:

* يقول البرفسور كيث إل مور مستدلاً على هذه المعجزة العلمية: إن المعلومات التي نعرفها عن وظيفة المخ لم تذكر طوال التاريخ، ولا نجد في كتب الطب عنها شيئاً، فلو جئنا بكتب الطب كلها في عهد النبي ﷺ وبعده بقرون لن نجد ذكراً لوظيفة الفص الجبهي الأمامي (الناصية) ولن نجد له بياناً، ولم يأت الحديث عنه إلا في هذا الكتاب (القرآن الكريم)، مما يدل على أن هذا من علم الله جل وعلا الذي أحاط بكل شئ علماً، ويشهد بأن محمداً رسول الله.

• ولقد كانت بداية معرفة الناس بوظيفة الفص الأمامي الجبهي في عام 1842م، حين أصيب أحد عمال السكك الحديدية في أمريكا بقضيب اخترق جبهته، فآثر ذلك في سلوكه ولم يضر بقية وظائف الجسم، فبدأت معرفة الأطباء بوظيفة الفص الجبهي للمخ، وعلاقته بسلوك الإنسان.

• وكان الأطباء يعتقدون قبل ذلك أن هذا الجزء من المخ الإنساني منطقة صامته لا وظيفة لها. فمن أعلم محمد ﷺ بأن هذا الجزء من المخ (الناصية) هو مركز القيادة للإنسان والدواب وأنه مصدر الكذب والخطيئة.

• لقد أضرأكبر المفسرين إلى تأويل النص الظاهر بين أيديهم لعدم إحاطتهم علماً بهذا السر، حتى يصونوا القرآن من تكذيب البشر الجاهلين بهذه الحقيقة طوال العصور الماضية،

بينما نرى الأمر في غاية الوضوح في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في أن الناصية هي مركز القيادة والتوجيه في الإنسان والدواب.

فمن أخبر محمد ﷺ من بين كل أمم الأرض بهذا السر وبهذا الحقيقة؟!

إنه العلم الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو شهادة من الله بأن القرآن من عنده، لأنه نزل بعلمه سبحانه

علم الأجنة في القرآن الكريم



مقدمة أساسية:

يثور التساؤل: لماذا الاهتمام بدراسة موضوع

علم الأجنة؟

ونجيب فنقول..

أولاً: رغبة في زيادة الإيمان:

فإن الإيمان يزداد بالعلم النافع والعمل الصالح وينقص بالجهل والمعصية.

ثانياً: لأننا مأمورون بهذا العلم شرعاً قال تعالى:

(قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق...).

(سورة العنكبوت: 20).

وقال تعالى: (فليُنظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب) (سورة الطارق: 5-7).

ثالثاً: لأن هذا العلم من أقرب العلوم التي تثبت عقيدة البعث والحساب وانظر الى تمام الأيتين السابقتين قال تعالى:

(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله يُنشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير) (سورة العنكبوت: 20).

فاستدل سبحانه وتعالى ببدا الخلق على إعادته. وقال تعالى:

(فليُنظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب * إنه على رجعه لقادر) (سورة الطارق: 5-8).

فاستدل بأول الخلق على رجعه وبعثه للحساب ولذلك قال تعالى:

(أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي انشاها أول مرة وهو بكل خلق عليم) (سورة يس: 77-79).

فإن من بدأ شيئاً فهو قادر على إعادته. بل تكون إعادته أهون عليه.. وكلُّ عليه هينٌ سبحانه.. يقول تعالى:

(وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه....) (سورة الروم: 27).

رابعاً: لأننا نحب القرآن والسنة وكل علم صحيح نافع يمكننا أن نربطه

بالقرآن والسنة

ففي ذلك الخير الكثير والمسلم مطالب شرعاً أن يدور في فلكهما وأن يستخرج كنوزهما وأن يربط حياته بهما.

خامساً: إننا في عصر انتشار العلوم الكونية وإنحسار العلوم الشرعية

واللغوية وقد لا تستطيع أن تخاطب غير المسلمين بما في القرآن الكريم من

إعجاز لغوي مفحم أو بما كان للرسول ﷺ من معجزات حسية باهرة،

ولكن يمكن أن تخاطبهم بلغة العلم فيكون هذا مدخلاً لإيمان بعضاً منهم

أما المسلمون فيزداد إيمانهم وتثبت العقيدة في قلوبهم.

1- علم الأجنة في زمن النبوة

وحتى تثبت وجه الأعجاز لهذا العلم في القرآن والسنة يجب أن تثبت أولاً أنه لم يكن هناك في زمن الرسول ﷺ ولا قريباً منه ما يمكن أن تستسقى منه بالخبرة البشرية هذه المعلومات العلمية الخاصة بعلوم الأجنة والموجودة بالقرآن والسنة فلا يبقى إلا أن نسلم بهذا الوحي المعجز من الله تعالى. روى البخاري في صحيحه قال حدثنا أبونعيم، حدثنا سفيان ابن المنذر قال سمعت جابر قال:

كانت اليهود تقول إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول.

فنزل قول الله تعالى: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم.....) (سورة البقرة:223).

إلى هذا الحد من الجهل كانت الخلفية عن علم الأجنة إذ ما قالوه ليس له علاقة من قريب أو بعيد بأصول علم الأجنة و لا انتقال الصفات أو حدوث التشوهات الجنينية.

2- علم الأجنة في التاريخ الإنساني

لقد استمرت هذه الظنون الخاطئة متداولة عند كثير من العوام والحكماء أكثر من ألف وثلاثمائة سنة بعد عصر الرسول ﷺ حيث كان الفهم أن نمو الأجنة يستند إلى مبدئين:

المبدأ الأول: نظرية الخلق المسبق (theory preformation)

والتي تعني أن الجنين إنما يكون على هيئته في رحم الأم من البداية ثم يكبر حتى اكتمال نموه.

المبدأ الثاني:

نظرية الخلق المنفرد: أي أنه إنما ينشأ من أحد الأبوين لا كليهما...والذين

قالوا بهذا القول الأخير قد إنقسموا إلى فريقين:

الفريق الأول

يقول إن منشأ الجنين إنما يكون من الأم وليس للرجل دور سوى أنه يتسبب في بدء النمو. وقد انقسم هؤلاء إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

أنه ينشأ من دم الحيض..

وقد استقر هذا المبدأ عند الكثيرين قبل وبعد الإسلام بسنوات طويلة ومن العجيب أنه حتى بعض علماء الإسلام ممن ليس لهم باع طويل في التفسير الصحيح والسنة الصحيحة قد تأثروا بذلك الزعم وشاركوا فيه..

ولكن الراسخون في العلم من علماء الكتاب والسنة ردوا القول على قائله بما عندهم من العلم.

قال ابن حجر: وزعم كثير من أهل التشريع أن مني الرجل لا أثر له في الولد إلا في عقده وأنه إنما يكون من دم الحيض وأحاديث الباب تبطل ذلك. (1)

القسم الثاني:

أن الجنين إنما هو إفراز من الرحم و أول من نادى بهذا هو العالم هارفي 1651 حين نظر في رحم غزالة فوجد فيها جنيناً معلقاً بالرحم فظن أنه إفراز من الرحم.

القسم الثالث:

قالوا إن الجنين موجود على هيئته في بويضة الأنثى ثم يكبر بسبب الرجل والذي نادى بهذا الرأي هو العالم ملبيجي 1675.

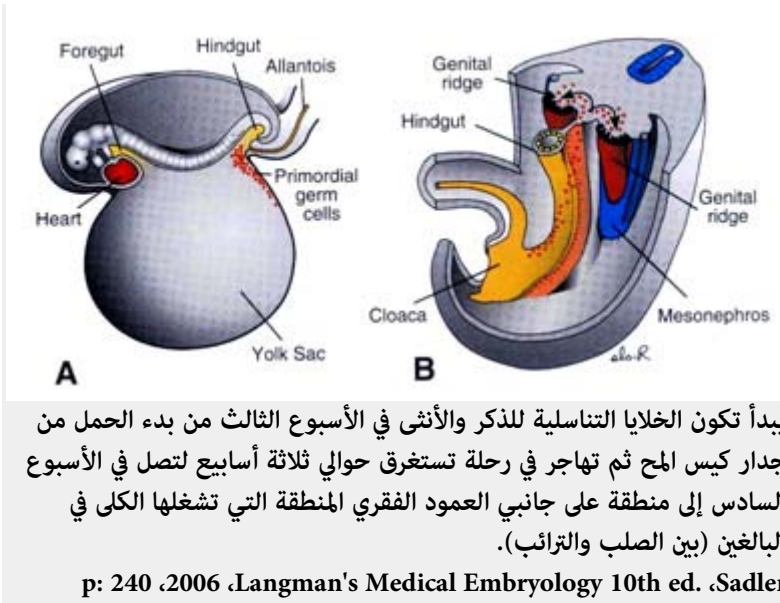
الفريق الثاني من علماء الغرب اعتقدوا أن الرجل هو وحده مصدر الجنين ثم يكبر في رحم المرأة و تبني هذا الرأي العالمان هرمان ولوينهوك



صورة للحيوان المنوي بداخلة جنين
كما كان متخيلاً في القرن السابع
عشر
Moore and Persaud, 1998, 5th ed., Before we are born
p: 9

.Herman and leeuuenhoch

وذلك بعد أن نظرا في الحيوانات المنوية وتصورا وجود طفلاً في رأس
الحيوان المنوى ورسموا لذلك رسماً مضحكاً بالنسبة للعلماء والعامة في
عصرنا هذا.



3- مصدر الخلايا التناسلية

حتى نتعرف من أين أتت الخلايا التناسلية التي سيجعلها الله سبباً في
تكوين الجنين.

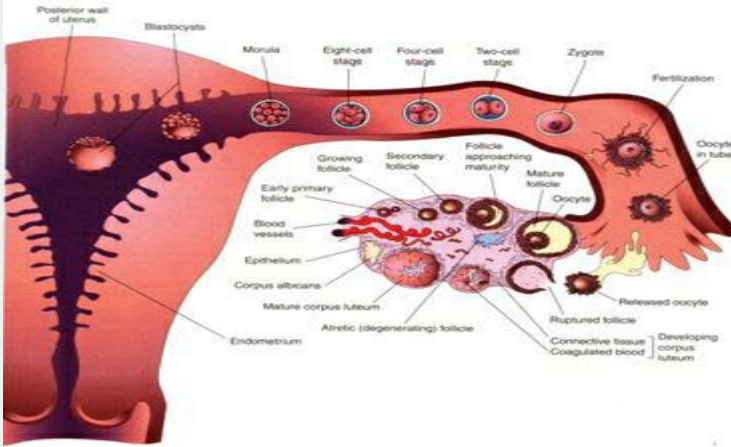
ننظر في الأم والأب وقد كانا أجنة في بطون الجدات..

حيث في المرحلة الجنينية تتحرك بعض الخلايا من كيس المح
لتمستقرعلى جانبي العمود الفقري للجنين
في منطقة إلتقاء العمود الفقري بالأضلاع
(المنطقة التي تشغلها الكلى حالياً)

ثم ترحل حتى تستقر على جانبي الحوض في الأنثى
وفي كيس الصفن في الذكر وتحمل معها في هذه المرحلة الأخيرة أوعيتها
الدموية والليمفاوية وتغذيتها العصبية،
فكلاً من المبيض والخصية يحصل على الدم من فرع من الشريان الأورطي
يخرج مقابل الفقرة القطنية الثانية
كما يحصل على تغذية عصبية من الحبل الشوكي مقابل الفقرة الصدرية
العاشرة القريبة من هذا المكان أيضاً، ولذلك
فإن كلاً من المبيض والخصية يظل مرتبطاً بالمكان الأول له والذي أفضل
وصف له أنه يخرج من بين الصلب والترائب وصدق الله تعالى حين قال
(خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ)
(سورة الطارق: 6-7).

فأشار إلى أصل المصدر في إشارة لطيفة معجزة. (2).

4 - النطفة



تلتقي نطفة الرجل ونطفة المرأة في الثلث الخارجي لقناة فالوب لتكون النطفة الأمشاج

5th ed. Before we are born.1998.Moore and Persaud

p:44

في بداية الدورة الشهرية للأنثى تبدأ بعض بويضات المبيض في النمو ولكن لا يكتمل منها إلا واحدة في اليوم الرابع عشر تقريباً من الدورة حيث تقترب من جدار المبيض في وسط حويصلة ثم ينفجر الجزء الملاصق للجدار وتخرج البويضة محاطة بتاج بديع (Corona Radiata)

ويسبقها سائل الحويصلة اللزج ليكون مشابه للبساط الذي يمهّد لها الوصول لأهداب قناة فالوب والتي تتحرك هي أيضاً لإلتقاطها.(3) وفي حين تخرج بويضة واحدة منتظره الإخصاب تخرج من الرجل في المرة الواحدة حوالي 100-200 مليون حيوان منوي تسبح في سوائل مغذية وتتحرك بسرعة هائلة بالنسبة لطولها، حتى يقدر أنه لو كانت بطول الإنسان ونافسته في سباق 100 متر عدو لقطعت المسافة في نصف الزمن الذي يقطعه أفضل عداء على وجه

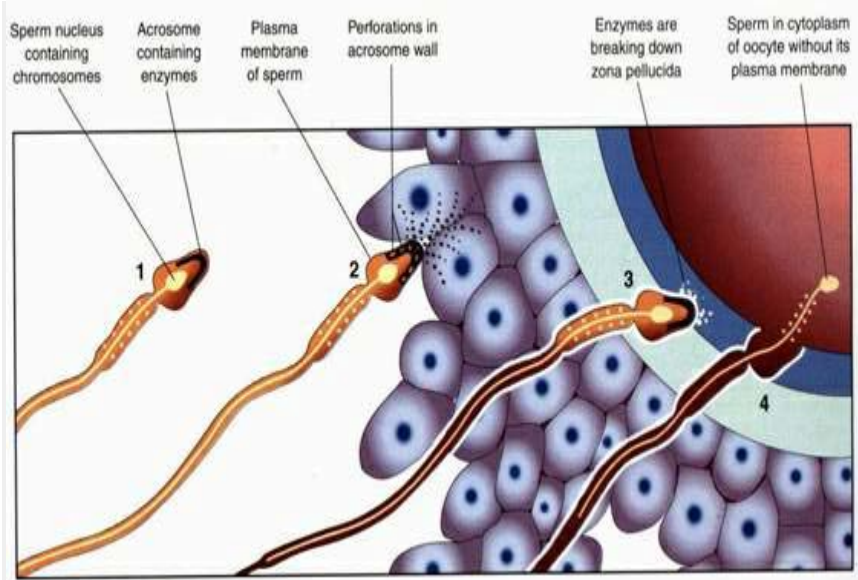
الارض...

ويصل حوالى 400 من هذه الملايين الى البويضة لتقابلها غالباً في الثلث الخارجى من قناة فالوب وبعملية معقدة جداً يتم إفراز إنزيمات معينة تساعد الحيوان المنوى على إختراق الطبقات المحيطة بالبويضة.

5- بدأ الخلق

ينجح حيوان منوي واحد فقط في إختراق الحواجز المنيعية المحيطة بالبويضة ويدخل إلى داخل سيتوبلازم البويضة التى تسارع بإفراز إنزيمات أخرى تمنع باقى الحيوانات المنوية من إختراق البويضة.. وبذلك يتقرر هنا ثلاث قواعد هامه:

القاعدة الأولى:



مراحل اختراق الحيوان المنوي للبويضة المخصبة

p:37 .5th ed. Before we are born.1998.Moore and Persaud

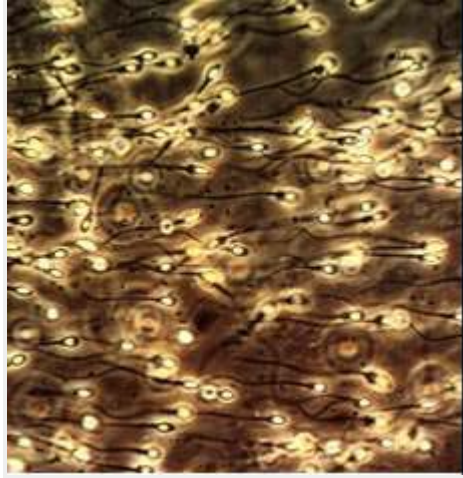
أن الخلق يبدأ بإتحاد عنصرين من الذكر والأنثى معاً وهذه الحقيقة القرآنية جهلها علماء الغرب حتى القرن الثامن عشر فجعلوا يخبطون خبط

عشواء في نسب الجنين الى الأم فقط أو الأب فقط.. قال الله تعالى
(إنا خلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاجٍ نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً)
(سورة الإنسان:2).

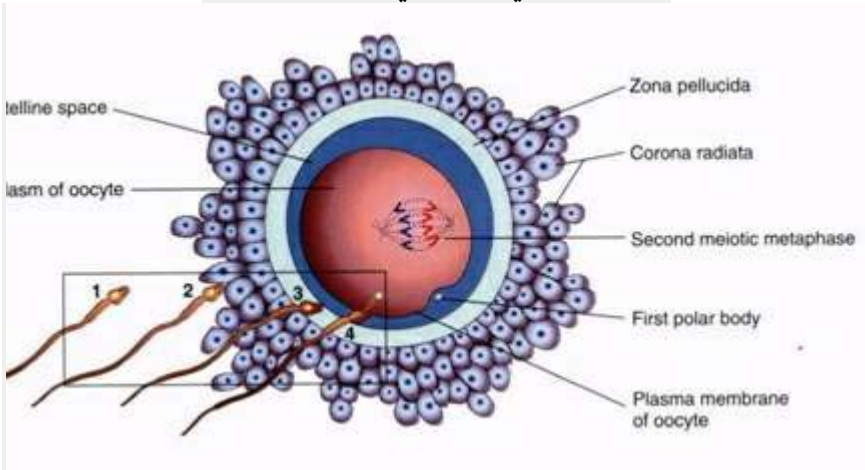
ولفظ النطفة في القرآن والسنة إما تأتي مطلقة كما في قوله تعالى:
(من نطفةٍ خلقه فقدره) (سورة عبس: 19).

والإشارة هنا تكون إلى الخلق من نطفةٍ ذكريةٍ أو أنثويةٍ.
أو تأتي موصوفة بأنها نطفة أمشاج كقوله تعالى
(إنا خلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاجٍ نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً)
(سورة الإنسان:2)

والأمشاج أي الأخلاط أي أنها نطفة مختلطة
وهذا هو المعجز هنا أن تقترن لفظة نطفة المفردة بلفظة الأمشاج الدالة
على الإختلاط وذلك للدلالة على أن هذه الخلية الواحدة (النطفة)
إنما هي مختلطة من أكثر من مصدر و المقصود هنا من الذكر و الانثى.
والرسول ﷺ يؤكد هذا المعنى بقوله حين سأله يهودي
" فقال يا محمد مم يخلق الإنسان، قال رسول الله ﷺ يا يهودي من نطفة
الرجل ومن نطفة المرأة " مسند الإمام احمد.
القاعدة الثانية:



يحتوي ماء الرجل على حوالي 200 مليون حيوان منوي
وسوائل متعددة
يشارك حيوان منوي واحد فقط في تكوين الجنين



تخرج البويضة من المبيض محاطة بغشاء وتاج مكون من مئات الخلايا.

تشارك البويضة فقط في تكوين الجنين

p:37. 5th ed. Before we are born. 1998. Moore and Persaud

أنه ليس كل ما خرج من البويضة أو من الرجل إلى رحم المرأة يشارك في تكوين الجنين فإنه يخرج من مبيض المرأة بويضة محاطة بغشاء ويحيط بالغشاء مجموعة كبيرة من الخلايا في شكل تاج

وتسبح في سائل جيلاتيني إلى أهداب قناة فالوب
وأما الرجل فإنه يدفع بحوالي 200 مليون حيوان منوي لا يدخل في تكوين
الجنين منها سوى حيوان منوي واحد فقط
وهذه الحيوانات المنوية تسبح في سوائل تُفرز من غدد مثل البروستاتا
والحوصلة المنوية حيث لا يشكل حجم الحيوانات المنوية جميعها
بالنسبة للحجم الكلي لهذه السوائل أكثر من 1%.

ومن الإعجاز المبهر قول الرسول ﷺ

" ما من كل الماء يكون الولد " صحيح مسلم- كتاب النكاح - باب العزل.

وهذا القول المعجز يلخص جهود آلاف العلماء لسنوات طويلة لبيان القدر
الضئيل من ماء الرجل اوماء المرأة الذي يشارك في تكوين الجنين.

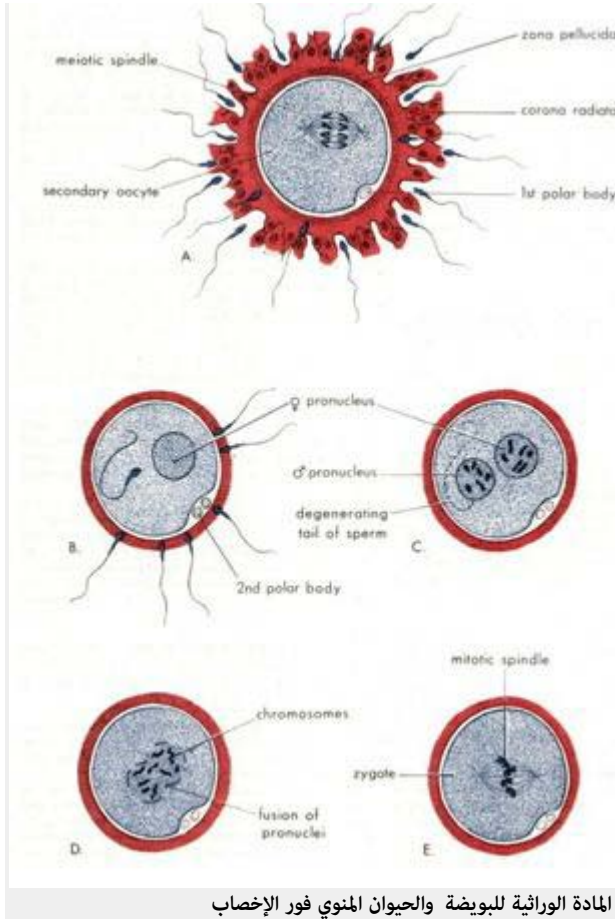
القاعدة الثالثة:

أن الجنين لا يوجد على صورته ثم يكبر ولكنه يخلق في أطوار كما قال تعالى
(ما لكم لا ترجون لله وقارا،وقد خلقكم اطوارا)
(سورة نوح:13-14). وقوله تعالى

(.....يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم
الله ربكم له الملك لا اله إلا هو فأنى تصرفون) (سورة الأنعام: 6).

وهذه القواعد الهامة تهدم كل المعارف والظنون البشرية من عهد
أرسطو وحتى القرن الثامن عشر.

6- التقدير



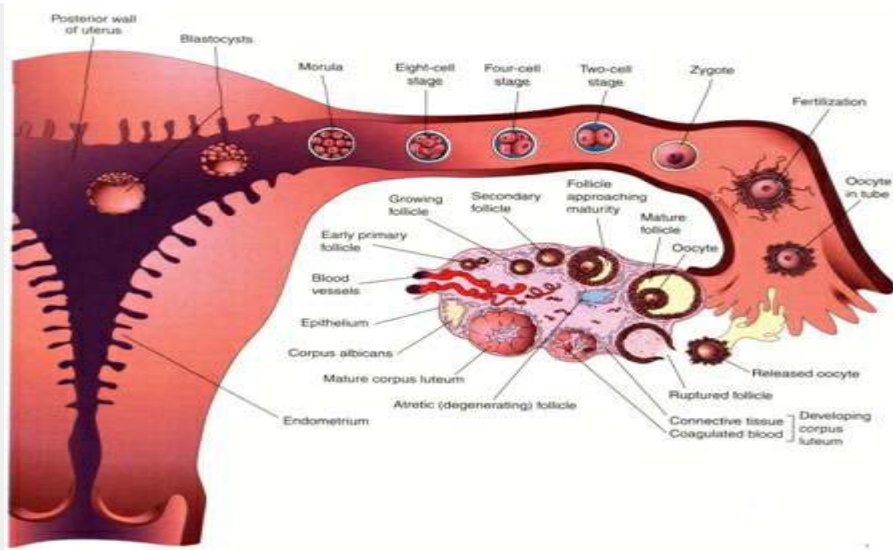
اندماج المادة الوراثية للبويضة والحيوان المنوي فور الإخصاب

ما أن يدخل رأس الحيوان المنوي إلى داخل بويضة الأنثى حتى يتضخم ويتحول إلى نواة ذكورية أولية تحتوي على 23 كروموسوم ($Y+22$) أو ($X+22$) بينما في نفس الوقت تتشكل نواه البويضة في صورة نواة أنثوية أولية ($X+22$)

ثم تفقد كل منهما الغلاف الخاص بها وتتحد الكروموسومات الموجودة في كل منهما في نظام دقيق ليعود عدد الكروموسومات في الخلية الجديدة إلى العدد الكلي للخلية البشرية (23 زوج من الكروموسومات).

وتحتوى هذه الكروموسومات على حوالي 100 ألف جين بشري يحدد إجمالي الشفرة الوراثية البشرية
ويبلغ عددها حوالي 3 آلاف مليون حرف وراثي.
لقد قدر الله تعالى لهذا المخلوق صفاته الوراثية وطوله ولونه وهيئته و
قدراته العلمية و الجسدية و الأمراض الوراثية التي قد يحملها و استعداده
للإصابة بالأمراض المختلفة.
لقد تم التقدير لهذا الجنين فور بدء خلقه ومن العجيب أن القرآن الكريم
يوضح هذه الحقيقة المعجزة فيقول الله تعالى
(من نطفةٍ خلقه فقدره) (سورة عبس: 19).
فأعقب بدء الخلق (إتحاد الحيوان المنوي مع البويضة)
بالتقدير
(وهو اجتماع وترتيب المورثات التي تحمل الصفات الوراثية لهذا الجنين).

7- الفلق



من اليوم التالي للإخصاب، تتوالى حدوث الانقسامات بالبويضة المخصبة

p: 44 ced. 5th «Before we are born «1998 «Moore and Persaud

تتحرك النطفة الأمشاج في قناة فالوب حتى تجويف الرحم في اليوم الخامس تقريباً....

أثناء هذه المسيرة فإنها تأخذ في الانقسامات المتوالية التي يستغرق كل انقسام منها في البداية من 12-24 ساعة لتتحول النطفة الأمشاج إلي خليتين ثم إلى 4 خلايا ثم إلى 8 خلايا ثم إلى 16 خلية وهو بداية طور التوتة (Morula) التي تدخل إلى تجويف الرحم وتستمر في الانقسام وهذا النظام البديع وهو تكوين الجنين من انقسام الخلايا (الْفَلَقُ) لا يَشِدُّ عنه أي كائن حتى الكائنات وحيدة الخلايا كالبكتيريا حيث تتكاثر بالانقسام.

والكائنات عديدة الخلايا تتكون من ملايين الانقسامات المتتالية ليتكون منها في النهاية المخلوق.

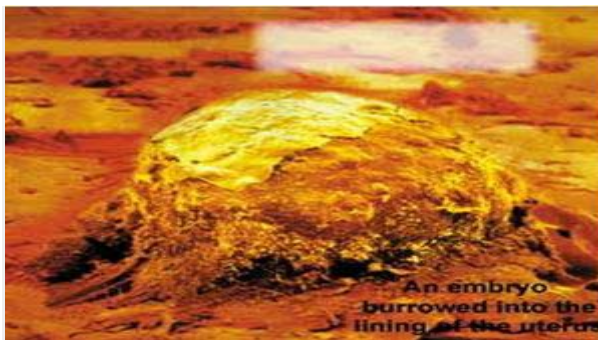
ولا عجب أن يشير القرآن إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى (قل أعوذ برب الفلق) (سورة الفلق:1).

والفلق هنا في معنى اسم مفعول بمعنى مخلوق،

فكل كائن حي مخلوق هو في حقيقته مفلوق

لهذا قال ابن عباس في تفسير هذه الآية عندما سئل عن الفلق فقال (الخَلْق)(4).

8- الحرت



بويضة مخصبة بعد دفنها في جدار الرحم

بعد وصول التوتة إلى تجويف الرحم، يظهر فيها تجويف تتحول معه إلي ما

يسمى بالكيس الخلوي (Blastula)

ثم تتميز الخلايا إلى طبقتين:

1- طبقة داخلية (Inner cell mass)

وهي التي سيتكون منها الجنين

2- وطبقة خارجية (Outer cell mass)

وهي التي ستشارك في مسؤولية تغذية الجنين.

وهذا التميز يتشابه مع جنين النبات الذي يوجد في المنطقة الداخلية

ومحاطاً بخلايا خارجية.

وفي نهاية الأسبوع الأول تكون قد وصلت إلى موضعها المناسب لتتغرس في

جدار الرحم.

إن مقارنة البذرة الإنسانية بالبذرة النباتية ومقارنة تربة الأرض التي تحتاج

إلى تمهيد وإزالة للطبقة السطحية مع إضافة طبقة جديدة قبل غرس البذرة

ببطانة الرحم التي يتم تمهيدها خلال الدورة الشهرية لتزال الطبقة

السطحية و تنمو طبقة جديدة لتكون في أفضل حالاتها وقت انغماس

البذرة..

هذه المقارنة تجعلنا نشعر بالمعجزة في أن يستعمل القرآن الكريم لفظ

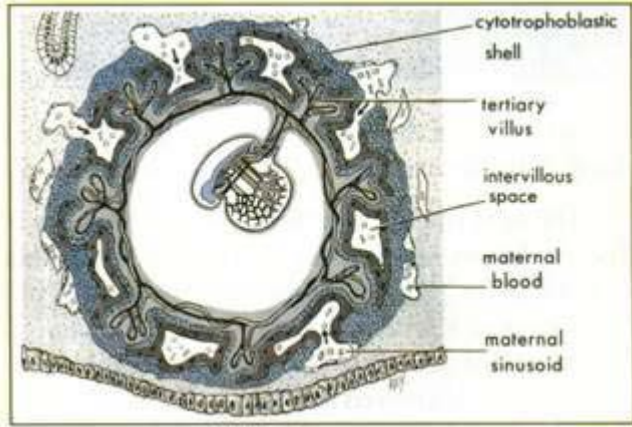
(الحرث) الذي يستعمل للنبات في معرض الحديث عن النشأة الجنينية للإنسان. قال تعالى

(نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) (سورة البقرة: 232).

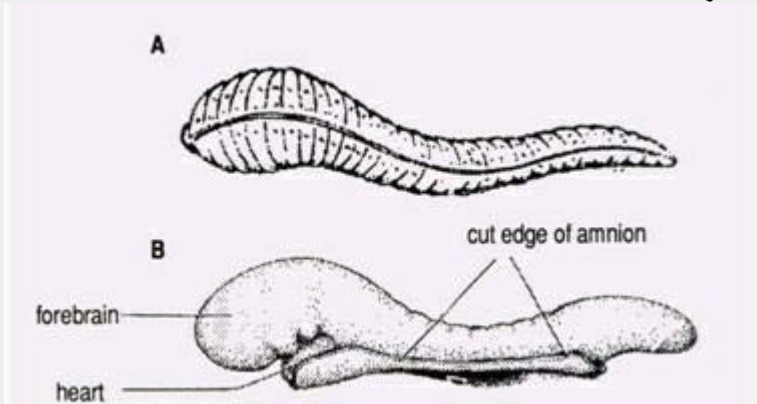
9- العَلَقَة

"الأسبوع الثاني والثالث "

الجنين



أ()



الجنين يعلق بالمشيمة بواسطة ساق اتصال ابتداءً من الأسبوع الثاني ليحصل على غذائه متطفلاً على دم الأم (أ)، ويكون شكله مثل طفيل العلق (ب).

بعد اكتمال إنغراس البذرة الإنسانية في جدار الرحم في الأسبوع الثاني تتميز الطبقة الداخلية للجنين إلى طبقتين (Bilaminar) بينما تتعلق الطبقة الخارجية بجدار الرحم بواسطة ساق التعلق (Connecting stalk) للحصول على الغذاء من دم الأم. وفي الأسبوع الثالث تتكون طبقة ثالثة بين الطبقتين وبذلك تكتمل الطبقات الثلاث التي سينشأ بإذن الله منها جميع أجهزة الجسم (Trilaminar).

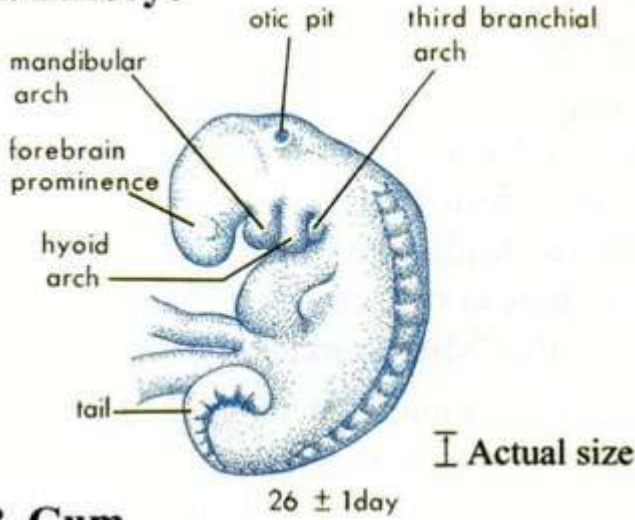
وتتميز منطقة الرأس من منطقة المؤخرة ويأخذ الجنين الشكل الدودي سابحاً في السائل المحيط ومتغذياً عليه ومتعلقاً بجدار الرحم وهو بذلك يشبه طفيل العلق الموجود في البرك في نواحي كثيرة منها:

- 1- الشكل الدودي
 - 2- السباحة في وسط سائل
 - 3- تعلق طفيل العلق بكائن آخر.
 - 4- تغذية طفيل العلق على دماء هذا الكائن الآخر.
- وصدق الله العظيم إذ يقول: (خلق الإنسان من علق) (سورة العلق:2). وقال تعالى (ثم خلقنا النطفة علقه) (المؤمنون: 14)

10- المضغة

" الاسبوع الرابع إلى أربعين يوماً "

A. Embryo



B. Gum



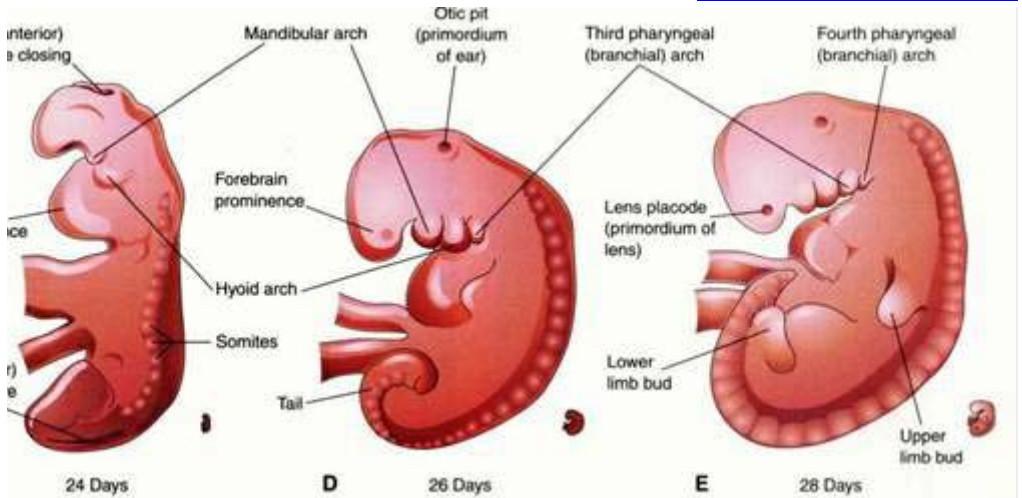
جنين خلال مرحلة المضغة (هنا في الأسبوع الرابع)

ابتداءً من اليوم الرابع والعشرين في الأسبوع الرابع وحتى الأسبوع السادس تظهر على جانبي مبادئ العمود الفقري للجنين نتوءات.. ويتقوس الشكل الخارجي للجنين بسبب حدوث انثناءات في جسم الجنين (Somites)

نظراً لاختلاف معدل نمو أجزائه المختلفة.
ويكون أفضل وصف للجنين في هذه المرحلة هو وصف المضغة نظراً

للشكل المنثني المميز ولوجود النتوءات التي تشبه مواضع الأسنان على قطعة صغيرة من اللحم الممضوغ ويكون طول الجنين في هذه المرحلة حوالي 1-2 سم مما يجعله في حجم ما يمضغ، وصدق الله العظيم إذ يقول
(ثم خلقنا النطفة علقه...) (المؤمنون: 14)

11- مخلقة وغير مخلقة



صور جانبية لجنين في الأيام 24، 26، 28 على التوالي تظهر التتابع السريع في شكل الجسم خلال هذه الفترة مع بداية تكون الأطراف

p:89، 5th ed.، Before we are born، 1998، Moore and Persaud

إن الجنين في مرحلة المضغة يحتوي علي أصول جميع أجهزة الجسم

(الجهاز الدوري - التنفسي - الهضمي - البولي)

فأوليات جميع الأجهزة قد إكتمل تشكيلها ولكن تفاصيل هذه الأجهزة لم تكتمل بعد..وأيضاً فإن بعض الخلايا قد تخصصت

(Differentiated)

ولكن بعضها ما زال غير متخصص في صور خلايا غير متميزة

والعجيب أن القرآن الكريم يصف المضغة بهذا الوصف
(مخلقة وغير مخلقة) ولاحظ إستعمال القرآن الكرسم للفظ (مخلقة)
ولم يستعمل لفظ (مخلوقة)

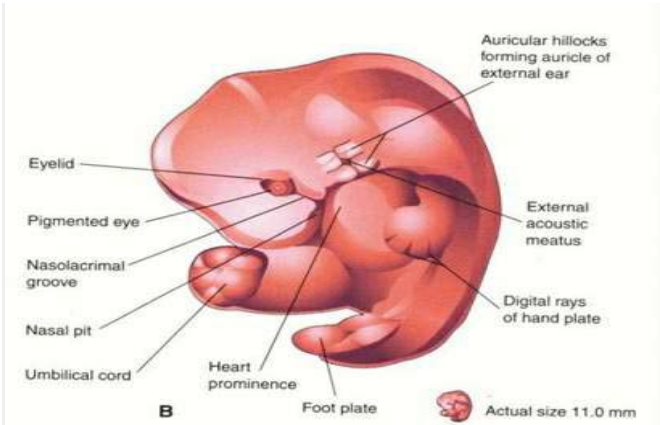
فكل الخلايا في هذه المرحلة (مخلوقة)
ولكن بعضاً منها ما زالت غير مُخلقة وغير مُخلقة:-

تعنى عدم إحكام الصنعة
فهي ما زالت غير محكمة الصنعة حيث بعض الخلايا لم تتخصص في
وظيفتها كما أن الأجهزة ما زالت في صورة أولية،
فجمع الجنين في هذه المرحلة بين وصف (مُخلقة)
من حيث إكمال تشكيل المضغة في ذاتها على أحسن هيئة وتخصص بعض
خلاياها

وبين وصف (غير مخلقة) من حيث عدم إكمال صفة الأجهزة وعدم
تخصص كثير من الخلايا والله تعالى أعلم.

قال تعالى(....ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم....)
(سورة الحج:5).

12- جمع الخلق



صورة لجنين في اليوم الثاني والأربعين من عمره وقد ظهر الرأس
وبدايات تكون العينين والأذنين وأصابع اليدين
'Before we are born', 1998, Moore and Persaud
p:94, 5th ed.

يصف الرسول ﷺ الجنين في هذه المرحلة بلفظة معبرة فيقول ﷺ
(إن أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بطن أمه أربعين يوماً. ثم يكون في ذلك علقة
مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك....الحديث)
(صحيح مسلم).

إن طور المضغة في أواخر الأسبوع السادس (40-42 يوم)
يتميز بعدة خصائص:

- 1- يكون طوله في حدود 1 سم. أي في حيز صغير جداً
 - 2- يكون على هيئة مقوسة وبذلك يكون طرفاه مجموع أحدهما الي الآخر
 - 3- تجتمع بداخله بدايات جميع أجهزة الجسم.
- فحق لنا أن نقول أنه قد تم (جمع خلقه) في هذه المرحلة وصدق الرسول ﷺ

جاء الحديث الشريف بثلاثة روايات لأئمة الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه:

رواية البخارى الصحيحة- رواية مسلم الصحيحة - رواية أبوعوانة (وهى ضعيفة السند رغم شهرة النص)

رواية أبو عوانة لو اعتبرناها لفسد المعنى حيث لفظها عنده:

(إن أحدكم يُجَمَعُ خَلْقُهُ فِي بطن أمه أربعين يوماً نطفة)

وهذا معناه أن النطفة تستمر الي اليوم الأربعين

ولكن الرواية الصحيحة هي رواية الإمام البخاري: عن عبد الله قال:
حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال:

(إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع برزقه وأجله وشقي أو سعيد فوالله إن أحدكم أوالرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها)
(صحيح البخاري/كتاب القدر/في القدر).

ولكن هناك أيضاً زيادة هامة عند الإمام مسلم، والنص عنده هو

: عن عبد الله قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق:

(إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) (صحيح الإمام مسلم / كتاب القدر / كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله).

والزيادة في نص الحديث عند الإمام مسلم هي قوله ﷺ
(في ذلك علقة مثل ذلك)

و(في ذلك مضغة مثل ذلك)

فلفظ في ذلك أي خلال نفس المدة مما يعني أن المراحل الثلاث تتم جميعاً في الأربعين الأولى.

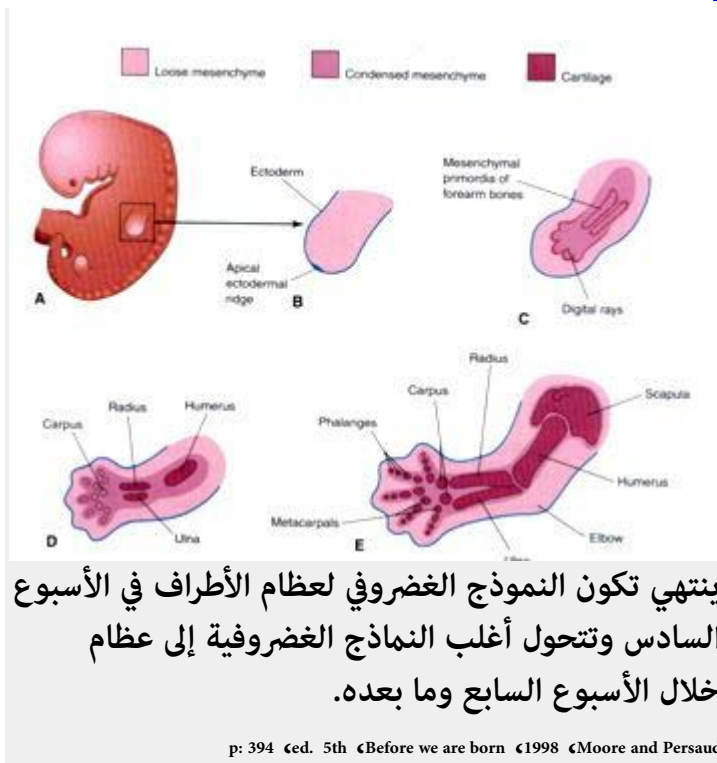
والزيادة التي في صحيح مسلم هي زيادة ثقة ويجب إضافتها الى النص لإكتمال المعنى حسب مبادئ علم مصطلح الحديث وبذلك يكون المعنى:
إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً
ثم إنه يكون في هذه الأربعين أيضاً علقة تامة الخلق مكتملة التكوين
وبذلك يكون في هذا الحديث دروس عظيمة من دروس علم مصطلح الحديث:

1- حسن الثبوت من صحة الحديث، فإن رواية أبوعوانه الضعيفة تفسد المعنى.

2- أهمية دراسة جميع طرق الحديث ونصوصه المختلفة.

3- أهمية إعتبار الزيادة في حديث الثقة عند دراسة النص حتى يكتمل المعنى مثلما إعتبرنا لفظ (في ذلك) للإمام مسلم عند دراسة نص الإمام البخارى وبذلك كانت صيغة الإمام مسلم لهذا الحديث هى أقرب وأكمل صيغة له.

13- العظام



إذا كان انتهاء المضغة في نهاية الأسبوع السادس كما يوضح ذلك نص

حديث الرسول ﷺ في البخارى ومسلم والنص لمسلم.

(إن أحكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً.....)

وكما أكد ذلك أيضاً العلم الحديث من أن هذه المضغة في الجنين من حيث جمعها وشكلها ورسمها التى تشبه قطعة اللحم تستمر في الأسبوع

الخامس والسادس..

فإن خلق العظام يبدأ في الأسبوع السابع حيث أن النموذج الغضروفي للعظام يتكون غالباً خلال الأسبوعين الخامس والسادس ومن المعجز أن القرآن الكريم يعبر عن هذا التتابع بحرف (ف) الذي يدل على الترتيب مع التعقيب فيقول الله تعالى (فخلقنا المضغة عظاماً) (المؤمنون: 14).

إن خلق العظام يبدأ من نقاط تعظم موجودة في النموذج الغشائي أو النموذج الغضري الذي يتحول تدريجياً إلى عظام. حيث يبدأ التعظم من نقطة محددة وينشز في حلقات دائرية حتى تكتمل المهمة والقرآن الكريم قد أوضح هذه الحقيقة بإشارة لطيفة.. حيث استعمل لفظ (نشز) الذي يدل على الانتشار في موضعين، الأول في قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل لكم انشزوا فانشزوا....) (سورة المجادلة: 11).

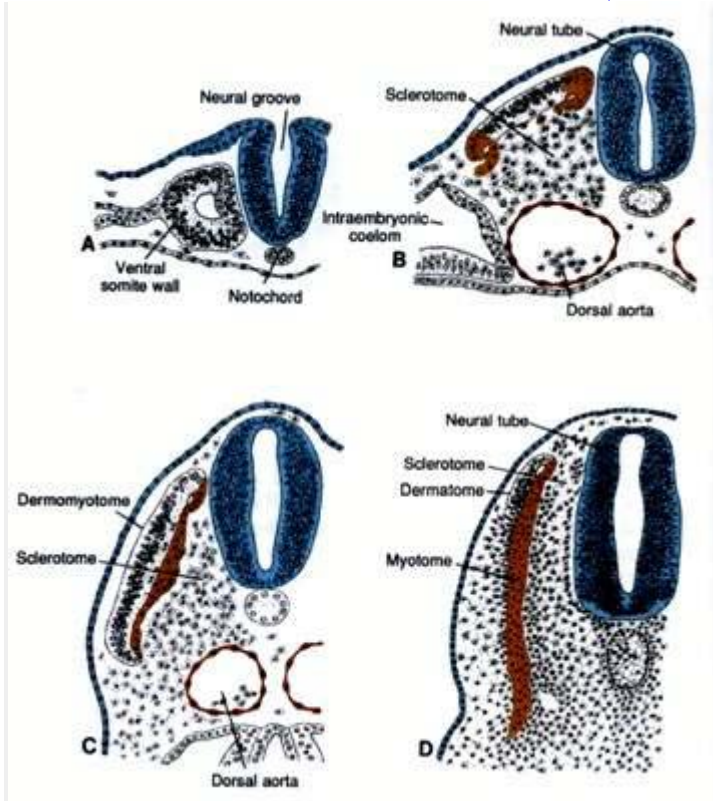
حيث يكون نشز الجمع من الناس إستيعاباً للزيادة من القادمين الجدد وذلك بالتراص في دوائر مع التوسعة من المنتصف فتنظم الحلقات ويتم إستيعاب الزيادة.

وجاء إستعمال نفس اللفظ في تخليق العظام، قال تعالى
(....وانظر إلى العظام كيف **نُنشَرُهَا** ثم نكسوها لحماً...)

(سورة البقرة: 259)

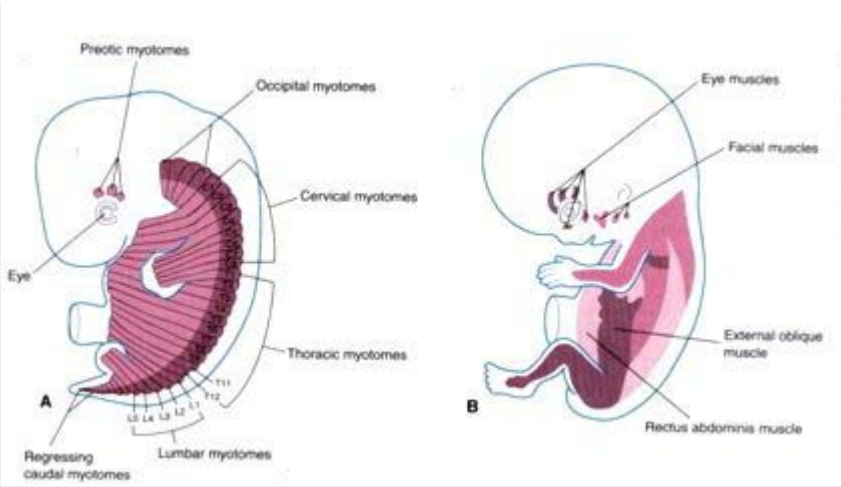
حيث تتسع حلقات العظام الصلبة وتنتشر من المنتصف إلى الأطراف. وعلى هذا يكون اللفظ المعجز للدلالة على بدايات تكوين العظام ثم انشازها هو لفظ (نشزها) الذي استعمله القرآن الكريم.

14- فكسونا العظام لحماً



كقاعدة اساسية: يسبق انتشار الخلايا الأولية المكونة للعظام (Sclerotome) انتشار الخلايا الأولية المكونة للحم (Myotome) ، حيث تنتشر الخلايا الأولية المكونة للحم لتغطي الخلايا الأولية المكونة لعظام

p: 75 .2006.Langman's Medical Embryology 10th ed. Sadler



الشكل يوضح مصدر الخلايا الأولية المكونة للعضلات من القطع الجسدية خلال الأسبوع السادس
والشكل يوضح الإنتشار الفعلي للأنسجة العضلية في الأسبوع الثامن

p: 402 .5th ed. Before we are born.1998.Moore and Persaud

إذا كان خلق العظام يكون في الأسبوع السابع فإن تغطيتها باللحم يتبع ذلك في الأسبوع الثامن مباشرة

وقد عبر القرآن الكريم عن تطور الجنين في هذه المرحلة بتعبير معجز مع قلة عدد كلماته وعظيم معانيه.. قال تعالى

(.... فكسونا العظام لحماً...) (المؤمنون: 14).

وأبسط الاستنتاجات من الآية وفقاً لأصول اللغة العربية تنطبق على أحدث المعارف العلمية حيث أنها:

أولاً: تدل على أن خلق العظام يتم قبل خلق اللحم وهذا قمة الدقة في الصدق،

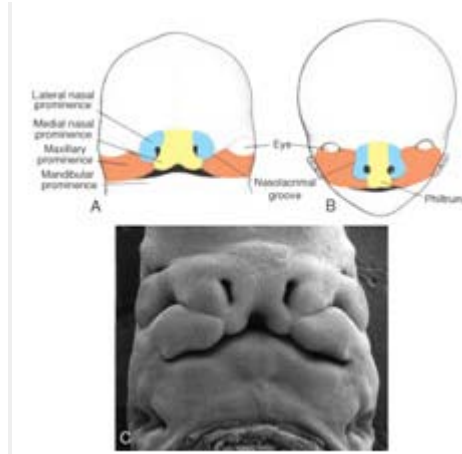
فالعظام تنشأ في الأسبوع السابع وتكسى باللحم في الأسبوع الثامن ثانياً: تدل على التعاقب بين الخلقين

وذلك مستنتج من حرف (ف) الذي يدل على التعقيب مع السرعة.

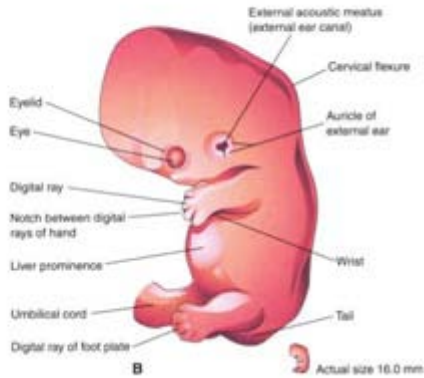
ثالثاً: لفظ الكساء باللحم هو أفضل وصف بين العظام و اللحم

حيث تكسى العظام باللحم كما يكسى الرجل الثوب
فكلاً من اللحم والعظام يبدأ في التخلق من البروزات الموجودة على جانبي
بدايات العمود الفقري في مرحلة المضغة
ثم تنتشر الخلايا الأولية المكونة للعظام ويتبعها الخلايا الأولية المكونة
للحم ويكون كساء اللحم للعظام تالياً لتشكيل العظام.

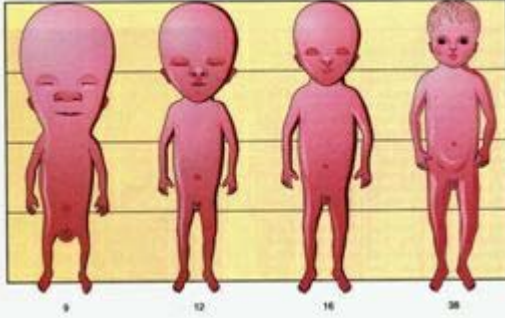
15- النشأة خلقاً آخر



(ب) (Sadler 'Langman's Medical Embryology 9th ed '2004, p:389

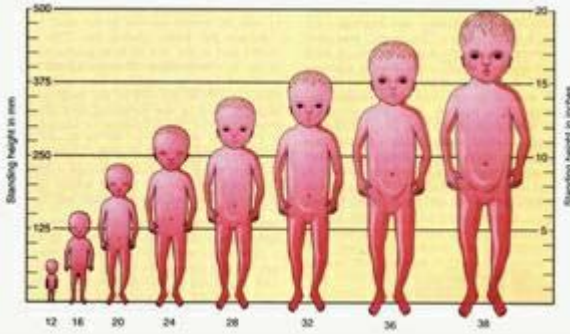


(ب) (Moore and Persaud 'Before we are born '1998, 5th ed.



(ج)

Before 1998, Moore and Persaud
p:105, 5th ed. 'we are born



(د)

1998, Moore and Persaud
5th ed. 'Before we are born
p:37

- (أ) في البداية: العينان متباعدتان على جانبي الرأس وموضع الأذنين إلى الأسفل والأنف في صورة فتحتان متباعدتان وفتحة الفم متسعة.
- (ب) جنين في نهاية الأسبوع السابع من الحمل. العينان على جانبي الرأس، الأذنان في موضع أسفل من الوضع الطبيعي.
- (ج) الرأس تمثل نصف طول الجسم في بداية الشهر الثالث، ثلث طول الجسم في نهاية الشهر الخامس،

ربع طول الجسم عند الولادة.

(د) طول الجسم حوالي 7 سم في نهاية الشهر الثالث،

يصل إلي حوالي 50 سم في نهاية الحمل.

ابتداءً من الأسبوع التاسع (بداية الشهر الثالث)

وحتى نهاية الحمل يكون أهم ما يميز الجنين في هذه المرحلة صفتان:

الصفة الأولى: النمو السريع في الطول و الوزن من مضغة يبلغ طولها حوالي

2-3 سم و وزنها نحو خمسة جرامات في نهاية الأسبوع السابع

إلى طفل مكتمل النمو

طوله حوالي 50سم و وزنه نحو ثلاثة كيلوجرامات و نصف عند الولادة وهو

معدل نمو سريع جداً لا يتكرر باقي العمر

وهذه الصفة المميزة قد عبر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى

(... ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)

(سورة المؤمنون:14). و النشأة هي الزيادة و النمو.

الصفة الثانية:

تعديل نسب أجزاء الجسم المختلفة الخارجية والداخلية وأماكنها:

(أ) في البداية تكون الرأس طولها حوالي نصف طول الجسم

والعينان متباعدتان على جانبي الرأس

وموضع الأذنين إلى الأسفل

والأنف في صورة فتحتان متباعدتان

وفتحة الفم متسعة

والجسم مقوس بشدة فيعتدل كل ما سبق

فيكون طول الرأس يماثل ربع طول الجسم عند الولادة

ويعتدل وضع العينين في مقدم الوجه

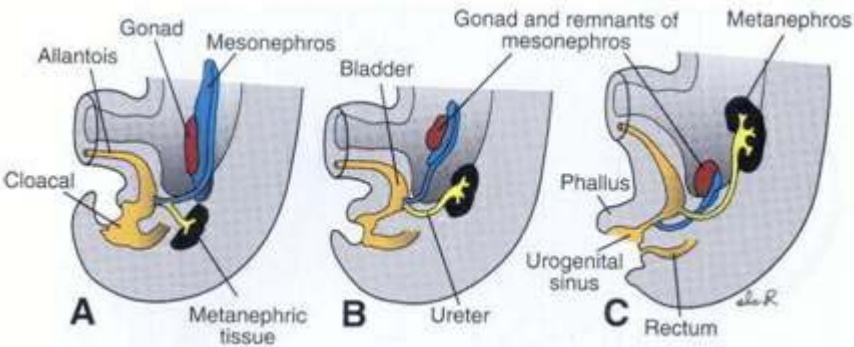
ويرتفع موضع الأذنين وتتقارب فتحتا الأنف وتصغر فتحة الفم

كما يعتدل تقوس الجسم.

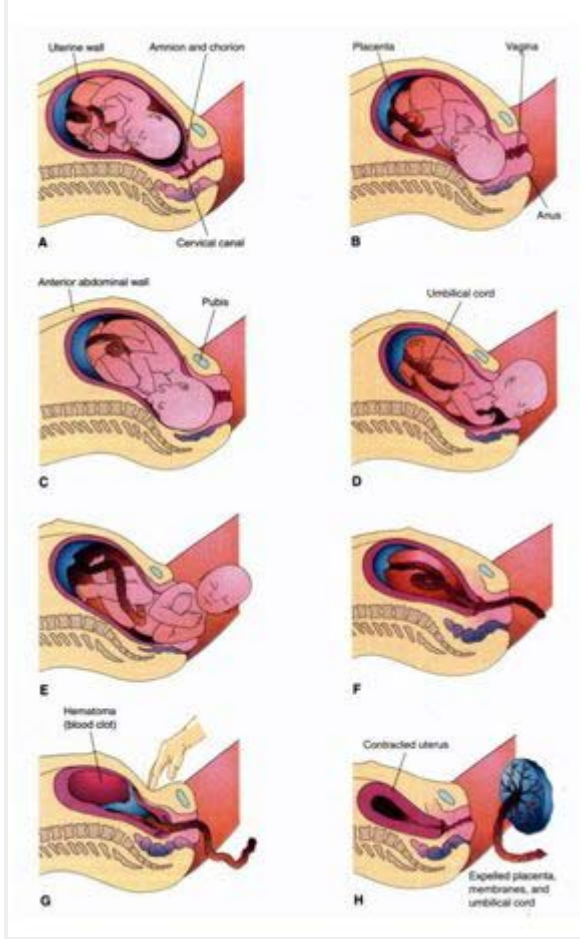
ب) أما الأعضاء الداخلية فتتزل الخصية من الظهر على جانبي العمود الفقري إلى كيس الصفن في الذكور أو ينزل المبيض من الظهر على جانبي العمود الفقري إلى جانبي تجويف الحوض في الإناث بينما تصعد الكلى من الحوض إلى جانبي العمود الفقري إلى غير ذلك مما يطول سرده وهذه الأعضاء الداخلية هي ما تعرف في علم الأجنة باسم الأعضاء المهاجرة (organs Migrating).

وهذه الصفة..وهى التعديل..قد عبر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى
(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ، الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ)
(سورة الانفطار:6-7)

وبذلك فإن القرآن الكريم لم يكتف بالإشارة إلى النشأة و التعديل كمرحلة من مراحل تطور الجنين بل وضعهما أيضاً في الترتيب الزمني الصحيح كآخر مراحل خلق الجنين قبل الولادة.



تتكون الكلى في البداية في تجويف الحوض ثم تهاجر لتتصعد إلى مكانها المعتاد
Sadler، Langman's Medical Embryology 10th ed، 2006، p:236



،1998 ،Moore and Persaud
،5th ed. ،Before we are born
p:135

كيف يخرج الجنين المكتمل النمو من رحم الأم إلى الخارج ؟
إن عملية الولادة هي عمل معجز.

فطوال الحمل كان جسم الرحم مرتخياً ليستوعب الجنين وكان عنق الرحم مغلقاً بإحكام وإلا حدث السقط.

ولكن عند بدء عملية الولادة يتم إفراز هرمونات تؤدي إلى إنعكاس هذا الوضع
فيبدأ عنق الرحم في الإرتخاء و القصر و اللين حتى يختفي عند الولادة
الفعلية

بينما يبدأ جسم الرحم في الإنقباضات المتوالية ليدفع بالجنين إلى الخارج
كما أن الهرمونات تؤدي إلى إرتخاء أربطة مفاصل الحوض
فتسمح بحركة خفيفة في عظام الحوض عند مرور الجنين مفسحةً له مكاناً
أوسع لتيسير له طريق الخروج من الرحم.

والجنين نفسه لا يخرج على هيئته وحوله كيس ممتلئ بالماء
بل ينفجر كيس الماء أولاً في الغالب ليندفع الماء إلى الخارج فيغسل مجرى
خروج الجنين بما يحتويه من مطهرات فيمنع عنه ما شاء الله من البلاء.

وأخيراً فعند خروج الجنين يتحرك حركات نصف دائرية
وينثني ثم ينفرد في حركات متتابعة دقيقة لا يمكن أن يكتب له الخروج
بدونها في تتابع دقيق محكم ضمن خطة كاملة لإخراج هذا الجنين من
ضيق الرحم إلى سعة الحياة وصدق الله العظيم إذ يقول تعالى:

(من نطفة خلقه فقدره، ثم السبيل يسره) (سورة عبس: 19-20).

17- أسس وضع المصطلحات العلمية في علم الأجنة



شكل يوضح حساب مراحل نمو الجنين حسب تقسيم العالم (كارنيجي) إن المصطلح العلمي

حتى يحقق الغرض منه يجب أن تتحقق ثلاث أسس هامة هي:

- أن يكون المصطلح واصفاً للمظهر الخارجي.
- أن يعكس العمليات الداخلية التي تحدث في كل طور.
- أن يتحاشى الالتباس عند بداية كل مرحلة ونهايتها.
- واستعمال القرآن الكريم للألفاظ:
- نطفة - علقه - مضغة - عظام - لحم - نشأة - تعديل،
- هو أدق و أبسط مصطلح يحقق هذا الغرض.

فلفظ نطفة يدل على قطرة من سائل

و هو هنا ماء الرجل و المرأة

و في إضافة أمشاج إليها في بعض الآيات تفصيل معجز

للدلالة على بدأ الخلق بإتخاذ نطفة الرجل و المرأة

و ما فيهما من مادة وراثية.

و هي تظل على صورة القطرة حوالي الأسبوع الأول من الحمل.

ولفظ علقه الذي جاء بعد النطفة يصف مظهر هذا الطور

وهو يسبح متعلقاً بجدار الحوصلة و متطفلاً في تغذيته على دماء الأم المحيطة بالحوصلة لعدم وجود قلب به وهو مع ذلك يشبه طفيل العلق المعروف ويستمر على هذا الشكل في الأسبوعين الثاني والثالث.

ولفظ مضغة يصف مرحلة الأسبوع الرابع والخامس والسادس والتي تتميز ب بروز النتوءات الجانبية التي تجعل شكل الجنين مثل قطعة اللحم الممضوغة و التي لا يتجاوز طولها 1-2سم.

و بينما يكون أظهر حدث في الأسبوع السابع هو بداية تكون العظام،

فإن أوضح أحداث الأسبوع الثامن هو كساء العظام باللحم.

وهذه الأطوار المتعاقبة قد عُبر عنها في سرعة تعاقبها في قوله تعالى

(ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة....)

(سورة المؤمنون: 14)،

ثم يأتي الترتيب في نشأة العظام وكساؤها باللحم و استعمال حرف العطف (ف) في قوله تعالى

(...فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً....)

(سورة المؤمنون: 14)

و أخيراً وصف المرحلة الأخيرة بالنشأة حيث النمو و تضاعف الحجم و التعديل حيث تتعدل نسب الجسم و أماكن الأعضاء.

ولإن ذلك يستغرق مدة طويلة فقد استعمل القرآن الكريم لفظ (ثم) الدال على الترتيب مع التراخي.

لقد احتار العلماء في كيفية وصف المراحل المعقدة لتطور الأجنة فوصفها بعضهم حسب الأسبوع

فيقول يحدث في الأسبوع الأول كذا ويحدث في الأسبوع الحادي عشر كذا، ووصفها بعضهم حسب المراحل فقال يحدث في المرحلة الأولى...والمرحلة

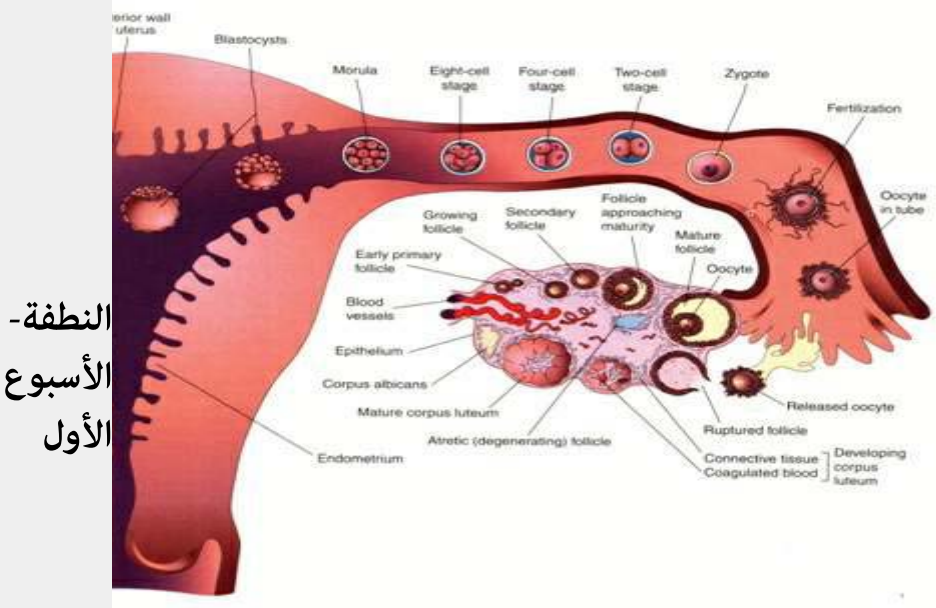
الثانية..... والمرحلة الخامسة عشر... وهكذا...

وهذه المصطلحات لا معنى لها عند غير المتخصصين،

فغير المتخصص لا يمكنه أن يستحضر شكل الجنين في الأسبوع الثامن أو خصائصه في المرحلة الحادية والعشرين.

ولكل إذا أطلق لفظ نطفة - علقه - مضغة - عظام - لحم - نشأة.

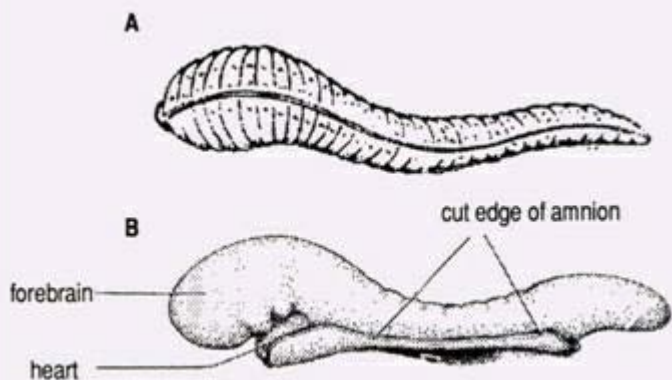
فإن المصطلح يعطي المعنى المطلوب تماماً عند المتخصص وغير المتخصص على السواء مع ما عند المتخصص من العلم الإضافي في هذا المجال.



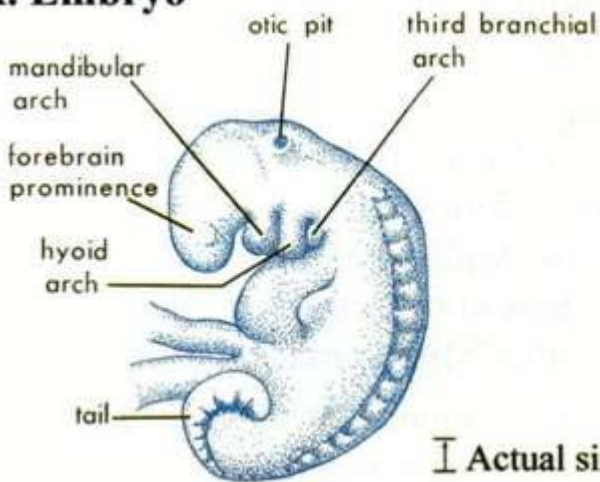
5th ed. Before we are born. 1998. Moore and Persaud

p:44

العلاقة -
الأسبوع
ين الثاني
والثالث



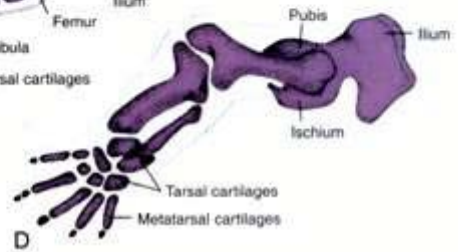
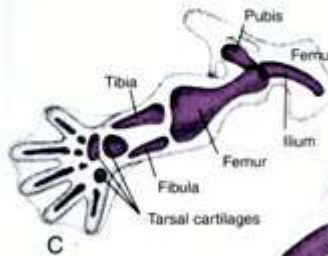
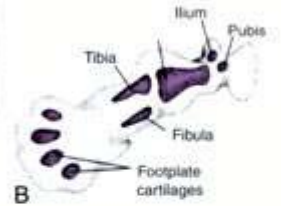
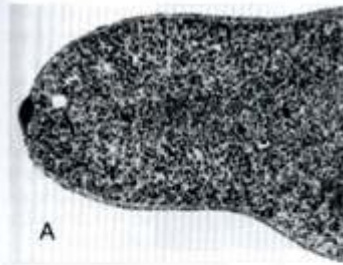
A. Embryo



26 ± 1day

B. Gum

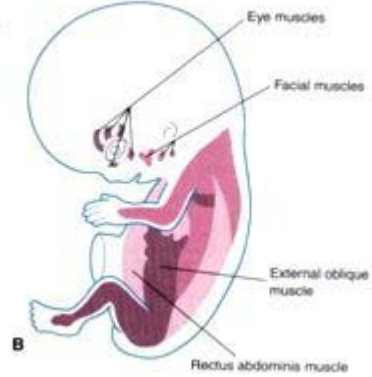
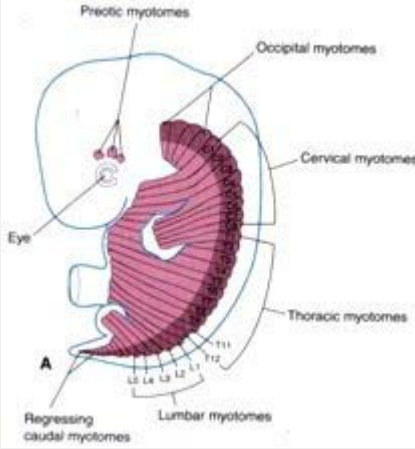
المضغة - الأسابيع
5-4-3



العظام الأسبوع
السابع

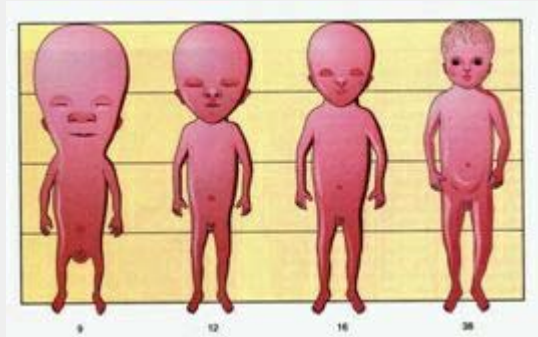
2006.Langman's Medical Embryology 9th ed.Sadler
p:184

اللحم الأسبوع
الثامن



5th ed. Before we are born.1998.Moore and Persaud
p:402

النشأة خلقاً آخر
الأسبوع التاسع-
إلى آخر الحمل



5th ed. Before we are born.1998.Moore and Persaud
p:105

ولذلك فقد قدم واحدٌ من أعظم علماء علم الأجنة في هذا المجال وهو العالم الكندي "kethmore" بحثاً لأحد المؤتمرات العلمية عام 1989 مقترحاً تعديل أوصاف الجنين عند تدريسها لطلاب الطب لتتطابق مع الألفاظ القرآنية بإعتبارها أفضل وصف معبر عن كل مرحلة. لقد أظهرت هذه الآيات المبهرات صدق القرآن الكريم كما قال تعالى

(وقل الحمد سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون)
(سورة النمل: 93).

كما أعطت دليلاً مبهرًا على البعث بعد الموت قال تعالى
(يأيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلناكم من كتاب ثم من
نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم....)
(سورة الحج: 5).

فثبتت بحمد الله العقيدة الصحيحة في قلب المسلم وأقامت الحجة
الدامغة على غير المسلم كما قال تعالى:
(...ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع
عليم) (سورة الأنفال: 42).

هذا ما تيسر ذكره ملخصاً في هذا الموضوع.
فإن كان من صواب فمن الله،
و ما كان من خطأ أو وهم أو نسيان فمني و من الشيطان،
فلله الحجة الدامغة. والحمد لله رب العالمين.

بقلم الأستاذ الدكتور مصطفى عبد المنعم
أستاذ علم الأجنة والتشريح
كلية الطب-جامعة طيبة
المدينة المنورة

moustmon@yahoo.com

الهوامش:

(1) فتح الباري ج 11 ص 477491

وفي هذا دليل على أننا يمكن أن نرد على الإدعاءات التي تلبس مسوح العلم
بما عندنا من علم شرعي صحيح قطعي الثبوت والدلالة..
فقد رد الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى على هذا الزعم وهو من

علماء القرن التاسع الهجري (H852 773)

ونظن أنه لووصلت اليه باقى الإدعاءات الاخرى التى سنذكرها الآن لشنع عليها ودحضها بما عنده من علم بالقرآن والسنة وفى هذا بيان لمنزلة العلماء الربانيين من أمة محمد ﷺ

(2) نقل الامام ابن كثير فى تفسيره عن عدد من السلف أن الصلب هوصلب الرجل وأن الترائب هي عظام صدر المرأة وهوومن نقل عنهم مأجورون بإذن الله تعالى حيث لم يكن عندهم فى ذلك الوقت علم كوني يضبط التفسير فحملوه على المعنى المحتمل، ولكن هذا التفسير ليس مدعوم بحديث واحد مرفوع صحيح عن رسول الله ﷺ مما يرفع عنا الحرج فى عدم الأخذ به والتمسك بما يتفق عليه العلم الشرعي مع العلم اللغوي والعلم الكوني وهذا ما تمسك به تفسير المنتخب الذي اصدره المجلس الاعلى للشئون الإسلامية فى مصر، فقال فى تفسير قوله تعالى (يخرج من بين الصلب والترائب):

(الصلب)هو منطقة العمود الفقرى

و(الترائب)هو عظام الصدر

وقد بينت الدراسات الجينية الحديثة أن خلايا الجهاز التناسلى والبولى فى الجنين تظهر بين الخلايا الغضروفية المكونة لعظام العمود الفقرى وبين الخلايا المكونة لعظام الصدر...

(3) البويضة خلال إنتقالها من المبيض الى قناة فالوب أثناء سباحتها فى هذا السائل تدور حول نفسها فى حركة دائرية فى نفس الإتجاه كل مرة (عكس إتجاه عقارب الساعة)

ومن المذهل أن هذا الإتجاه هو نفسه إتجاه دوران الإليكترون حول نواة الذرة،

وإتجاه دوران الأرض حول الشمس
 وإتجاه دوران المجموعة الشمسية حول مركز المجرة
 وإتجاه دوران المجرات جميعاً حول مركز الكون.
 وهو كما لا يخفى إتجاه دوران المسلم حول الكعبة المشرفة في الطواف.
 وكأنها إشارة لطيفة من الخالق سبحانه وتعالى إلى إتساق الكون من الذرة
 إلى المجرة مروراً بالإنسان وخضوع الجميع له سبحانه وتعالى وصدق الله
 العظيم إذ يقول: (... وكلٌ في فلك يسبحون) (سورة يس:40).
 (4) تفسير ابن كثير وهناك تفسير آخر نقل عن ابن عباس أيضاً
 وهو (الصبح) كقوله تعالى (فالق الإصباح)
 والمعنى الذى يناسب المقام هو الأول وكلاهما صحيح والله تعالى أعلم.

المراجع العربية:

- فتح الباري شرح صحيح البخاري.
- شرح النووي على صحيح مسلم.
- مسند الإمام أحمد.

:Foreign References

- William. Human Embryology. Churchill .Larsen J •
 .1993، Livingstone. 1st ed.
- and Persaud T.V.N. Before we are born. Moore L. Keith •
 .Sanders Company.5th ed. 1998
- Human embryology with Islamic .Moore L. Keith •
 .additions. Sanders Company.1st ed. 1982
- Langman's Medical Embryology. Lippincott .Sadler T.W •
 .2004، Wilkins. 9th ed. & Williams
- Langman's Medical Embryology. Lippincott .Sadler T.W •

.2006 ،Wilkins. 10th ed. & Williams

•

97-القدر-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾

نَزَلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾

سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

98-سورة البينة-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾

رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾

وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ

وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ

خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

97-تفسير سورة القدر-و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفٍ

شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ فِيهَا بِالْإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾

سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

يقول تعالى مبينًا لفضل القرآن وعلو قدره:

{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} كما قال تعالى:

{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ} [الدُّخَانِ: 3]

*** وَهِيَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} [البَقَرَة: 185] .

و ذلك أن الله تعالى ،

ابتدأ بإنزاله في رمضان في ليلة القدر،

و رحم الله بها العباد رحمة عامة، لا يقدر العباد لها شكرًا.

و سميت ليلة القدر، لعظم قدرها وفضلها عند الله،

و لأنه يقدر فيها ما يكون في العام من الأجل و الأرزاق و المقادير القدريّة.

ثم فخم شأنها، و عظم مقدارها فقال:

{وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ}

أي: فإن شأنها جليل، و خطرها عظيم.

{لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ}

أي: تعادل من فضلها ألف شهر،

فالعمل الذي يقع فيها، خير من العمل في ألف شهر خالية منها ،

و هذا مما تتحير فيه الألباب، و تدهش له العقول،

حيث من تبارك وتعالى على هذه الأمة الضعيفة القوة و القوى،

بليلة يكون العمل فيها يقابل و يزيد على ألف شهر،

عمر رجل معمر عمراً طويلاً نيفاً و ثمانين سنة. (83 عام و 4 اشهر)

***قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ:

أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللّٰوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ مِنَ
السَّمَاءِ الدُّنْيَا،

ثُمَّ نَزَلَ مُفَصَّلًا بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

***صحيح البخاري

2014 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ،

وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»،

(نَزْلُ الْمَلَائِكَةِ)

أي: يكثر نزولهم فيها

***يَهْرُ تَنْزُلُ الْمَلَائِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا،

و الْمَلَائِكَةُ يَنْتَزِلُونَ مَعَ تَنْزُلِ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ،

كَمَا يَنْتَزِلُونَ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَ يُحِيطُونَ بِحَلْقِ الذُّكْرِ،

وَ يَضَعُونَ أَجْنِحَتَهُمْ لِمَطَالِبِ الْعِلْمِ بِصِدْقِ تَعْظِيمًا لَهُ.

(وَالرُّوحُ فِيهَا)

*** جبريل عليه السلام

(بِإِذْنِ رَبِّهِمْ)

(مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى)

أي: سالمة من كل آفة و شر، و ذلك لكثرة خيرها،
*** هِيَ سَالِمَةٌ، لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهَا سُوءًا أَوْ يَعْمَلَ فِيهَا
أَذَى.

(مَطْلَعُ الْفَجْرِ)

أي: مبتدأها من غروب الشمس و انتهاءها طلوع الفجر .
و قد تواترت الأحاديث في فضلها، و أنها في رمضان،
و في العشر الأواخر منه، خصوصًا في أوتاره،
و هي باقية في كل سنة إلى قيام الساعة.
و لهذا كان النبي ﷺ، يعتكف،
و يكثر من التبعّد في العشر الأواخر من رمضان، رجاء ليلة القدر و الله أعلم.

*** صحيح البخاري

813 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فَقُلْتُ: أَلَا تَخْرُجُ بِنَا إِلَى النَّخْلِ نَتَحَدَّثُ،
فَخَرَجَ، فَقَالَ: قُلْتُ: حَدَّثَنِي مَا سَمِعْتَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، قَالَ:
اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ الْأَوَّلِ مِنْ رَمَضَانَ وَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ،
فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ:

إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، فَاعْتَكِفِ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ،
فَاعْتَكِفْنَا مَعَهُ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ،
فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ خَطِيبًا صَبِيحَةَ عَشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ فَقَالَ:

«مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلْيَرْجِعْ،
فَإِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَإِنِّي نُسَيْتُهَا، وَإِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فِي وَتَرٍ،
وَإِنِّي رَأَيْتُ كَأَنِّي أَسْجُدُ فِي طِينٍ وَمَاءٍ» وَكَانَ سَقْفُ الْمَسْجِدِ جَرِيدَ النَّخْلِ،
وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ شَيْئًا، فَجَاءَتْ قُرْعَةٌ، فَأَمْطَرْنَا،
فَصَلَّى بِنَا النَّبِيُّ ﷺ

حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ وَالْمَاءِ عَلَى جَبْهَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَرْنَبَتِهِ
تَصْدِيقَ رُؤْيَاهُ ()

*** صحيح البخاري

2021 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ:
«الْتِمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ،
فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى،
فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى،
فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى» ()

(أريت ليلة القدر) أبصرت علامتها أو أعلمت وقتها.
(نسيتها) نسيت علم تعيينها.
(في وتر) الليالي الفردية.
(قرعة) قطعة رقيقة من السحاب.
(أرنبته) طرف أنفه]

(تاسعة تبقى) وهي ليلة الحادي والعشرين لأن المحقق المقطوع بوجوده بعد العشرين من
رمضان تسعة أيام لاحتمال أن يكون الشهر تسعة وعشرين يوما

*** فَسَّرَهُ كَثِيرُونَ بِلَيَالِي الْأَوْتَارِ، وَهُوَ أَظْهَرُ وَأَشْهَرُ. وَحَمَلَهُ آخَرُونَ عَلَى الْأَشْفَاعِ كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّهُ حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
*** صحيح مسلم

179 - (762) عَنْ زُرٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي بْنَ كَعْبٍ، يَقُولُ: وَقِيلَ لَهُ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: «مَنْ قَامَ السَّنَةَ أَصَابَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ» فَقَالَ أَبِي: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّهَا لَفِي رَمَضَانَ، يَحْلِفُ مَا يَسْتَتْنِي، وَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيُّ لَيْلَةٍ هِيَ، هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرْنَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقِيَامِهَا، هِيَ لَيْلَةُ صَبِيحَةِ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ، وَأَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بَيَضَاءَ لَا شُعَاعَ لَهَا» ()

*** صحيح البخاري
2025 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ مِنْ رَمَضَانَ»

*** صحيح البخاري
2024 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ:

«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَخْيَا لَيْلَهُ، وَأَيَّقُظَ أَهْلَهُ» ()

(يحلف ما يستتني) يعني أن أبيا قال ذلك حالفا بالله على جزم من غير أن يقول في يمينه إن شاء الله

(لا شعاع لها) شعاع الشمس ما يرى من ضوئها ممتدا كالرماح بعيد الطلوع
فكان الشمس يومئذ لغلبة نور تلك الليلة على ضوئها تطلع غير ناشرة أشعتها في نظر العيون

(شد مئزره) هو كناية عن الاستعداد للعبادة والاجتهاد لها زيادة عن المعتاد
وقيل هو من ألطف الكنايات عن اعتزال النساء وترك الجماع.
والمئزر الإزار وهو ما يلبس من الثياب أسفل البدن.
(أيقظ أهله) نبهن للعبادة وحثهن عليها]

*** صحيح مسلم

(1175) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ، مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ»
وَالْمُسْتَحَبُّ الْإِكْتَارُ مِنَ الدُّعَاءِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ،
وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ أَكْثَرُ،
وَفِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْهُ،
ثُمَّ فِي أَوْتَارِهِ أَكْثَرُ.
وَالْمُسْتَحَبُّ أَنْ يُكْثَرَ مِنْ هَذَا الدُّعَاءِ:
"اللَّهُمَّ، إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي

*** سنن الترمذي

3513 - عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدَرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟
قَالَ: " قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي ".

98- تفسير سورة لم يكن- و هي مدنية

*** صحيح البخاري

3809- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا بُدَّ
إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ }
[البينة: 1] قَالَ: وَسَمَّيَانِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَبَكَى ()

(وسماني) هل نص علي باسمي.

(فبكى) من شدة الفرح والسرور وقيل خوفا من تقصيره في شكر هذه النعمة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾
رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا نَفَرَكَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
حُفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ
شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾
يقول تعالى:

(لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)

أي: من اليهود والنصارى

(وَالْمُشْرِكِينَ)

من سائر أصناف الأمم.

*** عَبْدَةُ الْأَوْثَانِ وَ النَّيْرَانِ، مِنَ الْعَرَبِ وَ مِنَ الْعَجَمِ.

(مُنْفَكِينَ)

*** مُنْتَهَيْنَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ

عن كفرهم و ضلالهم الذي هم عليه، أي:

لا يزالون في غيهم و ضلالهم، لا يزيدهم مرور السنين إلا كفرًا.

(حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)

الواضحة، والبرهان الساطع، ثم فسر تلك البينة فقال:

(رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ)

أي: أرسله الله، يدعو الناس إلى الحق، و أنزل عليه كتابًا يتلوه،
ليعلم الناس الحكمة و يزكيهم، و يخرجهم من الظلمات إلى النور، و لهذا قال:

(يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً)

أي: محفوظة عن قربان الشياطين، لا يمسهـا إلا المطهرون،
لأنها في أعلى ما يكون من الكلام.

*** مُحَمَّدًا ﷺ وَمَا يَتْلُوهُ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ،
الَّذِي هُوَ مُكْتَتَبٌ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، فِي صُحُفٍ مُّطَهَّرَةٍ كَقَوْلِهِ:

{ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ } [عَبَسَ: 13- 16]

*** يَذْكُرُ الْقُرْآنَ بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ الثَّنَاءِ.

و لهذا قال عنها:

(فِيهَا)

أي: في تلك الصحف

(كُتِبَ قِيَمَةٌ)

أي: أخبار صادقة، و أوامر عادلة

تهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم،
فإذا جاءتهم هذه البينة،

فحينئذ يتبين طالب الحق ممن ليس له مقصد في طلبه
فيهلك من هلك عن بينة، و يحيا من حي عن بينة.
و إذا لم يؤمن أهل الكتاب لهذا الرسول و ينقادوا له،
فليس ذلك ببدع من ضلالهم و عنادهم،
فإنهم ما تفرقوا و اختلفوا و صاروا أحزابًا

(إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ)

التي توجب لأهلها الاجتماع و الاتفاق، و لكنهم لرداءتهم و نذالتهم،
لم يزدتهم الهدى إلا ضلالا و لا البصيرة إلا عمى،
مع أن الكتب كلها جاءت بأصل واحد، و دين واحد

(وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ)

*** {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ

لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آلِ عِمْرَانَ: 105]

يَعْنِي بِذَلِكَ: أَهْلَ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأُمَمِ قَبْلَنَا، بَعْدَ مَا أَقَامَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
الْحُجَجَ وَالْبَيِّنَاتِ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا فِي الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ كُتُبِهِمْ،
وَ اخْتَلَفُوا اخْتِلَافًا كَثِيرًا،

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ مِنْ طَرِيقٍ:
في سنن الترمذي ت شاكر

2641 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«لَبَّائِثٍ عَلَى أُمَّتِي مَا آتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ،
حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ آتَى أُمَّهُ عِلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ،
وَإِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً،
وَ تَفَرَّقُوا أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً،
كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»،
قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».:
فما أمروا في سائر الشرائع إلا أن يعبدوا

(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ)

*** كَقَوْلِهِ {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 25]

كَقَوْلِهِ: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}
[النحل: 36]

أي: قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة و الباطنة وجه الله، و طلب الزلفى لديه

(لَهُ الَّذِينَ خُفِّفَ)

أي: معرضين مائلين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد.

(وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ)

و خص الصلاة و الزكاة بالذكر مع أنهما داخلان في قوله

(لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ)

لفضلتهما و شرفهما، و كونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين.

(وَذَلِكَ)

أي التوحيد والإخلاص في الدين، هو

(دِينُ الْقِيَمَةِ)

أي: الدين المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم،

و ما سواه فطرق موصلة إلى الجحيم.

ثم ذكر جزاء الكافرين بعدما جاءتهم البينة، فقال:

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ)

قد أحاط بهم عذابها، و اشتد عليهم عقابها،

(خَالِدِينَ فِيهَا^٥)

لا يفتر عنهم العذاب، و هم فيها ملبسون،

(أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ)

لأنهم عرفوا الحق و تركوه، و خسروا الدنيا و الآخرة.

(إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)

لأنهم عبدوا الله و عرفوه، و فازوا بنعيم الدنيا والآخرة

(جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ)

أي: جنات إقامة، لا ظعن فيها و لا رحيل، و لا طلب لغاية فوقها،

(تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا)

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

***وَمَقَامٌ رِضَاهُ عَنْهُمْ أَعْلَى مِمَّا أُوتُوهُ مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ،

فرضي عنهم بما قاموا به من مرضيه،

{وَرَضُوا عَنْهُ}

***فِيمَا مَنَحَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ الْعَمِيمِ.

بما أعد لهم من أنواع الكرامات و جزيل المثوبات

(ذَلِكَ)

الجزاء الحسن

(لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ)

أي: لمن خاف الله، فأحجم عن معاصيه، و قام بواجباته .

جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

99-الزلزلة-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم-599

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾

وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَعْيَارَهَا ﴿٤﴾

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴿٦﴾

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

100-العاديات-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُخِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾

فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾

وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾

وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾

❖ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾

(جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ)

أي: جنات إقامة، لا ظعن فيها و لا رحيل، و لا طلب لغاية فوقها،

(يَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا)

(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)

*** وَ مَقَامُ رِضَاهُ عَنْهُمْ أَعْلَى مِمَّا أُوتُوهُ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ،

فرضي عنهم بما قاموا به من مرضيه،

{وَرَضُوا عَنْهُ}

*** فِيمَا مَنَحَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ الْعَمِيمِ.

بما أعد لهم من أنواع الكرامات و جزيل المثوبات

(ذَلِكَ) الجزاء الحسن

(لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ)

أي: لمن خاف الله، فأحجم عن معاصيه، و قام بواجباته .

99- تفسير سورة إذا زلزلت- و هي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ②

وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾

يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّمُرُوا أَعْمَلَهُمْ ﴿٦﴾

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا)

*** كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ}

[الْحَجُّ: 1] وَ هَوْلِهِ {وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ}

[الْإِنْشِقَاقِ: 3، 4]

*** صحيح مسلم

(1013) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَازَ كَبِدِهَا، أَمْثَالُ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ،
فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ،
وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي،
وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطِعْتُ يَدِي،
ثُمَّ يَدْعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا " ()

(تقيء الأرض أفلاذ كبدها) الأفلاذ جمع فلذ ككتف
والفلذ جمع فلذة وهي قطعة من الكبد مقطوعة طولا
وخص الكبد لأنها من أطايب الجزور
ومعنى الحديث أنها تخرج ما في جوفها من القطع المدفونة فيها
(أمثال الأسطوان) جمع أسطوانة وهي السارية والعمود
وشبهه بالأسطوانة لعظمه (في هذا) أي من أجل هذا وبسببه

-يخبر تعالى عما يكون يوم القيامة، و أن الأرض تنزل و ترجف و ترتج، حتى يسقط ما عليها من بناء و علم .

فتدك جبالها، و تسوى تلالها، و تكون قاعًا صفصفاً لا عوج فيه و لا أمت.

(وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا)

أي: ما في بطنها، من الأموات و الكنوز.

(وَقَالَ الْإِنْسَانُ)

إذا رأى ما عراها من الأمر العظيم مستعظماً لذلك:

(مَا لَهَا) ؟

أي: أي شيء عرض لها؟.

(يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ)

الأرض

(أَخْبَارَهَا)

أي: تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير و شر، فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد بأعمالهم، ذلك

(يَا أَيُّهَا رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا)

أي و أمرها أن تخبر بما عمل عليها، فلا تعصى لأمره

(يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ)

من موقف القيامة، حين يقضي الله بينهم

(أَشْنَاكَ)

أي: فرقا متفاوتين.

*** أَنْوَاعًا وَأَصْنَافًا، مَا بَيْنَ شَقِيٍّ وَ سَعِيدٍ،
مَأْمُورٌ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَ مَأْمُورٌ بِهِ إِلَى النَّارِ.
***يَتَصَدَّعُونَ أَشْتَاتًا فَلَا يَجْتَمِعُونَ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ

(لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ)

أي: ليربهم الله ما عملوا من الحسنات و السيئات، و يريهم جزاءه موفرا.

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. ﴿٧﴾)

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)

صحيح مسلم 987

عن أبي هريرة --- قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْخَيْلُ؟

قَالَ: " الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وَزُرٌّ،

وَ هِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ،

وَ هِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ،

١ - فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وَزُرٌّ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَ فَخْرًا وَ نِوَاءً عَلَى أَهْلِ
الْإِسْلَامِ، فَهِيَ لَهُ وَزُرٌّ،

٢ - وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ،

ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي ظُهُورِهَا وَ لَا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ

٣ - وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ،
فِي مَرْجٍ وَ رَوْضَةٍ، فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ، أَوْ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ،

إِلَّا كُتِبَ لَهُ، عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتُ،
وَكُتِبَ لَهُ، عَدَدَ أَرْوَائِهَا وَأَبْوَالِهَا، حَسَنَاتُ،
وَلَا تَقْطَعُ طَوْلَهَا فَاسْتَنْتَ شَرْفًا، أَوْ شَرْفَيْنِ،
إِلَّا كُتِبَ اللَّهُ لَهُ عَدَدُ آثَارِهَا وَأَرْوَائِهَا حَسَنَاتٍ،
وَلَا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ
وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا، إِلَّا كُتِبَ اللَّهُ لَهُ، عَدَدَ مَا شَرِبَتْ، حَسَنَاتٍ "
قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْحُمْرُ؟ قَالَ:
«مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِي الْحُمْرِ شَيْءٌ،
إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْفَادَةُ الْجَامِعَةُ»:

{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}

(الزلزلة: 8) ()

(فأما التي هي له وزر)
هكذا هو في أكثر النسخ التي ووقع في بعضها الذي وهو أوضح وأظهر
(ونواء على أهل الإسلام) أي ماواة ومعاداة
(فرجل) أي فخيّل رجل
(ربطها في سبيل الله) أي أعدها للجهاد وأصله من الرباط وهو حبس الرجل نفسه في الشجر
وإعداده الأهبة لذلك
(في مرج وروضة) قال ابن الأثير المرج هو الأرض الواسعة ذات نبات كثير يمرج فيه الدواب أي
تسرح والروضة أخص من المرعى
(ولا تقطع طولها) أي حبلها الطويل الذي شد أحد طرفيه في يد الفرس
والآخر في وتد أو غيره لتدور فيه وترعى من جوانبها ولا تذهب لوجهها
قال النووي ويقال طيلها بالياء وكذا جاء في الموطأ
(فاستنت شرفاً أو شرفين) معنى استنت جرت وعدت
والشرف هو العالي من الأرض
وقيل المراد هنا طلقاً أو طلقين وقال ابن الأثير الشرف هو الشوط
(فالحمر) جمع حمار أي فما حكمها

*** صحيح البخاري

6539 - عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَ سَيِّكَلُمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَ بَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ فَلَا يَرَى شَيْئًا قُدَّامَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَ لَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»

***6540 - عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«اتَّقُوا النَّارَ» ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ،
ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ» ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ ثَلَاثًا،
حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا،
ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَ لَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِكْلِمَةً طَيِّبَةً»

*** صحيح مسلم

(2626) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ:

قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ:

«لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَ لَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ» ()

*** مسند أحمد مخرجا

20635 - عَنْ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ،

قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَ هُوَ مُحْتَبٍ بِشَمْلَةٍ لَهُ،

(ما أنزل علي في الحمر الخ) معنى الفاذة القليلة النظير

والجامعة أي العامة المتناولة لكل خير ومعروف

ومعنى الحديث لم ينزل علي فيها نص بعينها لكن نزلت هذه الآية العامة]

(طلق) روي طلق على ثلاثة أوجه إسكان اللام وكسرهما

وطليق ومعناه سهل منبسط]

وَقَدْ وَقَعَ هُدْبُهَا عَلَى قَدَمَيْهِ،
فَقُلْتُ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ أَوْ رَسُولُ اللَّهِ
فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى نَفْسِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
إِنِّي مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَفِيَّ جَفَاؤُهُمْ فَأَوْصِنِي، فَقَالَ:
«لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا،
وَلَوْ أَنَّ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهَكَ مُنْبَسِطًا،
وَلَوْ أَنَّ تُفْرِغَ مِنْ دَلُوكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي،
وَإِنْ أَمْرُؤُ شَتَمَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تَشْتُمُهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ،
فَإِنَّهُ يَكُونُ لَكَ أَجْرُهُ، وَ عَلَيْهِ وَزْرُهُ،
وَإِيَّاكَ وَ إِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّ إِسْبَالَ الْإِزَارِ مِنَ الْمَخِيلَةِ،
وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ، وَ لَا تَسْبَنَ أَحَدًا»
«فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ أَحَدًا، وَ لَا شَاةً، وَ لَا بَعِيرًا»

*** صحيح البخاري

2566 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِحَارَتِهَا، وَ لَوْ فَرَسَنَ شَاةً» ()

(لا تحقرن) لا تستصغرن شيئا تقدمه هبة فتمتنع منها
والهبة في اللغة إيصال الشيء لغيره بما ينفعه سواء كان مالا أم غيره
يقال وهب الله مالا حلالا وولدا صالحا وعقلا سليما.
وشرعا هي تمليك المال بلا عوض
وفي معناها الهدية مع ملاحظة تكريم الموهوب له.
(فرسن شاة) ما دون الرسغ من يدها
وقيل هو عظم قليل اللحم
والمقصود المبالغة في الحث على الإهداء ولو في الشيء اليسير
وخص النساء بالخطاب لأنهن يغلب عليهن استصغار الشيء اليسير
والتباهي بالكثرة وأشباه ذلك]

-و هذا شامل عام للخير و الشر كله، لأنه إذا رأى مثقال الذرة،
 التي هي أحقر الأشياء و جوزي عليها فما فوق ذلك من باب أولى و أخرى،
 كما قال تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ
 سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَعُوفٌ
 بِالْعِبَادِ}

[آل عمران: 30]

و هذه الآية فيها غاية الترغيب في فعل الخير و لو قليلا و التهيب من فعل
 الشر و لو حقيرا.

100- تفسير سورة العاديات - و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ① فَاَلْمُورِيَّتِ قَدْحًا ② فَاَلْمُخِيرَاتِ صُبْحًا ③ فَاَنْزَلَ بِهِ نَقْعًا ④
 فَوْسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤ اِنَّ الْاِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَاِنَّهُ عَلٰى ذٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦
 وَاِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧ ❖ اَفَلَا يَعْلَمُ اِذَا بُعْثِرَ مَا فِى الْقُبُورِ ⑨
 وَحُصِّلَ مَا فِى الصُّدُورِ ⑩ اِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪

أقسم الله تبارك وتعالى بالخيال، لما فيها من آيات الله الباهرة، و نعمه الظاهرة،
 ما هو معلوم للخلق.

و أقسم تعالى بها في الحال التي لا يشاركها فيه غيرها من أنواع الحيوانات، فقال:

(وَالْعَدِيَّتِ صَبْحًا)

أي: العاديات عدوًا بليغًا قويًا، يصدر عنه الضبح،
و هو صوت نفسها في صدرها، عند اشتداد العدو .

(فَالْمُورِبَتِ)

بحوافرهن ما يطأن عليه من الأحجار

(قَدَحًا)

أي: تقدح النار من صلابة حوافرهن و قوتهن إذا عدون،
***اصْطِكَكَ نِعَالُهَا لِلصَّخْرِ فَتَقْدَحُ مِنْهُ النَّارَ.

(فَالْمُغِيرَتِ)

على الأعداء

(صَبْحًا)

و هذا أمر أغلبي، أن الغارة تكون صباحًا،
***لِإِغَارَةٍ وَقَّتِ الصَّبَاحَ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُغِيرُ صَبَاحًا وَ يَتَسَمَّعُ أَذَانًا،
فَإِنْ سَمِعَ وَ إِلَّا أَغَارَ.

***صحيح البخاري

610 - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا غَزَا بَنِي قَوْمًا،
لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بَنَاهُ حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ،
وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ،
قَالَ: فَخَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ، فَأَنْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ لَيْلًا،
فَلَمَّا أَصْبَحَ وَلَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا رَكِبَ، وَرَكِبْتُ خَلْفَ أَبِي طَلْحَةَ،
وَإِنْ قَدَمِي لَتَمَسَّ قَدَمَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:
فَخَرَجُوا إِلَيْنَا بِمَكَاتِلِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ،
فَلَمَّا رَأَوْا النَّبِيَّ ﷺ، قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ،
قَالَ: فَلَمَّا رَأَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
" اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ
{فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ} [الصافات: 177] ()

(فَأَنزَلَ بِهِ)

أي: بعدوهن و غارتهن

(نَقَعًا)

أي: غبارًا،

(فَوَسَّطَنَ بِهِ)

أي: براكبهن

(بمكاتلهم) جمع مكتل وهو القفة.

(ماحيهم) جمع مسحاة وهي المجرفة.

(الخميس) الجيش [

(جَمْعًا)

أي: توسطن به جموع الأعداء، الذين أغار عليهم.
و المقسم عليه، قوله:

(إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ)

أي: لمنوع للخير الذي عليه لربه .

فطبيعة الإنسان و جبلته، أن نفسه لا تسمح بما عليه من الحقوق،
فتؤديها كاملة موفرة،

بل طبيعتها الكسل و المنع لما عليه من الحقوق المالية و البدنية،
إلا من هداه الله و خرج عن هذا الوصف إلى وصف السماح بأداء الحقوق،

(وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ)

1-أي: إن الإنسان على ما يعرف من نفسه من المنع و الكند لشاهد بذلك،
لا يجحده و لا ينكره، لأن ذلك أمر بين واضح.
***كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ }

[التَّوْبَةِ: 17]

2-و يحتمل أن الضمير عائد إلى الله تعالى

أي: إن العبد لربه لكنود، والله شهيد على ذلك،

ففيه الوعيد، و التهديد الشديد، لمن هو لربه كنود، بأن الله عليه شهيد.

وَقَوْلُهُ: {وَأِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ}

(وَأِنَّهُ)

أي: الإنسان

(لِحُبِّ الْخَيْرِ)

أي: المال

(لَشَدِيدٍ)

أي: كثير الحب للمال.

و حبه لذلك، هو الذي أوجب له ترك الحقوق الواجبة عليه،

قدم شهوة نفسه على حق ربه،

وكل هذا لأنه قصر نظره على هذه الدار، وغفل عن الآخرة،

*** وَأِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ - وَهُوَ: الْمَالُ - لَشَدِيدٌ.

و فِيهِ مَذْهَبَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمَعْنَى: وَ إِنَّهُ لَشَدِيدُ الْمَحَبَّةِ لِلْمَالِ.

و الثَّانِي: وَ إِنَّهُ لَحَرِيصٌ بَخِيلٌ؛ مِنْ مَحَبَّةِ الْمَالِ. وَ كِلَاهُمَا صَحِيحٌ.

و لهذا قال حاثًا له على خوف يوم الوعيد:

(أَفَلَا يَعْلَمُ)

أي: هلا يعلم هذا المغتر

(إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ)

أي: أخرج الله الأموات من قبورهم، لحشرهم و نشورهم.

(وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ)

أي: ظهر و بان ما فيها و ما استتر في الصدور من كمائن الخير و الشر، فصار السر علانية، و الباطن ظاهراً، و بان على وجوه الخلق نتيجة أعمالهم.

(إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ)

أي مطلع على أعمالهم الظاهرة و الباطنة، الخفية و الجلية، و مجازيهم عليها.

و خص خبره بذلك اليوم، مع أنه خبير بهم في كل وقت، لأن المراد بذلك، الجزاء بالأعمال الناشئ عن علم الله و اطلاعه.

خبر وتعليق: نظام التكييف عند الخيل

<http://www.kaheel7.com/modules.php?name=News&file=article&sid=1098>

الخيول آية من آيات الله ... هذه المخلوقات التي ذكرها الله في القرآن تعتبر من المخلوقات الغريبة والتي تستحق التفكير، وسوف نعيش مع اكتشاف جديد يتعلق بنظام التكييف في رؤوسها

الخبر العلمي

يقول علماء كنديون إن رؤوس الخيول تتمتع بنظام تبريد ذاتي عندما ترتفع حرارتها أثناء العدو السريع، فقد ورد في تقرير لباحثين كنديين نشرته مجلة الطبيعة أن الخيول تتمتع بنظام تشريحي غير عادي يوجد في قاع الجمجمة يعمل على تبريد الدماء التي تصل إلى المخ.

فالحوانات الرياضية كالخيول يجب أن تظل درجة حرارة رؤوسها أقل من أربعين درجة مئوية خلال التدريبات العنيفة وإلا تعرضت إلى تلف في المخ. وقد ظلت الطريقة التي تؤدي بها الخيول هذه الوظيفة لغزاً، فقد بدت الخيول وكأنها تفتقد أنظمة التحكم الحراري المعتادة في الحيوانات الأخرى،

والآن يعتقد كيث بابتيست وزملاؤه في جامعة ساسكاتشوان في كندا أنهم وجدوا الإجابة.

فقد اكتشف هؤلاء الباحثون

أن الشرايين السباتية التي تنقل الدم إلى المخ يحيط بها كيسان يحتويان على كمية من الهواء

(حوالي 300 إلى 500 مليجرام من الهواء) القادم من الجهاز التنفسي.

فعندما يجهد الحصان ويعرق تتحول الحرارة في الدم إلى أكياس الهواء هذه.

وقد وجدت هذه الأكياس الهوائية في حيوانات أخرى شبيهة بالخيول مثل الحمار الوحشي والقرود، وأيضا في بعض أنواع الخفافيش، وحتى في فئران الغابات الأمريكي،

وقد اكتشفت الأكياس الهوائية في رؤوس الخيول عام 1756 ومنذ ذلك التاريخ حاولت عدة نظريات التوصل إلى تحديد وظائفها.

ويقول كيث بابتيست إن البعض في القرن الثامن عشر اعتقد أن هذه الأكياس تساعد الخيول في السباحة بمساعدتها على حمل رؤوسها فوق الماء، ويؤكد هذا الباحث بأن الخيول لم تتطور تشريحيًا بهدف إجادة السباحة فهي لا تجيد السباحة لهذه الدرجة،

لذلك يصعب تصور أن هذه الأكياس تطورت للقيام بهذه الوظيفة، إنه يجب أن تكون لهذه الأكياس وظيفة مفيدة لأنها تشكل مصدر خطر على صحة الخيول.

فهذه الأكياس عرضة للإصابة بالبكتيريا والطفيليات التي ربما تكون مميتة، لذلك فهي موجودة لهدف ما.

واستخدم فريق الباحثين مجسات لقياس التغيرات في درجة الحرارة عند ثلاثة مواضع مختلفة عندما يتحرك الدم في الشرايين ثم عبر الأكياس الهوائية ثم عندما يصل إلى المخ،

ووضعت هذه المجسات في أربعة جياذ

ثم عرضت هذه الجياذ لسلسلة من التدريبات المتباينة.

وأظهرت هذه التجربة أن درجة الحرارة انخفضت بعد مرور الدم في الأكياس الهوائية.

ويقول كيث بابتيست إن هذا الاكتشاف سوف يجبر الكثيرين على تغيير أفكارهم المتعلقة بعلم تشريح الخيول.

تعتبر الخيول من أهم الوسائل التي سخرها الله لخدمة البشر على مر العصور، ويؤكد العلماء أنه لولا وجود هذا النظام المتطور للتبريد في رؤوس الخيول، لما استطاعت العدو السريع،

ولذلك أقسم الله تعالى بالعاديات وهي الخيول التي تسير وتعدو بسرعة، وقد أنزل الله سورة كاملة هي سورة العاديات تكريماً لهذه المخلوقات وليعرفنا على نعمه العظيمة عسى أن نشكر الله تعالى. يقول تعالى:

(وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (1) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (2) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (3) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (4) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (5) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (8) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (9) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (10) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ) سورة العاديات.

التعليق

إن ما يكشفه العلماء من أنظمة حيوية متطورة تتمتع بها الخيول يناقض فرضية التطور التي ينادي بها الطبيعيون، فالطبيعة لا يمكن أن تدرك حاجة الخيول لمثل هذه الأنظمة، ولذلك فإن التفسير الوحيد لوجود نظام تكييف في رؤوس الخيول يحمي دماغها من التلف نتيجة الحرارة الزائدة أثناء العدو السريع، هو دليل مادي ملموس نراه بأعيننا، على أن الذي صنع هذه الخيول يعلم مسبقاً بما ستؤديه من مهام لخدمة الإنسان، ولذلك زوّدها بهذه الأجهزة لضمان استمرارها وعدم انقراضها ولكي تؤدي عملها على أكمل وجه. ولذلك قال تعالى:

وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
[النحل: 8].

هذه الخيول استخدمها الإنسان في المعارك وفي النقل وكانت سبباً في انتشار الإسلام، يقول تعالى:

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ) [الأنفال: 60].

ولا ننسى أن النبي ﷺ أخبر بأن الخيل معقود في نواصيها الخير، وهكذا فإن أي اكتشاف علمي ينبغي أن نقرأه قراءة علمية وقراءة إيمانية، القراءة العلمية من أجل رؤية ما يكشفه العلماء وكيف نستفيد منه في الدنيا، أما القراءة الإيمانية فهدفها رؤية مخلوقات الله وقدره الخالق في الخلق، لنذكر نعمة الله علينا القائل:

(وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) [إبراهيم: 34].

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪

101-سورة القارعة مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ⑤

فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ⑥

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ⑦ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ⑧

فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ⑩ نَارُ حَامِيَةٍ ⑪

102-سورة التكاثر مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ②

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③

ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤

لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦

ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧

(أَفَلَا يَعْلَمُ)

أي: هلا يعلم هذا المغتر

(إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ)

أي: أخرج الله الأموات من قبورهم، لحشرهم و نشورهم.

(وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ)

أي: ظهر و بان ما فيها و ما استتر في الصدور من كمائن الخير و الشر، فصار السر علانية، و الباطن ظاهراً، و بان على وجوه الخلق نتيجة أعمالهم.

(إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ)

أي مطلع على أعمالهم الظاهرة و الباطنة، الخفية و الجلية، و مجازيهم عليها.

و خص خبره بذلك اليوم، مع أنه خير بهم في كل وقت، لأن المراد بذلك، الجزاء بالأعمال الناشئ عن علم الله واطلاعه.

101- تفسير سورة القارعة- و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③ يَوْمَ يَكُونُ

النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ

الْمَنْفُوشِ ⑤ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ⑥ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ

﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾

(الْقَارِعَةُ)

من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك، لأنها تفرع الناس و تزعجهم بأهوالها، *** كَالْحَاقَّةِ، وَ الطَّامَّةِ، وَ الصَّاحَّةِ، وَ الْغَاشِيَةِ، وَ غَيْرِ ذَلِكَ. و لهذا عظم أمرها و فخمه بقوله:

(مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ)

من شدة الفزع والهول،

(كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ)

*** كقوله {كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ} [القمر: 7]

أي: كالجراد المنتشر، الذي يموج بعضه في بعض، و الفراش: هي الحيوانات التي تكون في الليل، يموج بعضها ببعض لا تدري أين توجه، فإذا أوقد لها نار تهافتت إليها لضعف إدراكها، فهذه حال الناس أهل العقول،

(وَتَكُونُ الْجِبَالُ)

و أما الجبال الصم الصلاب، فتكون

(كَالْمَنْفُوشِ)

أي: كالصوف المنفوش، الذي بقي ضعيفاً جداً، تطير به أدنى ريح،
قال تعالى:

{وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} [النمل: 88]

ثم بعد ذلك، تكون هباء منثوراً، فتضمحل و لا يبقى منها شيء يشاهد،
فحينئذ تنصب الموازين، و ينقسم الناس قسمين: سعداء و أشقياء،

(فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ)

أي: رجحت حسناته على سيئاته

(فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ)

في جنات النعيم.

(وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ)

بأن لم تكن له حسنات تقاوم سيئاته.

(فَأُتُوهُمُ هَاوِيَةً)

1-أي: مأواه ومسكنه النار، التي من أسمائها الهاوية، تكون له بمنزلة الأم

الملازمة كما قال تعالى: { إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا } [الفرقان: 65].

2-و قيل: إن معنى ذلك، فأم دماغه هاوية في النار،

أي: يلقي في النار على رأسه.

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ)

و هذا تعظيم لأمرها، ثم فسرنا بقوله هي:

(نَارُ حَامِيَةٍ)

أي: شديدة الحرارة، قد زادت حرارتها على حرارة نار الدنيا سبعين ضعفاً.
نستجير بالله منها.

*** صحيح البخاري

3265 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:
«نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»،
قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَكَافِيَةٌ قَالَ:
«فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا» ()

102- تفسير سورة ألهاكم التكاثر- و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(لكافية) في تعذيب أهل النار.

(فضلت عليهن) أي على نيران الدنيا وفي رواية

(عليها) ولعلها أرجح لأن المفضل عليه مفرد والمعنى أنها زادت في العدد والكمية

أَلْهَمَكُمُ التَّكَاثُرَ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا
 سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥
 ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧

يقول تعالى موبخاً عباده عن اشتغالهم عما خلقوا له من عبادته وحده لا شريك
 له، و معرفته، و الإنابة إليه، و تقديم محبته على كل شيء:

(أَلْهَمَكُمُ) عن ذلك المذكور

*** شَغَلَكُمْ حُبُّ الدُّنْيَا وَ نَعِيمُهَا وَ زَهْرَتُهَا عَنْ طَلَبِ الْآخِرَةِ وَ ابْتِغَائِهَا،
 وَ مَمَادَى بِكُمْ ذَلِكَ حَتَّى جَاءَكُمْ الْمَوْتُ وَ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، وَ صِرْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا؟!
 (التَّكَاثُرُ)

و لم يذكر المتكاثر به، ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون، و يفتخر به
 المفتخرون، من التكاثر في الأموال، و الأولاد، و الأنصار، و الجنود،
 و الخدم، و الجاه، و غير ذلك مما يقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر،
 و ليس المقصود به الإخلاص لله تعالى.

فاستمرت غفلتكم و لهوتكم و تشاغلکم
 *** صحيح مسلم

(2958) عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ:
 أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، قَالَ: " يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي،
 قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ،
 أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟ "

(حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)

فانكشف لكم حينئذ الغطاء، ولكن بعد ما تعذر عليكم استئنافه.
و دل قوله:

(حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)

أن البرزخ دار مقصود منها النفوذ إلى الدار الباقية ، أن الله سماهم زائرين،
و لم يسمهم مقيمين.
فدل ذلك على البعث و الجزاء بالأعمال في دار باقية غير فانية،
و لهذا توعدهم بقوله:

(كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ)

أي: لو تعلمون ما أمامكم علمًا يصل إلى القلوب،
لما ألهاكم التكاثر، و لبادرتم إلى الأعمال الصالحة.
ولكن عدم العلم الحقيقي، صيركم إلى ما ترون،
*** لَوْ عِلِمْتُمْ حَقَّ الْعِلْمِ، لَمَا أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ عَنْ طَلَبِ الدَّارِ الْآخِرَةِ،
حَتَّى صِرْتُمْ إِلَى الْمَقَابِرِ.

(لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ)

أي: لتروا القيامة، فلترون الجحيم التي أعدها الله للكافرين.

(ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)

أي: رؤية بصرية، كما قال تعالى:

{ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا }

[الكهف: 53]

(ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)

—الذي تنعمتم به في دار الدنيا، هل قمتم بشكره، و أدّيتم حق الله فيه،
و لم تستعينوا به، على معاصيه، فينعمكم نعيمًا أعلى منه و أفضل.

—أم اغتررتم به، ولم تقوموا بشكره؟

بل ربما استعنتم به على معاصي الله فيعاقبكم على ذلك، قال تعالى:

{ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا
وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ} [الأحقاف: 20]

*** صحيح مسلم

(2038) عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ لَيْلَةٍ - فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ،
فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟»

قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:

«وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِأَخْرِجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا»،

فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ،

قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْنَ فَلَانٌ؟»

قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعَذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ،

فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدُ الْيَوْمِ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي،
 قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ،
 فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدِيَّةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
 «إِيَّاكَ، وَالْحُلُوبَ»، فَذَبَحَ لَهُمْ،
 فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُّوا،
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْإِيَّاءُ بَكْرٌ، وَعُمَرُ:
 وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
 أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ ()
 *** صحيح البخاري

(بيوتكما) هو بضم الباء وكسرها لغتان قرئ بهما في السبع
 (فقاموا) هكذا في الأصول بضمير الجمع وهو جائز بلا خلاف
 ولكن الجمهور يقولون إطلاقه على الاثنين مجاز وآخرون يقولون حقيقة
 (مرحبا وأهلا) كلمتان معروفتان للعرب
 ومعناه صادفت رحبا وسعة وأهلا تأنس بهم
 (بعِذْق) العِذْق هنا بكسر العين وهي الكباسة
 وهي الغصن من النخل والعِذْق من التمر بمنزلة العنقود من العنب
 وإما أتى بهذا العِذْق المملون ليكون أطرف وليجمعوا بين أكل الأنواع فقد يطيب لبعضهم هذا
 ولبعضهم هذا
 وفيه دليل على استحباب تقديم أكل الفاكهة على الخبز واللحم وغيرهما
 (المديّة) هي السكين
 (الحلوب) ذات اللبن فعول بمعنى مفعول كركوب ونظائره
 (لتسألن عن هذا النعيم) أما السؤال عن هذا النعيم فقال القاضي عياض المراد السؤال عن
 القيام بحق شكره
 والذي نعتقده أن السؤال هنا سؤال تعداد النعم وإعلام بالامتنان بها
 وإظهار الكرامة بإسباغها لا سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة]

6412 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"نِعْمَتَانِ مَغْبُورٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالفَرَاغُ ()"

(نعمتان) تثنية نعمة وهي الحالة الحسنة
وقيل هي المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى غيره.
(مغبون) من الغبن وهو النقص وقيل الغبن وهو ضعف الرأي.
(الصحة) في الأبدان. (الفراغ) عدم ما يشغله من الأمور الدنيوية]

103-العصر-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

104-سورة الهمزة-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ﴿٢﴾

يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾

وَمَا أَذْرَبَكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴿٦﴾

الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَاقَةِ ﴿٧﴾

إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾

فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

105-سورة الفيل-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

الَّذِ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾

أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾

تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾

فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

103- تفسير سورة العصر- و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

(وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

***خسر: هلاك و خسارة

أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل و النهار، محل أفعال العباد و أعمالهم أن كل إنسان خاسر، و الخاسر ضد الرابح.

و الخسار مراتب متعددة متفاوتة:

1- قد يكون خساراً مطلقاً، كحال من خسر الدنيا والآخرة،

وفاته النعيم، واستحق الجحيم.

2- و قد يكون خاسراً من بعض الوجوه دون بعض،

(إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا)

***بقلوبهم

(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

***بجوارحهم

(وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

ولهذا عَمَّم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات:

(إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا)

الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، و لا يكون الإيمان بدون العلم،
فهو فرع عنه لا يتم إلا به.

(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

و العمل الصالح، و هذا شامل لأفعال الخير كلها،
الظاهرة و الباطنة، المتعلقة بحق الله و حق عباده ، الواجبة و المستحبة.

(وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ)

و التواصي بالحق، الذي هو الإيمان و العمل الصالح،
أي: يوصي بعضهم بعضاً بذلك، و يحثه عليه، و يرغبه فيه.

(وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

و التواصي بالصبر:-

1- على طاعة الله،

2- و عن معصية الله،

3- و على أقدار الله المؤلمة.

فبالأميرين الأولين، يكمل الإنسان نفسه،

و بالأميرين الأخيرين يكمل غيره،

و بتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان

- 1- قد سلم من الخسار،
- 2- و فاز بالريح العظيم.

104- تفسير سورة الهمزة- و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبَدَّلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةً ① الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ② يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ
 أَخْلَدَهُ ③ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ④ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ⑤
 نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ ⑥ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْعِدَةِ ⑦
 إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ⑧ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ⑨

(وَبَدَّلْ)

أي: وعيد، و وبال، و شدة عذاب

(لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةً)

الذي يهمز الناس بفعله، و يلزمهم بقوله،

فالهماز: الذي يعيب الناس، و يطعن عليهم بالإشارة و الفعل،

و اللماز: الذي يعيبهم بقوله.

و من صفة هذا الهماز اللماز،

(الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ)

***كقوله { وَجَمَعَ فَأُوْغَى } [المعارج: 18]

أنه لا هم له سوى جمع المال و تعديده و الغبطة به،
و ليس له رغبة في إنفاقه في طرق الخيرات و صلة الأرحام، و نحو ذلك،

*معجم اللغة العربية المعاصرة

- عددٌ نقودُه: أحصاها، و حسبها " {الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ} "
- عددُ المالِ: جعله عدَّةً للدهر.

(يَحْسَبُ) بجهله

(أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ)

في الدنيا، فلذلك كان كده و سعيه كله في تنمية ماله،
الذي يظن أنه ينمي عمره،
و لم يدر أن البخل يقصف الأعمار، و يخرب الديار،
و أن البر يزيد في العمر.

(كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّهُ)

أي: ليطرحن

(فِي الْخُطْمَةِ)

***تُحطَم من فيها

(وَمَا أَذْرَبَكَ مَا الْخُطْمَةُ)

تعظيم لها، و تهويل لشأنها.

ثم فسرهما بقوله:

(نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ)

التي وقودها الناس و الحجارة

(الَّتِي)

من شدتها

(تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْعِدَةِ)

أي: تنفذ من الأجسام إلى القلوب.

و مع هذه الحرارة البليغة هم محبوسون فيها،

قد أيسوا من الخروج منها، و لهذا قال:

(إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ)

أي: مغلقة

(فِي عَمَدٍ)

من خلف الأبواب

(مُمدَّدَةٍ)

لئلا يخرجوا منه

{ كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ }

[الحج: 22]

نعوذ بالله من ذلك، و نسأله العفو و العافية .

105-تفسير سورة الفيل-وهي مكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ②

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ④

فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ⑤

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ)

أي: أما رأيت من قدرة الله و عظيم شأنه، و رحمته بعباده، و أدلة توحيده،

و صدق رسوله محمد ﷺ، ما فعله الله بأصحاب الفيل،

الذين كادوا بيته الحرام و أرادوا إخرابه،

فتجهزوا لأجل ذلك، و استصحبوا معهم الفيلة لهدمه،

و جاءوا بجمع لا قبل للعرب به، من الحبشة و اليمن،

فلما انتهوا إلى قرب مكة، و لم يكن بالعرب مدافعة،

و خرج أهل مكة من مكة خوفاً على أنفسهم منهم،

(أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ)

* الميسر: ألم يجعل ما دبّروه من شر في إبطال و تضييع؟

(وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ) أي: متفرقة،

*** لها خَرَاتِيمٌ كَخَرَاتِيمِ الطَّيْرِ، وَ أَكْفٌ كَأَكْفِ الْكِلَابِ.

(تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ)

***طين في حجارة

تحمل حجارة محمّاة من سجيل،

فرمّتهم بها، و تتبعت قاصيهم و دانيهم، فحمدوا و همدوا،

(فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ)

***تبّين الذي تسميه العامة

*** الْقَشْرَةُ الَّتِي عَلَى الْحَبَّةِ، كَالْغُلَافِ عَلَى الْحِنْطَةِ.

الْعَصْفُ: وَرَقُ الزَّرْعِ، وَوَرَقُ الْبَقْلِ، إِذَا أَكَلَتْهُ الْبَهَائِمُ فَرَأَتْهُ)
فَصَارَ دَرِينًا. ()

○ و صاروا كعصف مأكول،

و كفى الله شرهم، و رد كيدهم في نحورهم،

و قصّتهم معروفة مشهورة و كانت تلك السنة التي ولد فيها رسول الله ﷺ،

فصارت من جملة إرهاصات دعوته، و مقدمات رسالته، فله الحمد والشكر.

*** قَدْ قَدَّمْنَا فِي تَفْسِيرِ "سُورَةِ الْفَتْحِ" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

*) (معجم اللغة العربية المعاصرة (2/ 953) راث:- ألقى غائطه))

*) (لسان العرب (13/ 153) الدَّرينُ: حُطامُ الْمَرْعَى إِذَا تَنَاقَرَتْ وَسَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ))

لَمَّا أَطْلَّ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى الثَّيْبَةِ الَّتِي تَهْبِطُ بِهِ عَلَى قُرَيْشٍ
*الْبَيْعُ الْحَدِيثُ:

صحيح البخاري - 2731

(.....وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ

حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّيْبَةِ الَّتِي يُهْبِطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتٌ بِهِ رَاحِلَتُهُ،
فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ فَالْحَتَّ، فَقَالُوا:
خَلَّاتِ الْقُصُوءُ، خَلَّاتِ الْقُصُوءُ،

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«مَا خَلَّاتِ الْقُصُوءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ،

وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ»،

ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،

لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»،
ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ،

*** هَذِهِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي أَمَنَّ اللَّهُ بِهَا عَلَى قُرَيْشٍ،

فِيمَا صَرَفَ عَنْهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْفِيلِ، الَّذِينَ كَانُوا قَدْ عَزَمُوا عَلَى هَدْمِ الْكَعْبَةِ

وَمَحُو أَثَرِهَا مِنَ الْوُجُودِ، فَأَبَادَهُمُ اللَّهُ، وَأَرْغَمَ أَنَافَهُمْ،

وَخَيَّبَ سَعْيَهُمْ، وَأَضَلَّ عَمَلَهُمْ، وَرَدَّهُمْ بِشَرِّ خَيْبَةٍ.

وَكَانُوا قَوْمًا نَصَارَى،

وَكَانَ دِينُهُمْ إِذْ ذَاكَ أَقْرَبَ حَالًا مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ.

وَلَكِنْ كَانَ هَذَا مِنْ بَابِ الْإِرْهَاصِ وَالتَّوْطِئَةِ لِمَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

فَإِنَّهُ فِي ذَلِكَ الْعَامِ وُلِدَ عَلَى أَشْهَرِ الْأَقْوَالِ، وَلِسَانُ حَالِ الْقَدَرِ يَقُولُ:

لَمْ نَنْصُرْكُمْ - يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - عَلَى الْحَبَشَةِ لِخَيْرِيَّتِكُمْ عَلَيْهِمُ،

وَلَكِنْ صَيَانَةً لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ الَّذِي سَنَشْرُفُهُ وَنُعَظِّمُهُ وَنُوقِّرُهُ بِبَعَثَةِ النَّبِيِّ
الْأُمِّيِّ مُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ.
وَهَذِهِ قِصَّةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ عَلَى وَجْهِ الْإِيْجَازِ وَالْإِخْتِصَارِ وَالتَّقْرِيبِ،
قَدْ تَقَدَّمَ فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ أَنَّ ذَا نُوَّاسَ -
وَكَانَ آخِرَ مُلُوكِ حِمْيَرَ، وَكَانَ مُشْرِكًا -هُوَ الَّذِي قَتَلَ أَصْحَابَ الْأُخْدُودِ،
وَكَانُوا نَصَارَى، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا،
فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا دَوْسٌ ذُو ثُعْلَبَانٍ،
فَذَهَبَ فَاسْتَعَاثَ بِقَيْصَرَ مَلِكِ الشَّامِ -وَكَانَ نَصْرَانِيًّا-
فَكَتَبَ لَهُ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ؛ لِكُونِهِ أَقْرَبَ إِلَيْهِمْ،
فَبَعَثَ مَعَهُ أَمِيرَيْنِ: أَرِيَّاطَ وَأَبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَاحِ أَبَا يَكْسُومَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ،
فَدَخَلُوا الْيَمَنَ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَاسْتَلَبُوا الْمُلْكَ مِنْ حِمْيَرَ،
وَهَلَكَ ذُو نُوَّاسٍ غَرِيقًا فِي الْبَحْرِ.
وَاسْتَقَلَّ الْحَبَشَةُ بِمُلْكِ الْيَمَنِ وَعَلَيْهِمْ هَذَانِ الْأَمِيرَانِ: أَرِيَّاطُ وَأَبْرَهَةُ،
فَاخْتَلَفَا فِي أَمْرِهِمَا وَتَصَاوَلَا وَتَقَاتَلَا وَتَصَافَا،
فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: إِنَّهُ لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى اصْطِدَامِ الْجَيْشَيْنِ بَيْنَنَا،
وَلَكِنْ ابْرُزْ إِلَيَّ وَابْرُزْ إِلَيْكَ، فَأَيْنَا قَتَلَ الْآخَرَ، اسْتَقَلَّ بَعْدَهُ بِالْمُلْكِ.
فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ فَتَبَارَزَا، وَخَلَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَنَاءً،
فَحَمَلَ أَرِيَّاطُ عَلَى أَبْرَهَةَ فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ، فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَفَمَهُ وَشَقَّ وَجْهَهُ، وَ
حَمَلَ عَتُودَةَ مَوْلَى أَبْرَهَةَ عَلَى أَرِيَّاطَ فَقَتَلَهُ،
وَ رَجَعَ أَبْرَهَةُ جَرِيحًا، فَدَاوَى جُرْحَهُ فَبَرَأَ،
وَ اسْتَقَلَّ بِتَدْبِيرِ جَيْشِ الْحَبَشَةِ بِالْيَمَنِ.
فَكَتَبَ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ يَلُومُهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ،
وَ يَتَوَعَّدُهُ وَيَخْلِفُ لِبَطَانِ بِلَادِهِ وَيَجَزِّنُ نَاصِيَتَهُ.
فَارْسَلَ إِلَيْهِ أَبْرَهَةُ يَتَرَقَّقُ لَهُ وَيُصَانِعُهُ،

وَبَعَثَ مَعَ رَسُولِهِ بِهَدَايَا وَتُحَفٍ، وَبِجِرَابٍ فِيهَا مِنْ تُرَابِ الْيَمَنِ،
وَجَزَّ نَاصِيَتَهُ فَأَرْسَلَهَا مَعَهُ، وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ:
لَيْطًا الْمَلِكُ عَلَى هَذَا الْجِرَابِ فَيَبُرُ قَسَمَهُ،

وَهَذِهِ نَاصِيَتِي قَدْ بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ. فَلَمَّا وَصَلَ ذَلِكَ إِلَيْهِ أَعْجَبَهُ مِنْهُ،
وَرَضِيَ عَنْهُ، وَأَقْرَهُ عَلَى عَمَلِهِ.

وَأَرْسَلَ أَبْرَهَةَ يَقُولُ لِلنَّجَاشِيِّ:

إِنِّي سَأَبْنِي لَكَ كَنِيْسَةً بِأَرْضِ الْيَمَنِ لَمْ يُبْنَ قَبْلَهَا مِثْلَهَا.

فَشَرَعَ فِي بِنَاءِ كَنِيْسَةٍ هَائِلَةٍ بِصُنْعَاءَ، رَفِيْعَةٍ الْبِنَاءِ، عَالِيَةِ الْفِنَاءِ، مُزْخَرَفَةً
الْأَرْجَاءِ. سَمَّيْتُهَا الْعَرَبُ الْقَلِيْسَ؛ لِارْتِفَاعِهَا؛

لِأَنَّ النَّاطِرَ إِلَيْهَا تَكَادُ تَسْقُطُ قُلُوسُوتُهُ عَنْ رَأْسِهِ مِنْ ارْتِفَاعِ بِنَائِهَا.

وَعَزَمَ أَبْرَهَةَ الْأَشْرَمُ عَلَى أَنْ يَصْرِفَ حَجَّ الْعَرَبِ إِلَيْهَا كَمَا يُحْجِ إِلَى الْكَعْبَةِ
بِمَكَّةَ، وَنَادَى بِذَلِكَ فِي مَمْلَكَتِهِ،

فَكَرِهَتْ الْعَرَبُ الْعُدْنَانِيَّةَ وَالْقَحْطَانِيَّةَ ذَلِكَ،

وَعَظِبَتْ قُرَيْشٌ لِذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، حَتَّى قَصَدَهَا بَعْضُهُمْ،
وَتَوَصَّلَ إِلَى أَنْ دَخَلَهَا لَيْلًا. فَأَحْدَثَ فِيهَا وَكْرًا رَاجِعًا.

فَلَمَّا رَأَى السَّدَنَةُ ذَلِكَ الْحَدَثَ، رَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَى مَلِكِهِمْ أَبْرَهَةَ

وَقَالُوا لَهُ: إِنَّمَا صَنَعَ هَذَا بَعْضُ قُرَيْشٍ غَضَبًا لِبَيْتِهِمُ الَّذِي ضَاهَيْتَ هَذَا بِهِ،

فَأَقْسَمَ أَبْرَهَةَ لِيَسِيرَنَّ إِلَى بَيْتِ مَكَّةَ، وَلِيُخَرَّبَنَّهُ حَجْرًا حَجْرًا.

وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّ فُتَيْيَةً مِنْ قُرَيْشٍ دَخَلُوهَا فَأَجَّجُوا فِيهَا نَارًا،

وَكَانَ يَوْمًا فِيهِ هَوَاءٌ شَدِيدٌ فَأَحْرَقَتْهُ، وَسَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ.

فَتَأَهَّبَ أَبْرَهَةَ لِذَلِكَ، وَصَارَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ عَرَمَرَمَ؛

لَيْلًا يَصُدُّهُ أَحَدٌ عَنْهُ، وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ فَيْلًا عَظِيمًا كَبِيرَ الْجُثَّةِ لَمْ يَرِ مِثْلَهُ،

يُقَالُ لَهُ: مَحْمُودٌ، وَكَانَ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ لِذَلِكَ.

وَيُقَالُ: كَانَ مَعَهُ أَيْضًا ثَمَانِيَةُ أَفْيَالٍ.
وَقِيلَ: اثْنَا عَشَرَ فَيْلًا. وَقِيلَ غَيْرُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
يَعْنِي لِيَهْدِمَ بِهِ الْكَعْبَةَ، بَأَن يَجْعَلَ السَّلَاسِلَ فِي الْأَرْكَانِ،
وَتُوَضَّعَ فِي عُنُقِ الْفَيْلِ، ثُمَّ يُزَجَرُ لِيُلْقِيَ الْحَائِطَ جُمْلَةً وَاحِدَةً.
فَلَمَّا سَمِعَتِ الْعَرَبُ بِمَسِيرِهِ أَعْظَمُوا ذَلِكَ جِدًّا، وَرَأَوْا أَنَّ حَقًّا عَلَيْهِمُ
الْمُحَاجَبَةُ دُونَ الْبَيْتِ، وَرَدَّ مَنْ أَرَادَهُ بِكَيْدٍ.
فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ كَانَ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْيَمَنِ وَمُلُوكِهِمْ، يُقَالُ لَهُ "ذُو نَفَر"
فَدَعَا قَوْمَهُ وَمَنْ أَجَابَهُ مِنْ سَائِرِ الْعَرَبِ إِلَى حَرْبِ أَبْرَهَةَ،
وَجِهَادِهِ عَنِ بَيْتِ اللَّهِ، وَمَا يُرِيدُ مِنْ هُدْمِهِ وَخَرَابِهِ.
فَأَجَابُوهُ وَقَاتَلُوا أَبْرَهَةَ، فَهَزَمَهُمْ لَمَّا يُرِيدُهُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ،
مِنْ كِرَامَةِ الْبَيْتِ وَتَعْظِيمِهِ،
وَأُسِرَ "ذُو نَفَر" فَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ.
ثُمَّ مَضَى لَوَجْهِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِأَرْضِ خَثْعَمٍ،
عَرَضَ لَهُ نَفِيلُ بْنُ حَبِيبٍ الْخُشْعَمِيُّ فِي قَوْمِهِ:
شَهْرَانُ وَنَاهِسُ، فَقَاتَلُوهُ، فَهَزَمَهُمْ أَبْرَهَةُ،
وَأُسِرَ نَفِيلُ بْنُ حَبِيبٍ، فَأَرَادَ قَتْلَهُ ثُمَّ عَفَا عَنْهُ،
وَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ لِيَدُلَّهُ فِي بِلَادِ الْحِجَازِ.
فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ أَرْضِ الطَّائِفِ،
خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا ثَقِيفٌ وَصَانَعُوهُ خِيفَةً عَلَى بَيْتِهِمْ، الَّذِي عِنْدَهُمْ،
الَّذِي يُسَمُّونَهُ اللَّاتَ.
فَاكْرَمَهُمْ وَبَعَثُوا مَعَهُ "أَبَا رَغَال" دَلِيلًا.
فَلَمَّا انْتَهَى أَبْرَهَةُ إِلَى الْمُغَمَّسِ -وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ- نَزَلَ بِهِ وَأَغَارَ جَيْشُهُ
عَلَى سَرَحِ أَهْلِ مَكَّةَ مِنَ الْإِيلِ وَغَيْرِهَا، فَأَخَذُوهُ.
وَكَانَ فِي السَّرَحِ مَائَتَا بَعِيرٍ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

وَكَانَ الَّذِي أَغَارَ عَلَى السَّرْحِ بِأَمْرِ أَبْرَهَةَ أَمِيرِ الْمُقَدَّمَةِ،
وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: "الْأَسْوَدُ بْنُ مَفْصُودٍ" فَهَجَاهُ بَعْضُ الْعَرَبِ -فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ
إِسْحَاقَ -وَبَعَثَ أَبْرَهَةُ حُنَاطَةَ الْحِمَيْرِيِّ إِلَى مَكَّةَ،
وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِأَشْرَفِ قُرَيْشٍ،

وَأَنْ يُخْبِرَهُ أَنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَجِئْ لِقِتَالِكُمْ إِلَّا أَنْ تَصُدُّوه عَنِ الْبَيْتِ.
فَجَاءَ حُنَاطَةُ قَدْ لَ عَلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ وَبَلَّغَهُ عَنْ أَبْرَهَةَ مَا قَالَ،
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ حَرْبَهُ، وَمَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْ طَاقَةٍ،
هَذَا بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَبَيْتُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ، فَإِنْ يَمْنَعُهُ مِنْهُ فَهُوَ بَيْتُهُ
وَحَرَمُهُ، وَإِنْ يُخْلِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَوَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا دَفْعُ عَنْهُ.
فَقَالَ لَهُ حُنَاطَةُ: فَادْهَبْ مَعِيَ إِلَيْهِ.
فَذَهَبَ مَعَهُ، فَلَمَّا رَأَى أَبْرَهَةَ أَجَلَّهُ،

وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ رَجُلًا جَمِيلًا حَسَنَ الْمَنْظَرِ، وَنَزَلَ أَبْرَهَةُ عَنْ سَرِيرِهِ،
وَجَلَسَ مَعَهُ عَلَى الْبَسَاطِ،
وَقَالَ لِلرُّجُمَانِ: قُلْ لَهُ: حَاجَتُكَ؟

فَقَالَ لِلرُّجُمَانِ: إِنَّ حَاجَتِي أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ الْمَلِكُ مَا تَنِي بَعِيرٌ أَصَابَهَا لِي.
فَقَالَ أَبْرَهَةُ لِلرُّجُمَانِ: قُلْ لَهُ: لَقَدْ كُنْتُ أَعْجَبْتَنِي حِينَ رَأَيْتُكَ،
ثُمَّ قَدْ زَهَدْتُ فِيكَ حِينَ كَلَّمْتَنِي، أَتَكَلَّمُنِي فِي مَا تَنِي بَعِيرٌ أَصَبْتُهَا لَكَ،
وَتَتَرُكُ بَيْتًا هُوَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ قَدْ جِئْتُ لِهَدْمِهِ، لَا تَكَلَّمُنِي فِيهِ؟!
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: إِنِّي أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ، وَإِنَّ لِلْبَيْتِ رَبًّا سَيَمْنَعُهُ.
قَالَ: مَا كَانَ لِيَمْتَنَعَ مِنِّي! قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ ذَهَبَ مَعَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَعَرَضُوا عَلَى
أَبْرَهَةَ ثُلُثَ أَمْوَالِ تِهَامَةَ عَلَى أَنْ يَرْجِعَ عَنِ الْبَيْتِ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ،
وَرَدَّ أَبْرَهَةُ عَلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِبِلَهُ،
وَرَجَعَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَمَرَهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ،

وَالْتَحَصَّنَ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ، تَخَوُّفًا عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ.
ثُمَّ قَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فَأَخَذَ بِحَلَقَةِ بَابِ الْكَعْبَةِ، وَقَامَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ
يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَسْتَنْصِرُونَهُ عَلَى أَرْهَةِ وَجُنْدِهِ،
وَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ آخِذٌ بِحَلَقَةِ بَابِ الْكَعْبَةِ:
لَا هُمْ إِنْ الْمَرْءِ يَمْ... نَعِ رَحْلَهُ فَاْمْنَعِ حِلَالِكَ ...
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ... وَمَحَالُهُمْ عَدُوًّا مِحَالِكَ ...
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

ثُمَّ أَرْسَلَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حَلَقَةَ الْبَابِ، ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى رُءُوسِ الْجِبَالِ .
وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّهُمْ تَرَكُوا عِنْدَ الْبَيْتِ مَائَةً بِدَنَةٍ مُقْلَدَةً،
لَعَلَّ بَعْضَ الْجَيْشِ يَنَالُ مِنْهَا شَيْئًا بَغَيْرِ حَقٍّ، فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ.
فَلَمَّا أَصْبَحَ أَرْهَتُهُ تَهِيًّا لِدُخُولِ مَكَّةَ، وَهَيًّا فِيْلَهُ -وَكَانَ اسْمُهُ مَحْمُودًا-
وَعَبًّا جَيْشَهُ، فَلَمَّا وَجَّهُوا الْفِيلَ نَحْوَ مَكَّةَ
أَقْبَلَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ حَتَّى قَامَ إِلَى جَنْبِهِ
ثُمَّ أَخَذَ بِأُذُنِهِ وَقَالَ أَبْرُكْ مَحْمُودُ وَارْجِعْ رَاشِدًا مِنْ حَيْثُ جِئْتَ،
فَإِنَّكَ فِي بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ". ثُمَّ أَرْسَلَ أُذُنَهُ، فَبَرَكَ الْفِيلُ.
وَخَرَجَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ يَشْتَدُّ حَتَّى أُصْعِدَ فِي الْجَبَلِ.
وَضَرَبُوا الْفِيلَ لِيَقُومَ فَأَبَى. فَضَرَبُوا فِي رَأْسِهِ بِالطُّبْرِزِينَ
وَأَدْخَلُوا مَحَاجِنَ لَهُمْ فِي مَرَاقِهِ فَبَزَعُوهُ بِهَا لِيَقُومَ، فَأَبَى؛
مَحَاجِنَ: اسْمُ آلَةٍ كُلُّ شَيْءٍ مَعْوُوجٍ الرُّأْسِ كَالصُّوْلُجَانِ -بِزَغٍ: شَقٌّ
فَوَجَّهُوهُ رَاجِعًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَامَ يَهْرُولًا.
وَوَجَّهُوهُ إِلَى الشَّامِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ.
وَوَجَّهُوهُ إِلَى الْمَشْرِقِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ
وَوَجَّهُوهُ إِلَى مَكَّةَ فَبَرَكَ.

وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا مِنَ الْبَحْرِ أَمْثَالَ الْخَطَاطِيفِ وَالْبَلَسَانَ

((المعجم الوسيط:البلسان:شجر له زهر أبيض صغير كهيئة العناقيب))

مَعَ كُلِّ طَائِرٍ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ يَحْمِلُهَا:

حَجَرٌ فِي مَنْقَارِهِ،

وَحَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ،

أَمْثَالُ الْحُمْصِ وَالْعَدَسِ،

لَا تُصِيبُ مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَّا هَلَكٌ،

وَلَيْسَ كُلُّهُمْ أَصَابَتْ.

وَخَرَجُوا هَارِبِينَ يَبْتَذِرُونَ الطَّرِيقَ،

وَيَسْأَلُونَ عَنْ نُفَيْلٍ لِيَدْلَهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ هَذَا.

وَنُفَيْلٌ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ مَعَ قُرَيْشٍ وَعَرَبِ الْحِجَازِ،

يَنْظُرُونَ مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ مِنَ النَّقْمَةِ، وَجَعَلَ نُفَيْلٌ يَقُولُ:

أَيْنَ الْمَفْرُ؟ وَالإلهُ الطَّالِبُ وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ غَيْرُ الْغَالِبِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ نُفَيْلٌ فِي ذَلِكَ أَيْضًا:

أَلَا حُيَيْتَ عَنَا يَا رُدَيْنَا ... نَعْمَنَا كُمْ مَعَ الْأَصْبَاحِ عَيْنَا ...

رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتَ -وَلَا تَرِيهِ ... لَدَى جَنْبِ الْمُحْصَبِ -مَا رَأَيْنَا ...

إِذَا لَعَذَرْتَنِي وَحَمَدْتَ أَمْرِي ... وَلَمْ تَأْسِي عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَنَا ...

حَمَدْتُ اللَّهَ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا ... وَخَفْتُ حَجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا ...

فَكَّلَ الْقَوْمُ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ ... كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنًا! ...

106- تفسير سورة لإيلاف قريش - وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ لِإِلْفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾

الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ

*** لِإِتِّلَافِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ فِي بَلَدِهِمْ آمِنِينَ.

*** قِيلَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ مَا كَانُوا يَأْلَفُونَهُ مِنَ الرِّحْلَةِ

فِي الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ،

وَفِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ فِي الْمَتَاجِرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ،

ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى بَلَدِهِمْ آمِنِينَ فِي أَسْفَارِهِمْ؛ لِعِظَمَتِهِمْ عِنْدَ النَّاسِ،

لِكُونِهِمْ سُكَّانَ حَرَمِ اللَّهِ، فَمَنْ عَرَفَهُمْ احْتَرَمَهُمْ،

بَلْ مَنْ صُوِّفِي إِلَيْهِمْ وَسَارَ مَعَهُمْ أَمِنَ بِهِمْ. هَذَا حَالُهُمْ فِي أَسْفَارِهِمْ

وَرِحْلَتِهِمْ فِي شِتَائِهِمْ وَصَيْفِهِمْ. وَأَمَّا فِي حَالِ إِقَامَتِهِمْ فِي الْبَلَدِ، فَكَأَنَّ اللَّهَ:

{أَوَّلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَفَتُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ} [الْعَنْكَبُوتِ: 67]

قال كثير من المفسرين:

إن الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها أي:

فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل لأجل قريش و أمنهم، و استقامة مصالحهم،

(لِإِلْفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ)

و انتظام رحلتهم في الشتاء لليمن،
و الصيف للشام، لأجل التجارة و المكاسب.
فأهلك الله من أرادهم بسوء،
و عظم أمر الحرم و أهله في قلوب العرب، حتى احترامهم،
و لم يعترضوا لهم في أي: سفر أرادوا، و لهذا أمرهم الله بالشكر، فقال:

(فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ)

أي: ليوحدوه و يخلصوا له العبادة،
*** فليُوحِّدُوهُ بِالْعِبَادَةِ، كَمَا جَعَلَ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا وَبَيْتًا مُحَرَّمًا،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ
وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [التَّمْلِ:91]

(الَّتِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ)

فرغد الرزق و الأمن من المخاوف، من أكبر النعم الدنيوية،
الموجبة لشكر الله تعالى.

فلك اللهم الحمد و الشكر على نعمك الظاهرة و الباطنة،

و خص الله بالربوبية البيت لفضله و شرفه، و إلا فهو رب كل شيء...
*** تَفَضَّلَ عَلَيْهِم بِالْأَمْنِ وَ الرُّخْصِ فَلْيُفَرِّدُوهُ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَلَا يَعْبُدُوا مِنْ دُونِهِ صَنَمًا وَلَا نِدًّا وَلَا وَثَنًا.
وَلِهَذَا مِنْ اسْتِجَابٍ لِهَذَا الْأَمْرِ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ أَمْنِ الدُّنْيَا وَ أَمْنِ الْآخِرَةِ،
وَمَنْ عَصَاهُ سَلَبَهُمَا مِنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ }
[النحل:112-113]

107- تفسير سورة الماعون- و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾

وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾

الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾

الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

يقول تعالى ذامًا لمن ترك حقوقه وحقوق عباده:

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ)

أي: بالبعث و الجزاء، فلا يؤمن بما جاءت به الرسل.

(فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ)

أي: يدفعه بعنف و شدة، و لا يرحمه لقساوة قلبه،

و لأنه لا يرجو ثوابًا، و لا يخشى عقابًا.

(وَلَا يَحْضُ) غيره

* يبحث

(عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ)

ومن باب أولى أنه بنفسه لا يطعم المسكين،

*** كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ }

[الْفَجْرِ: 17، 18]

يَعْنِي: الْفَقِيرَ الَّذِي لَا شَيْءَ لَهُ يَقُومُ بِأُودِهِ وَكِفَايَتِهِ.

(فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ)

أي: الملتزمون لإقامة الصلاة، ولكنهم

(الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ)

أي: مضيعون لها، تاركون لوقتها، مفوتون لأركانها

و هذا لعدم اهتمامهم بأمر الله حيث ضيعوا الصلاة،

التي هي أهم الطاعات و أفضل القربات

و السهو عن الصلاة:—

هو الذي يستحق صاحبه الذم و اللوم

و أما السهو في الصلاة:—

فهذا يقع من كل أحد، حتى من النبي ﷺ

*** الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ وَقَدْ التَّزَمُوا بِهَا،
ثُمَّ هُمْ عَنْهَا سَاهُونَ،

1*** إِمَّا عَنْ فِعْلِهَا بِالْكُلِّيَّةِ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ،

2-*** وَ إِمَّا عَنْ فِعْلِهَا فِي الْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ لَهَا شَرْعًا، فَيُخْرِجُهَا عَنْ وَقْتِهَا
بِالْكُلِّيَّةِ،

*** وَ قَالَ عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ: وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَالَ: {عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}
وَ لَمْ يَقُلْ: فِي صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ.

3-*** وَإِمَّا عَنْ وَقْتِهَا الْأَوَّلِ فَيُؤَخِّرُونَهَا إِلَى آخِرِهِ دَائِمًا أَوْ غَالِبًا.

4-*** وَ إِمَّا عَنْ أَدَائِهَا بِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ.

5-*** وَ إِمَّا عَنْ الْخُشُوعِ فِيهَا وَالتَّدْبِيرِ لِمَعَانِيهَا، فَاللفظ يشمل هذا كله،
ولكن مَنِ اتَّصَفَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ قِسْطٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ.

وَمَنِ اتَّصَفَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، فَقَدْ تَمَّ نَصِيبُهُ مِنْهَا، وَكَمُلَ لَهُ التَّفَاقُّ الْعَمَلِيُّ.
كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ (صحيح مسلم)

(622) عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي دَارِهِ

بِالْبَصْرَةِ، حِينَ انْصَرَفَ مِنَ الظُّهْرِ، وَدَارُهُ بِجَنْبِ الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ،

قَالَ: أَصَلَيْتُمُ الْعَصْرَ؟ فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّمَا انْصَرَفْنَا السَّاعَةَ مِنَ الظُّهْرِ،

قَالَ: فَصَلُّوا الْعَصْرَ، فَقُمْنَا، فَصَلَّيْنَا، فَلَمَّا انْصَرَفْنَا،

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْيَتَيْ

الشَّيْطَانِ، قَامَ فَتَقَرَّهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا» ()

كَمَا ثَبَّتَ بِهِ النَّصُّ إِلَى آخِرِ وَقْتِهَا، وَهُوَ وَقْتُ كَرَاهَةِ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا فَنَقَرَهَا
نَقَرَ الْغُرَابِ، لَمْ يَطْمَئِنَّ وَلَا خَشَعَ فِيهَا أَيْضًا؛ وَلِهَذَا قَالَ:
"لَا يَذْكُرُ اللَّهُ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا".

وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى الْقِيَامِ إِلَيْهَا مُرَاءَاةَ النَّاسِ، لَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ،
فَهُوَ إِذَا لَمْ يَصِلْ بِالْكَلْبَةِ. قَالَ تَعَالَى:

{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى

يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النِّسَاءِ: 142].

وَقَالَ هَاهُنَا: {الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ}

-و لهذا وصف الله هؤلاء بالرياء و القسوة و عدم الرحمة، فقال:

(الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ)

أي يعملون الأعمال لأجل رياء الناس.

***وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ}

أَنَّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لِلَّهِ فَاطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ، أَنَّ هَذَا لَا يُعَدُّ رِيَاءً

(وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ)

*** لَا أَحْسَنُوا عِبَادَةَ رَبِّهِمْ، وَ لَا أَحْسَنُوا إِلَى خَلْقِهِ حَتَّى

وَلَا بِإِعَارَةٍ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ وَيُسْتَعَانُ بِهِ، مَعَ بَقَاءِ عَيْنِهِ وَرُجُوعِهِ إِلَيْهِمْ.

فَهَؤُلَاءِ لِمَنْعِ الزَّكَاةِ وَ أَنْوَاعِ الْقُرْبَاتِ أُولَى وَ أُولَى.

***صحيح البخاري

6021 - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

« تُكْفَى مَعْرُوفٍ صَدَقَةً » ()

- أي: يمنعون إعطاء الشيء،

الذي لا يضر إعطاؤه على وجه العارية، أو الهبة،

كالإئناء، و الدلو، و الفأس، و نحو ذلك،

مما جرت العادة ببذلها و السماح به .

فهؤلاء - لشدة حرصهم - يمنعون الماعون، فكيف بما هو أكثر منه.

و في هذه السورة، الحث على

١ - إكرام اليتيم، و المساكين، و التحضيض على ذلك،

2- و مراعاة الصلاة، و المحافظة عليها،

و على الإخلاص فيها و في جميع الأعمال.

3- و الحث على فعل المعروف و بذل الأمور الخفيفة،

كعارية الإئناء و الدلو و الكتاب، و نحو ذلك، لأن الله ذم من لم يفعل ذلك،

و الله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب و الحمد لله رب العالمين.

(معروف) اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله تعالى والتقرب إليه وكل ما ندب إليه الشرع من وجوه الإحسان وترك ما نهى عنه من القبائح (صدقة) له أجر صدقة]

108- تفسير سورة الكوثر - و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

*** صحيح مسلم

(400) ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَعْفَى إِنْغَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ سُوْرَةٌ» فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ } [الكوثر: 2]

ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،

قَالَ: " فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ،

هُوَ حَوْضٌ تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

أَنْتَهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ،

فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحَدَّثْتُ بَعْدَكَ "

زَادَ ابْنُ حُجْرٍ، فِي حَدِيثِهِ: بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ.

وَقَالَ: «مَا أَحَدَّثْتُ بَعْدَكَ» ()

(بيننا) قال الجوهري بيننا فعلى أشبعت الفتحة فصارت ألفا وأصله بين قال وبينما بمعناه

زيدت فيه ما تقول بينا نحن نرقبه أتاناً أي أتاناً بين أوقات رقبتنا إياه ثم حذف المضاف الذي

هو أوقات قال

وكان الأصمعي يخفض ما بعد بينا إذا صلح في موضعه بين وغيره يرفع ما بعد بينا وبينما على

الابتداء والخبر

مسند أحمد مخرجا

12542 - عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«أُعْطِيتُ الْكَوْثَرُ،

فَإِذَا هُوَ نَهْرٌ يَجْرِي كَذَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ،

حَافَتَاهُ قَبَابُ اللَّوْلُو،

لَيْسَ مَشْقُوقًا، فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى تَرْبَتِهِ،

فَإِذَا مِسْكٌ ذِفْرَةٌ، وَإِذَا حَصَاهُ اللَّوْلُو»

*** صحيح البخاري

4965 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ: سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:

{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} [الكوثر: 1] قَالَتْ:

«نَهْرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ، شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، آيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ»

*** صحيح البخاري

4966 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: " فِي الْكَوْثَرِ:

هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ "

قَالَ أَبُو بَشَرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ:

فَإِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ،

فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ

(بين أظهرنا) أي بيننا

(أغفى إغفاءة) أي نام نومة

(أنفا) أي قريبا

(شانئك) الشانئ المبغض

(الأبتر) الأبتر والمنقطع العقب وقيل المنقطع عن كل خير

(يختلج) أي ينتزع ويقتطع]

***قال بن كثير في تفسيره:

وَهَذَا التَّفْسِيرُ يَعُمُّ النَّهْرَ وَغَيْرَهُ؛ لِأَنَّ الْكَوْثَرَ مِنَ الْكَثَرَةِ، وَهُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ،
وَمِنْ ذَلِكَ النَّهْرُ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرَمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٌ،
وَمُحَارِبُ بْنُ دَثَارٍ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ.
حَتَّى قَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
وَقَالَ عِكْرَمَةُ: هُوَ النُّبُوَّةُ وَالْقُرْآنُ، وَثَوَابُ الْآخِرَةِ.
-يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ممتنا عليه:

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ)

أي: الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته،
ما يعطيه الله لنبيه ﷺ يوم القيامة، من النهر الذي يقال له

(الْكَوْثَرُ)

(2300) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَنِيَّتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَ كَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلَمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخَرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانُ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طَوْلِهِ، مَا بَيْنَ عَمَانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ» (□)

(ألا في الليلة المظلمة) بتخفيف ألا وهي التي للاستفتاح وخص الليلة المظلمة المصحية لأن النجوم ترى فيها أكثر والمراد بالمظلمة التي لا قمر فيها مع أن النجوم طالعة فإن وجود القمر يستر كثيرا من النجوم
(آنية الجنة) ضبطه بعضهم برفع آنية وبعضهم بنصبها وهما صحيحان فمن رفع فخير مبتدأ محذوف أي هي آنية الجنة ومن نصب فبإضمار أعني أو نحوه
(يشخب) الخاء مضمومة ومفتوحة والشخب السيلان وأصله ما خرج من تحت يد الحالب عند كل غمرة وعصرة لضرع الشاة
(ميزابان) قال في اللسان وزب الشيء يزب وزوبا إذا سال الجوهرى الميزاب المثعب فارسي معرب قال وقد عرب بالهمز وربما لم يهمز والجمع مآزيب إذا همزت وميازيب إذا لم تهمز
(عمان) هي بلدة بالبلقاء من الشام قال الحازمي
قال ابن الأعرابي يجوز أن يكون فعلا من عم يعم فلا ينصرف معرفة وينصرف نكرة قال ويجوز أن يكون فعلا من عمن فينصرف معرفة ونكرة إذا عنى بها البلد هذا كلامه والمعروف في روايات الحديث وغيرها ترك صرفها]

***صحيح مسلم

عَنْ ثَوْبَانَ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«إِنِّي لَبَعْقَرٌ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسِ لِأَهْلِ الْيَمَنِ
أَضْرِبُ بَعْصَايَ حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ».
فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ
فَقَالَ: «مَنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ»
وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ:
«أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ،
يَغْتُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمْدَانَهُ مِنَ الْجَنَّةِ،
أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ» (I)

(لبعقر حوضي) هو موقف الإبل من الحوض إذا وردته وقيل مؤخره (أذود الناس لأهل اليمن) معناه أطرده الناس عنه غير أهل اليمن ليرفض على أهل اليمن وهذه كرامة لأهل اليمن في تقديمهم في الشرب منه مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقدمهم في الإسلام والأنصار من اليمن فيدفع غيرهم حتى يشربوا كما دفعوا في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم أعداءه والمكروهات (يرفض عليهم) يسيل عليهم قال أهل اللغة والغريب وأصله من الدمع يقال أرفض الدمع إذا سال متفرقا

(يغت فيه ميزابان يمدانه) هكذا قاله ثابت والخطابي والهروي وصاحب التحرير والجمهور يغت وكذا هو في معظم نسخ بلادنا ونقله القاضي عن الأكثرين قال الهروي ومعناه يدفعان فيه الماء دفقا متتابعًا شديدًا قالوا وأصله من اتباع الشيء وقيل يصبان فيه دائماً صبا شديداً

(يمدانه) أي يزيدانه ويكثرانه]

○ مسيرة يوم و ليلة أو نهارين أو يومان
يسير الابل المحملة بالاثقال سيرا معتادا 83 كم
مسيرة يوم = 40 كم

○ و من الحوض .

طوله شهر، و عرضه شهر،
ماؤه أشد بياضاً من اللبن،
و أحلى من العسل،
آنيته كنجوم السماء في كثرتها و استنارتها،
من شرب منه شربة لم يظماً بعدها أبداً.
و لما ذكر منته عليه، أمره بشكرها فقال:

(فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ)

خص هاتين العبادتين بالذكر،
لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات.
و لأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله،
و تنقلها في أنواع العبودية،
و في النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر،
و إخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به.
***كَمَا أَعْطَيْنَاكَ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ، وَمَنْ ذَلِكَ

النهرُ الَّذِي تَقَدَّمَ صِفَتُهُ - فَأَخْلَصَ لِرَبِّكَ صَلَاتَكَ الْمَكْتُوبَةَ وَ النَّافِلَةَ وَ نَحَرَكَ،
فَاعْبُدْهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَ انْحَرْ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.
كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ
أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: 162، 163]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَ غَيْرُهُ: يَعْنِي بِذَلِكَ نَحَرَ الْبُذْنِ وَ نَحْوَهَا.
وَ هَذَا بِخِلَافٍ مَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِ مِنَ السُّجُودِ لِغَيْرِ اللَّهِ،
وَ الذَّبْحِ عَلَى غَيْرِ اسْمِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ} [الأنعام: 121] .
*** الْمُرَادُ بِالنَّحْرِ ذَبْحُ الْمَنَاسِكِ؛

وَ لِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصِلِي الْعِيدَ ثُمَّ يَنْحَرُ نُسْكَهَ وَيَقُولُ:
صحيح البخاري

955 - عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْأَضْحَى بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَقَالَ:
«مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَ نَسَكَ نُسْكَنَا، فَقَدْ أَصَابَ النُّسْكَ،
وَمَنْ نَسَكَ قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ قَبْلَ الصَّلَاةِ وَ لَا نُسْكَ لَهُ»

(إِبْ شَانِك)

أي: مبغضك ودامك ومنتقصك

(هُوَ الْأَبْتَرُ)

أي: المقطوع من كل خير، مقطوع العمل، مقطوع الذكر.

و أما محمد ﷺ، فهو الكامل حقًا، الذي له الكمال الممكن في حق

المخلوق، من رفع الذكر، وكثرة الأنصار، والأتباع ﷺ

*** الْأَبْتَرُ الَّذِي إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ، فَتَوَهَّمُوا لِجَهْلِهِمْ أَنَّهُ إِذَا مَاتَ بَنُوهُ
يَنْقَطِعُ ذِكْرُهُ، وَحَاشَا وَكَلَّا بَلْ قَدْ أَبْقَى اللَّهُ ذِكْرَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ،
وَأَوْجَبَ شَرْعَهُ عَلَى رِقَابِ الْعِبَادِ، مُسْتَمِرًّا عَلَى دَوَامِ الْآبَادِ، إِلَى يَوْمِ الْحَشْرِ
وَالْمَعَادِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ.

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

"سورة الكوثر:"

ابن كثير ج 4 ط 559 قال:

و قال البزار عن ابن عباس قال:

قدم كعب بن الأشرف مكة

فقال له قريش أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر

من قومه يزعم أنه خير منا

و نحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية،

فقال: أنتم خير منه، قال: فنزلت {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}

رواه البزار وهو إسناده صحيح.

الحديث أخرجه ابن جرير ج 3 ط 330

من طريق شيخه محمد بن بشار ثنا ابن أبي عدي به.

وزاد فيه أنزلت عليه

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ} إلى قوله {نَصِيرًا} .

و قد تقدم في سورة النساء ذكر بعض مخرجه.

ثم ترجح لي أن الصحيح إرساله كما أوضحت في تخريج تفسير
ابن كثير في سورة النساء.

109-الكافرون-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم-603

قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾
لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

110-النصر-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾
وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

111-المسد-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾
فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

109-تفسير سورة الكافرون-و هي مكية

***صحيح مسلم 1218

عن جابر

كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكَعَتَيْنِ ((رَكَعَتِي الطَّوَافِ))
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ،

***صحيح مسلم 726

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ فِي رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ:
قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ "

***مسند أحمد مخرجا

4763 - عَنْ ابْنِ عُمَرَ،

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ فِي الرَّكَعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ، وَ الرَّكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ،
بُضْعًا وَ عِشْرِينَ مَرَّةً أَوْ بُضْعَ عَشْرَةِ مَرَّةً:
قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ "

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٢﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

***مسند أحمد ط الرسالة

23807 - عَنْ قُرُوءَةَ بْنِ نَوْفَلٍ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

دَفَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ابْنَةَ أُمِّ سَلَمَةَ، وَقَالَ: "إِنَّمَا أَنْتَ ظُلْمِي" ()
 قَالَ: فَمَكَتْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ:
 "مَا فَعَلْتَ الْجَارِيَّةُ، أَوِ الْجَوِيرِيَّةُ؟"
 قَالَ: قُلْتُ: عِنْدَ أُمِّهَا، قَالَ: "فَمَجِيءٌ مَا جِئْتُ؟"
 قَالَ: قُلْتُ: تَعَلَّمَنِي مَا أَقُولُ عِنْدَ مَنْأَمِي، فَقَالَ:
 "اقْرَأْ عِنْدَ مَنْأَمِكَ {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}"
 قَالَ: "ثُمَّ نَمَ عَلَى خَامَتِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشَّرِكِ"
(قُلْ يَتَابِعُهَا الْكَافِرُونَ)

أي: قل للكافرين معلنا ومصرحاً
 *** شَمِلَ كُلَّ كَافِرٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَلَكِنَّ الْمَوَاجِهِينَ بِهَذَا الْخِطَابِ هُمُ
 كَفَارُ قُرَيْشٍ.
 وَقِيلَ: إِنَّهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى عِبَادَةِ أَوْثَانِهِمْ سَنَةً،
 وَيَعْبُدُونَ مَعْبُودَهُ سَنَةً،
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ، وَأَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ فِيهَا أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْ دِينِهِمْ بِالْكَلِّيَّةِ
(لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)

أي: تبرأ مما كانوا يعبدون من دون الله، ظاهراً وباطناً.
 *** مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ
(وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ)

القاموس المحيط: • الظَّنُّ، بالكسر: العاطفة على ولد غيرها، المُرْضَعَةُ له في الناس وغيرهم،
 للذِّكْرِ والأنثى

*** وَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. فَ "مَا" هَاهُنَا بِمَعْنَى "مَنْ".
لعدم إخلاصكم في عبادته ، فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمى عبادة،

(وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ)

*** وَلَا أَعْبُدُ عِبَادَتَكُمْ، أَي: لَا أَسْلُكُهَا وَلَا أَقْتَدِي بِهَا،
وَأَمَّا أَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ؛
وَلِهَذَا قَالَ: {وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ}
أَي: لَا تَقْتَدُونَ بِأَوَامِرِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ فِي عِبَادَتِهِ،
بَلْ قَدْ اخْتَرَعْتُمْ شَيْئًا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِكُمْ، كَمَا قَالَ:

{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى }

[النجم: 23]

فَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ فِي جَمِيعِ مَا هُمْ فِيهِ،
فَإِنَّ الْعَابِدَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَعْبُودٍ يَعْبُدُهُ، وَ عِبَادَةُ يَسْلُكُهَا إِلَيْهِ،
فَالرَّسُولُ وَاتِّبَاعُهُ يَعْبُدُونَ اللَّهَ بِمَا شَرَعَهُ؛ وَ لِهَذَا كَانَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ
"لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ"

أَي: لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا طَرِيقَ إِلَيْهِ إِلَّا بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ
وَالْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ عِبَادَةً لَمْ يَأْذَنْ بِهَا اللَّهُ؛

وَلِهَذَا قَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا

بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ} [يونس: 41]

وَ قَالَ: {لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ} [القصص: 55] .

-ثم كرر ذلك ليدل الأول على عدم وجود الفعل،
و الثاني على أن ذلك قد صار وصفًا لازمًا.
و لهذا ميز بين الفريقين، وفصل بين الطائفتين، فقال:

(لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)

كما قال تعالى:

{ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا }

[الإسراء: 84]

{ أَنْتُمْ بَرِيثُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ } [يونس: 41]

(لَكُمْ دِينُكُمْ)

***الكفر

(وَلِيَ دِينِ)

***الاسلام

لَمْ يَقُلْ: "دِينِي" لِأَنَّ الْآيَاتِ بِالنُّونِ، فَحَذِفَ الْيَاءُ،

كَمَا قَالَ: { فَهُوَ يَهْدِينِ } [الشُّعْرَاءِ: 78] وَ { يَشْفِينِ } [الشُّعْرَاءِ: 80]

وَقَالَ غَيْرُهُ: لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ الْآنَ،

وَلَا أُجِيبُكُمْ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِي،

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ:

{ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا } [الْمَائِدَةِ: 64] .

*** وَنَقَلَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ التَّأْكِيدِ، كَقَوْلِهِ:
 {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشَّرح: 5، 6]
 وَقَوْلِهِ: {لَتَرُونَ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ} [التَّكْوِينُ: 6، 7]
 فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَوَّلُهَا مَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا.
 الثَّانِي: مَا حَكَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْمُرَادَ:
 {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} فِي الْمَاضِي،
 {وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} فِي الْمُسْتَقْبَلِ.
 الثَّلَاثُ: أَنَّ ذَلِكَ تَأْكِيدٌ مَحْضٌ.

وَتَمَّ قَوْلُ رَابِعٍ، نَصَرَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ، وَهُوَ أَنَّ الْمُرَادَ
 بِقَوْلِهِ: {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} نَفْيُ الْفِعْلِ لِأَنَّهَا جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ،
 {وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ} نَفْيُ قَبُولِهِ لِذَلِكَ بِالْكَلْبَةِ؛
 لِأَنَّ النَّفْيَ بِالْجُمْلَةِ الْأَسْمِيَّةِ أَكَدُ فَكَأَنَّهُ نَفَى الْفِعْلَ،
 وَكَوْنُهُ قَابِلًا لِذَلِكَ وَمَعْنَاهُ نَفْيُ الْوُقُوعِ
 وَنَفْيُ الْإِمْكَانِ الشَّرْعِيِّ أَيْضًا. وَهُوَ قَوْلٌ حَسَنٌ أَيْضًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

110- تفسير سورة النصر - وهي مدنية

*** صحيح مسلم

(3024) عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ:
 تَعَلَّمُ - وَقَالَ هَارُونُ: تَذَرِي - آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ، نَزَلَتْ جَمِيعًا؟
 قُلْتُ: «نَعَمْ، إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ»، قَالَ: صَدَقْتَ،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾

وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

*** صحيح البخاري

4294 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ،

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تَدْخُلُ هَذَا الْفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءُ مِثْلِهِ؟

فَقَالَ: «إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ» قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ

قَالَ: وَمَا رُبَيْتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مَنِي،

فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ،

وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ،

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا،

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نَذْرِي، أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا،

فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَكْذَاكَ تَقُولُ؟

قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ:

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ فَتَنَحَّ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلَامَةُ أَجْلِكَ:

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا.

قَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ» ()

في هذه السورة الكريمة، بشارة وأمر لرسوله عند حصولها،

(ليريهام مني) بعض فضلي وسر تقديمي على غيري]

وإشارة وتنبيه على ما يترتب على ذلك.

(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)

فالبشارة هي البشارة بنصر الله لرسوله، و فتحه مكة،

(وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا)

* الميسر : جماعات جماعات.

و دخول الناس في دين الله أفواجًا، بحيث يكون كثير منهم من أهله و أنصاره،

بعد أن كانوا من أعدائه،

و قد وقع هذا المبشر به،

و أما الأمر بعد حصول النصر و الفتح،

(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)

فأمر رسوله أن يشكر ربه على ذلك، و يسبح بحمده و يستغفره

و أما الإشارة، فإن في ذلك إشارتين:

1-إشارة لأن يستمر النصر لهذا الدين ،

ويزداد عند حصول التسبيح بحمد الله واستغفاره من رسوله،

فإن هذا من الشكر، والله يقول:

{لَيْنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} {إبراهيم: 7}

و قد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين و بعدهم في هذه الأمة لم يزل نصر

الله مستمرًا، حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان،

و دخل فيه ما لم يدخل في غيره،
حتى حدث من الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث،
فابتلاههم الله بتفريق الكلمة، و تشتت الأمر،
فحصل ما حصل.

و مع هذا فلهذه الأمة، و هذا الدين، من رحمة الله و لطفه، ما لا يخطر
بالبال، أو يدور في الخيال.

2-و أما الإشارة الثانية، فهي الإشارة إلى أن أجل رسول الله ﷺ
قد قرب و دنا، و وجه ذلك أن عمره عمر فاضل أقسم الله به.
و قد عهد أن الأمور الفاضلة تختتم بالاستغفار، كالصلاة والحج، وغير ذلك.
فأمر الله لرسوله بالحمد والاستغفار في هذه الحال،
إشارة إلى أن أجله قد انتهى،

فليستعد ويتهيأ للقاء ربه، و يختم عمره بأفضل ما يجده صلوات الله وسلامه
عليه.

فكان ﷺ يتأول القرآن، و يقول ذلك في صلاته، يكثُر أن يقول في ركوعه
و سجوده: « **سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي** » البخاري 4968
*** صحيح مسلم

(484) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ:
«سُبْحَانَكَ وَ بِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَ أَتُوبُ إِلَيْكَ»
قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ أَحَدْتُهَا تَقُولُهَا؟
قَالَ: «جُعِلَتْ لِي عَلَامَةٌ فِي أُمِّتِي إِذَا رَأَيْتَهَا قُلْتُهَا»

{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } [النصر: 1] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ

*** وَ الْمُرَادُ بِالْفَتْحِ هَاهُنَا فَتْحُ مَكَّةَ قَوْلًا وَاحِدًا،
فَإِنَّ أَحْيَاءَ الْعَرَبِ كَانَتْ تَتَلَوَّمُ بِإِسْلَامِهَا فَتَحَ مَكَّةَ، يَقُولُونَ:
إِنْ ظَهَرَ عَلَي قَوْمِهِ فَهُوَ نَبِيٌّ.
فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا،
فَلَمْ تَمُضْ سَنَتَانِ حَتَّى اسْتَوْسَقَتْ جَزِيرَةُ الْعَرَبِ إِيمَانًا،
وَلَمْ يَبْقَ فِي سَائِرِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَّا مُظْهَرٌ لِلْإِسْلَامِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.
*** صحيح البخاري

4302 - عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو قِلَابَةَ:
أَلَا تَلْقَاهُ فَتَسْأَلُهُ؟ قَالَ فَلَقَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: كُنَّا بِمَاءٍ مَمَرٍ النَّاسِ،
وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا الرُّكْبَانُ فَنَسَأَلُهُمْ: مَا لِلنَّاسِ، مَا لِلنَّاسِ؟ مَا هَذَا الرَّجُلُ؟
فَيَقُولُونَ: يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ، أَوْحَى إِلَيْهِ، أَوْ: أَوْحَى اللَّهُ بِكَذَا،
فَكُنْتُ أَحْفَظُ ذَلِكَ الْكَلَامَ، وَكَأَمَّا يَقْرُ فِي صَدْرِي،
وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَلَوَّمُ بِإِسْلَامِهِمُ الْفَتْحَ، فَيَقُولُونَ:
اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ،
فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ، بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي
بِإِسْلَامِهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: جِئْتُكُمْ وَاللَّهِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ حَقًّا، فَقَالَ:
«صَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا،
فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ، وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا».
فَنَظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْثَرَ قُرْآنًا مِنِّي، لِمَا كُنْتُ أَتَلَقَّى مِنَ الرُّكْبَانِ،
فَقَدَّمُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَأَنَا ابْنُ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سِنِينَ،
وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ، كُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ تَقَلَّصْتُ عَنِّي،
فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْحَيِّ: أَلَا تُغَطُّوْا عَنَّا اسْتِ قَارِئِكُمْ؟

فَاشْتَرَوْا فَقَطَعُوا لِي قَمِيصًا، فَمَا فَرِحْتُ بِشَيْءٍ فَرِحِي بِذَلِكَ الْقَمِيصِ ()

111- تفسير سورة تبت

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ②

سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤

****جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

صحيح البخاري

4770 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ:

{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214]،

(قال) أيوب. (تلقاه) أي تلقى عمرو بن سلمة رضي الله عنه.

(هماء) اسم منزل ينزل فيه الناس.

(ممر الناس) موضع مرورهم. (يقر) من القرار وفي رواية (يغرى) أي يلصق بالغراء.

(تلوم بإسلام الفتى) تنتظر فتح مكة حتى تعلن إسلامها.

(تقلصت) انجمعت وانضمت.

(است) هو مقعدة الإنسان.

(فاشترؤا) ثوبا

صَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ»
 - لِبَطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ
 يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ:
 «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ،
 أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟»

قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صَدَقًا، قَالَ:
 «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»
 فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَاهُ فَنَزَلَتْ:
 { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ }

[المسد:2] □

-أبو لهب هو عم النبي صلى ﷺ، و كان شديد العداوة و الأذية للنبي ﷺ،
 فلا فيه دين، و لا حمية للقرابة - قبحه الله - فذمه الله بهذا الذم العظيم،
 الذي هو خزي عليه إلى يوم القيامة فقال:

{ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ }

***الْأَوَّلُ دُعَاءٌ عَلَيْهِ، وَ الثَّانِي خَبَرٌ عَنْهُ.
 فَأَبُو لَهَبٍ هَذَا هُوَ أَحَدُ أَعْمَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(رسولا) من يستطلع له الخبر.
 (أرأيتكم) أخبروني.
 (خيلا) عليها فرسان يركبونها.
 (تغير) تهجم وتوقع بكم.
 [بين يدي] قدام]

وَ اسْمُهُ: عَبْدُ الْعَزْزِيِّ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَ كُنْيَتُهُ أَبُو عَتَبَةَ.
وَ إِنَّمَا سُمِّيَ "أَبَا لَهَبٍ" لِإِشْرَاقِ وَجْهِهِ،
وَ كَانَ كَثِيرَ الْأَذْيَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَ الْبُغْضَةِ لَهُ، وَ الْإِزْدِرَاءِ بِهِ،
وَ التَّنْقِصِ لَهُ وَ لِدِينِهِ. .
أي: خسرت يداه، وشقى

(وَتَبَّ)

فلم يربح،

(مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ)

الذي كان عنده و أطعاه،

(وَمَا كَسَبَ)

و لا ما كسبه فلم يرد عنه شيئاً من عذاب الله إذ نزل به،

(سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ)

أي: ستحيط به النار من كل جانب، هو

(وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) .

***وَ كَانَتْ زَوْجَتُهُ مِنْ سَادَاتِ نِسَاءِ قُرَيْشٍ،
وَ هِيَ: أُمُّ جَمِيلٍ، وَ اسْمُهَا أَرْوَى بِنْتُ حَرْبٍ بِنِ أُمِّيَّةَ،
وَ هِيَ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ.
وَ كَانَتْ عَوْنًا لِّزَوْجِهَا عَلَى كُفْرِهِ وَ جُحُودِهِ وَ عِنَادِهِ؛
فَلِهَذَا تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَوْنًا عَلَيْهِ فِي عَذَابِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ

وَلِهَذَا قَالَ: {حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ} يَعْنِي:
تَحْمِلُ الْحَطَبَ فَتُلْقِي عَلَى زَوْجِهَا، لِيَزْدَادَ عَلَى مَا هُوَ فِيهِ،
وَهِيَ مُهَيَّاةٌ لِذَلِكَ مُسْتَعِدَّةٌ لَهُ.

-و كانت أيضاً شديدة الأذية لرسول الله ﷺ،
تتعاون هي و زوجها على الإثم و العدوان، و تلقي الشر،
و تسعى غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول ﷺ،
وتجمع على ظهرها من الأوزار بمنزلة من يجمع حطباً،

(فِي جِيدِهَا حَبْلٌ)

قد أعد له في عنقه حبلاً

(مِنْ مَسَدٍ)

أي: من ليف.

أو أنها تحمل في النار الحطب على زوجها، متقلدة في عنقها حبلاً من مسد،
* الميسر: تُرْفَعُ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، ثُمَّ تُرْمَى إِلَى أَسْفَلِهَا.

-و على كل، ففي هذه السورة، آية باهرة من آيات الله،
فإن الله أنزل هذه السورة، وأبو لهب وامرأته لم يهلكا،
و أخبر أنهما سيعذبان في النار ولا بد، و من لازم ذلك أنهما لا يسلمان،
فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة.

***فَأَخْبَرَ عَنْهُمَا بِالشَّقَاءِ وَعَدَمِ الْإِيمَانِ، لَمْ يُقَيِّضْ لَهُمَا أَنْ يُؤْمِنَا،
وَلَا وَاحِدَ مِنْهُمَا لَا ظَاهِرًا وَلَا بَاطِنًا، لَا مُسِرًّا وَلَا مُعْلِنًا،

فَكَانَ هَذَا مِنْ أَقْوَى الْأَدِلَّةِ الْبَاهِرَةِ عَلَى النُّبُوَّةِ الظَّاهِرَةِ.

*المستدرک علی الصحیحین للحاکم

3376 - عَنْ ابْنِ تَدْرُسَ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،

قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} [المسد:1]

أَقْبَلَتِ الْعَوْرَاءُ أُمَّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ وَلَهَا وَلَوْثَةٌ
وَفِي يَدَيْهَا فَهْرٌ وَهِيَ تَقُولُ:

مُذَمَّمَا أَبِينَا وَدِينُهُ قَلِينَا وَ أَمْرُهُ عَصِينَا،

وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فَلَمَّا رَأَاهَا أَبُو بَكْرٍ

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَقْبَلْتُ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا لَنْ تَرَانِي»

وَقَرَأَ قُرْآنًا فَاعْتَصَمَ بِهِ كَمَا قَالَ: وَقَرَأَ

{وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا}

[الإسراء:45]

فَوَقَفْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ:

يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي أَخْبَرْتُ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي.

فَقَالَ: لَا وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكَ. فَوَلَّتْ

وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ أَنَّي بِنْتُ سَيِّدِهَا

[التعليق - من تلخيص الذهبية] 3376 - صحيح

*صحيح ابن حبان - محققا - حديث صحيح بشواهده.

6511 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} [المسد:1]

جَاءَتْ امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ،

فَلَمَّا رَأَاهَا أَبُو بَكْرٍ،

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهَا امْرَأَةٌ بَدِيعَةٌ، وَأَخَافُ أَنْ تُؤْذِيكَ، فَلَوْ قُمْتُ،
قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي» ، فَجَاءَتْ،
فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي،
قَالَ: لَأَ، وَمَا يَقُولُ الشَّعْرُ، قَالَتْ: أَنْتَ عِنْدِي مُصَدِّقٌ، وَانْصَرَفَتْ،
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ تَرَكَ، قَالَ:
«لَأَ، لَمْ يَزَلْ مَلَكٌ يَسْتُرُنِي عَنْهَا بِجَنَاحِهِ»

112- تفسير سورة الإخلاص

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ②

لَمْ يَكِلْهُ وَلَمْ يُولَدْ ③

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④

*** صحيح البخاري

7375 - عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ،
وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ،
فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ
فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟»،
فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا
، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ» ()

صحيح مسلم

(812) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«احْشُدُوا، فَإِنِّي سَاقِرٌ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»

(على سرية) أميرا عليها وهي القطعة من الجيش لا تتجاوز الأربعمئة
(بقل هو. .) أي بكامل السورة التي تبدأ بهذه الجملة.
(صفة الرحمن) لأن فيها أسماء وصفاته وأسماءه مشتقة من صفاته.

فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ،
فَقَرَأَ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ:
إِنِّي أَرَى هَذَا خَبْرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ،
ثُمَّ خَرَجَ ﷺ فَقَالَ:

«إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَاقِرًا عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» ()

**** صحيح مسلم

(811) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:
«أَيَعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟»
قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟
قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»

ش (يعدل) أي تساوي]

*** صحيح مسلم 811

و قال النَّبِيُّ ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ جَزَأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ،
فَجَعَلَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ»
(فجعل قل هو الله أحد جزءا من أجزاء القرآن)
قال المازري قيل معناه أن القرآن على ثلاثة أنحاء:-

١ - قصص

٢ - و أحكام

٣ - و صفات لله تعالى

(احشدوا) أي اجتمعوا وفي المصباح حشدت القوم حشدا من باب قتل
وفي لغة من باب ضرب إذا جمعتهم وحشدوا هم يستعمل لازما ومتعديا
وقال ابن الأثير أي اجتمعوا واستحضروا الناس]

- و قل هو الله أحد متمحضة للصفات فهي ثلث وجزء من ثلاثة أجزاء]

*** سنن الترمذي ت شاكر

3575 - عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ،

قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا،
قَالَ: فَأَذْرَكْنَاهُ، فَقَالَ: «قُلْ» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا،

ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، قَالَ: «قُلْ»، فَقُلْتُ، مَا أَقُولُ؟

قَالَ: " قُلْ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمَعُودَتَيْنِ

حِينَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ "

*** صحيح البخاري

5017 - عَنْ عَائِشَةَ: "

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ :-

جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا:

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ،

ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ

يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ "

أي (قُلْ) قولاً جازماً به، معتقداً له، عارفاً بمعناه،

(هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)

أي: قد انحصرت فيه الأحدية،

فهو الأحد المنفرد بالكمال،

الذي له الأسماء الحسنی، و الصفات الكاملة العليا، و الأفعال المقدسة،

الذي لا نظير له و لا مثل.

*** هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ،

الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا وَزِيرَ، وَلَا نَدِيدَ وَلَا شَبِيهَ وَلَا عَدِيلَ،
وَلَا يُطْلَقُ هَذَا اللَّفْظُ عَلَى أَحَدٍ فِي الْإِثْبَاتِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ؛
لِأَنَّهُ الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

(الله الصَّكْمُ)

أي: المقصود في جميع الحوائج.

فأهل العالم العلوي و السفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار،

يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم،

لأنه الكامل في أوصافه،

العليم الذي قد كمل في علمه،

الحليم الذي قد كمل في حلمه،

الرحيم الذي كمل في رحمته الذي وسعت رحمته كل شيء،

و هكذا سائر أوصافه،

*** هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي سُؤْدُدِهِ،

وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي شَرَفِهِ،

وَالْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي عَظَمَتِهِ،

وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي حِكْمَتِهِ

وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدُدِ،

وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، هَذِهِ صِفَتُهُ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ،

لَيْسَ لَهُ كُفَاءٌ،

و ليس كمثلته شيء، سبحانه الله الواحد القهار.
 وَ قَالَ عِزْرَمَةُ: {الصَّمْدُ} الَّذِي لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا يُطْعَمُ.
 وَ قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: {الصَّمْدُ}:
 هُوَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ.
 كَأَنَّهُ جَعَلَ مَا بَعْدَهُ تَفْسِيرًا لَهُ،
 وَ هُوَ قَوْلُهُ: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} وَهُوَ تَفْسِيرٌ جَيِّدٌ.
 وَ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ: {الصَّمْدُ} الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ.
 - ومن كماله أنه

{لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} (لكمال غناه

***لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ وَلَا صَاحِبَةٌ

وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ

صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} [الْأَنْعَام: 101]

أَيُّ: هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ نَظِيرٌ يُسَامِيهِ، أَوْ
 قَرِيبٌ يُدَانِيهِ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ

يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي

لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ

أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} [مَرْيَمَ: 88-95]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ

بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} [الْأَنْبِيَاءِ: 26، 27]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ} [الصَّافَّاتِ: 158، 159]

وَفِي الصَّحِيحِ -صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ:-

6099 - عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
" لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ: لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ،
إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيَعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ " ()

صحيح البخاري

4975 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ،

وَ شَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ،

أَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي لَنْ أُعِيدَهُ كَمَا بَدَأْتُهُ،

وَ أَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ:

اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُوَلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْوًا أَحَدٌ

«لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ») كُفْوًا وَ كَهَيْئًا وَ كِفَاءً وَاحِدٌ "

(كفوا) و (كفوا) مثلا و نظيرا ومشابها]

(وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ)

* الميسر : ولم يكن له مماثلا ولا مشابهاً أحد من خلقه،

(أصبر) أحلم وأبعد عن الانتقام وأكثر تأخيرا عن العقوبة.

(أذى) شيء يكرهه من قول أو فعل.

(ليدعون) ينسبون.

(ليعافيههم) في أبدانهم]

لا في أسمائه و لا في أوصافه، و لا في أفعاله، تبارك و تعالى .
فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات .

113- تفسير سورة الفلق - و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾

وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

***صحيح مسلم

(814) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يَرِ مِثْلُهَا قَطُّ،
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»

***سنن النسائي

5437 - عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ:

بَيْنَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ﷺ فِي نَقَبٍ مِنْ تِلْكَ النَّقَابِ إِذْ قَالَ:
«أَلَا تَرْكَبُ يَا عُقْبَةُ؟»

فَاجْلَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَرْكَبَ مَرْكَبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ:
«أَلَا تَرْكَبُ يَا عُقْبَةُ؟» فَأَشْفَقْتُ أَنْ يَكُونَ مَعْصِيَةً،

فَنَزَلْتُ وَرَكِبْتُ هُنَيْهَةً، وَنَزَلْتُ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَعْلَمُكَ سُورَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَ بِهِمَا النَّاسُ؟»

فَأَقْرَأَنِي قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ،
فَأَقِيَمَتِ الصَّلَاةُ، فَتَقَدَّمَ فَقَرَأَ بِهِمَا، ثُمَّ مَرَّ بِي،
فَقَالَ: «كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ؟ أَقْرَأَ بِهِمَا كُلَّمَا هُنْتَ وَقُمْتَ»
*** سنن أبي داود

1523 - عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ:
«أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ»
السنن الكبرى للنسائي

7789 - عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:
«يَا عُقْبَةُ، قُلْ» فَقُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ؟ فَسَكَتَ عَنِّي،
ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ قُلْ» قُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
فَسَكَتَ عَنِّي، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ ارْزُدْهُ عَلَيَّ
فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ قُلْ» فَقُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
فَقَالَ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ»
فَقَرَأْتُهَا حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا،
ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَقُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
فَقَالَ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» فَقَرَأْتُهَا حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا،
ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ:
«مَا سَأَلَ سَائِلٌ مِثْلَهَا، وَلَا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيزٌ مِثْلَهَا»
*** مسند أحمد مخرجا

26189 - عَنْ عَائِشَةَ،
«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا مَرَضَ قَرَأَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ وَيَنْفُثُ»
قَالَتْ عَائِشَةُ فَلَمَّا ثَقُلَ جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ بِهِمَا،
وَأَمْسَحُ بِيَمِينِهِ التِّمَاسَ بَرَكَتِهَا

أي: (قُلْ)

متعودًا

(أَعُوذُ)

أي: أَلْجَأُ و أُلُوذُ، و أَعْتَصِمُ

(يَرْبِيَّ الْفَلَقِ)

أي: فالق الحب و النوى، و فالق الإصباح.

***كقوله {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ} [الأنعام: 96]

(مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ)

وهذا يشمل جميع ما خلق الله، من إنس، و جن، و حيوانات،
فيستعاذ بخالقها، من الشر الذي فيها، ثم خص بعد ما عم، فقال:

(وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ)

أي: من شر ما يكون في الليل، حين يغشى الناس،
و تنتشر فيه كثير من الأرواح الشريرة، و الحيوانات المؤذية.

(وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ)

أي: و من شر السواحر، اللاتي يستعن على سحرهن بالنفث في العقد،
التي يعقدنها على السحر.

(وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)

و الحاسد:

هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود
فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب،
فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره، و إبطال كيده
-و يدخل في الحاسد العاين، لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع،
خبيث النفس،

فهذه السورة، تضمنت :-

1- الاستعاذة من جميع أنواع الشرور، عمومًا و خصوصًا.

2- و دلت على أن السحر له حقيقة يخشى من ضرره،

و يستعاذ بالله منه و من أهله

*** صحيح مسلم

(2186) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ جَبْرِيلَ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ
فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ،
مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ،
اللَّهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ» ()

(نفس) قيل يحتمل أنه أراد بالنفس نفس الآدمي
وقيل يحتمل أن المراد بها العين
فإن النفس تطلق على العين
ويقال رجل نفوس إذا كان يصيب الناس بعينه] .

**** صحيح البخاري 5765 - عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَحَرًا، حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ
وَلَا يَأْتِيَهُنَّ، قَالَ سُفْيَانُ:

وَهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ السَّحَرِ، إِذَا كَانَ كَذَا،

فَقَالَ: " يَا عَائِشَةُ، أَعَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ،

أَتَانِي رَجُلَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي،

فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلْآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟

قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟

قَالَ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمٍ - رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفٌ لِيَهُودَ كَانَ مُنَافِقًا -

قَالَ: وَفِيمَ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَّةٍ،

قَالَ: وَأَيْنَ؟ قَالَ: فِي جُفٍّ طَلَعَةَ ذَكَرٍ، تَحْتَ رَاغُوفَةٍ فِي بئرٍ ذَرَوَانَ

قَالَتْ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ الْبئرَ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ،

فَقَالَ: «هَذِهِ الْبئرُ الَّتِي أُرِيْتُهَا، وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَاءِ،

وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ»

قَالَ: فَاسْتَخْرَجَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَفَلَا - أَيُّ تَنْشَرَتْ -

فَقَالَ: «أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ شَفَانِي، وَأكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا» ()

(راعوفة) هي حجر يوضع على رأس البئر يقوم عليه المستقي وقد يكون في أسفل البئر أيضا

يجلس عليه من يقوم بتنظيفها.

(تنشرت) هي تعيين من سفيان بن عيينة لمرادها بقولها أفلا. ومعناها من النشرة وهي الرقية

التي تحل السحر فكأنها تنشر ما طواه الساحر وتفرق ما جمعه]

114- تفسير سورة الناس - و هي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾

مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾

مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾

*** هَذِهِ ثَلَاثُ صِفَاتٍ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ، عَزَّ وَجَلَّ؛

الرُّبُوبِيَّةُ، وَالْمُلْكُ، وَالْإِلَهِيَّةُ:

فَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِكُهُ وَإِلَهُهُ،

فَجَمِيعُ الْأَشْيَاءِ مَخْلُوقَةٌ لَهُ، مَمْلُوكَةٌ عَبِيدُ لَهُ،

فَأَمَرَ الْمُسْتَعِيدَ أَنْ يَتَعَوَّذَ بِالْمُتَّصِفِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ،

مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ: وَهُوَ الشَّيْطَانُ الْمُوَكَّلُ بِالْإِنْسَانِ،

فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ إِلَّا وَلَهُ قَرِينٌ يَزِينُ لَهُ الْفَوَاحِشَ،

وَلَا يَأْلُوهُ جُهْدًا فِي الْخَبَالِ.

وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ،

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ

صحيح مسلم

(2815) عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، حَدَّثَتْهُ

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا، قَالَتْ:

فَغَرْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ،

فَقَالَ: «مَا لَكَ؟ يَا عَائِشَةُ أَغْرَبْتَ؟» فَقُلْتُ:
وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقَدْ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ»
قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟
قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟
قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَمَعَكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ
قَالَ: «نَعَمْ، وَ لَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ»
*** وَ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ،

في صحيح البخاري

2038 - عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ:

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَعِنْدَهُ أَزْوَاجُهُ فَرُحْنَ،
فَقَالَ لِصَفِيَّةَ بِنْتُ حُيَيٍّ لَا تَعْجَلِي حَتَّى أَنْصَرِفَ مَعَكَ،
وَكَانَ بَيْتُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهَا،
فَلَقِيَهُ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَنَظَرَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
ثُمَّ أَجَازَا، وَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ:

«تَعَالَيَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ»

قَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ،

قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ،
وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي أَنْفُسِكُمَا شَيْئًا» ()

*** سنن أبي داود

4982 - عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ رَجُلٍ،

قَالَ كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَثَرْتُ دَابَّةً، فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ،
 فَقَالَ: " لَا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ،
 فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاطَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ،
 وَيَقُولُ: بِقَوِّي، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ،
 فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ " ***
 قال بن كثير في تفسيره:

وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْقَلْبَ مَتَى ذَكَرَ اللَّهُ تَصَاغَرَ الشَّيْطَانُ وَغَلِبَ،
 وَإِنْ لَمْ يُذَكَّرِ اللَّهُ تَعَاطَمَ وَغَلِبَ.

— وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة برب الناس و مالكهم و إلههم،
 من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها وماداتها،
 الذي من فتنته وشره، أنه يوسوس في صدور الناس،
 فيحسن لهم الشر،
 و يريهم إياه في صورة حسنة،
 و ينشط إرادتهم لفعله،
 و يقبح لهم الخير ويشبطهم عنه،
 و يريهم إياه في صورة غير صورته،

مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ

* الميسر: الذي يبث الشر والشكوك في صدور الناس.

*الجزائري: إذا غفلوا عن ذكر الله تعالى.

*** الشَّيْطَانُ جَائِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ،
 فَإِذَا سَهَا وَ غَفَلَ وَ سَوَسَ،

فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ حَنَسَ.

○ وهو دائماً بهذه الحال يوسوس و يخنس

أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه و استعان على دفعه.

فينبغي له أن يستعين و يستعيد و يعتصم بربوبية الله للناس كلهم.

و أن الخلق كلهم، داخلون تحت الربوبية والملك،

فكل دابة هو آخذ بناصيتها.

و بألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم،

الذي يريد أن يقطعهم عنها ويحول بينهم وبينها،

و يريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير

و الوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال:

(مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) .

* الجزائري: أي من شيطان الجن و من شيطان الإنس.

○ و الحمد لله رب العالمين أولاً و آخرًا، و ظاهراً و باطناً.

و نسأله تعالى أن يتم نعمته،

وأن يعفو عنا ذنوباً لنا حالت بيننا و بين كثير من بركاته،

و خطايا و شهوات ذهبت بقلوبنا عن تدبر آياته.

و نرجوه ونأمل منه أن لا يحرمنا خير ما عنده بشر ما عندنا،

فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون،

و لا يقنط من رحمته إلا القوم الضالون.

*** هَلْ يَخْتَصُّ هَذَا بِنَبِيِّ آدَمَ - كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ - أَوْ يَعُمُّ بَنِي آدَمَ وَالْجِنَّ؟
فِيهِ قَوْلَانِ، وَيَكُونُونَ قَدْ دَخَلُوا فِي لَفْظِ النَّاسِ تَغْلِيْبًا.
وَقَوْلُهُ: {مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} هَلْ هُوَ تَفْصِيلٌ

لِقَوْلِهِ: {الَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ}

ثُمَّ بَيَّنَّهُمْ فَقَالَ: {مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} وَهَذَا يُقَوِّي الْقَوْلَ الثَّانِي.

وَقِيلَ قَوْلُهُ: {مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ}

تَفْسِيرٌ لِلَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا}

*** سنن أبي داود

5112 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَحَدَنَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ، يُعَرِّضُ بِالشَّيْءِ،
لَأَنْ يَكُونَ حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، فَقَالَ:
« اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسةِ »